الفنون الشعبية

العدد الثالث • تمـوز ١٩٧٤



الفنون الشعبية

مجلة متخصصة تصدر كل ٣ اشهر عن
دائرة الثقافة والفنون
عمان - الاردن
ص·ب ٦١٤٠

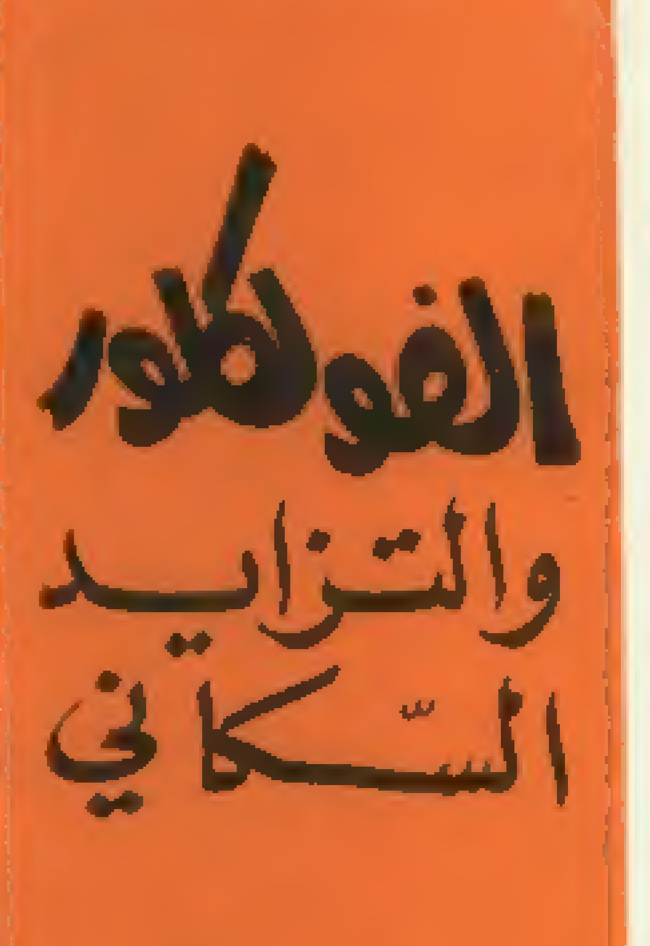
العدد الثالث ● تموز ١٩٧٤

الموزعون
هاتف ٣٠١٩١ - ص·ب ٣٧٥
وكالة التوزيع الاردنية - عمان

الطابعون
جمعية عمال المطابع التعاونية
عمان - هاتف ٣٧٧٧١

ثمن النسخة في الاردن ٩٠ فلسا
الاشتراك السنوي (اربعة اعداد) ٤٠٠ فلس

في هذا العدد


الفولكلور
والتزايد
السكاني



هل هو مجرد مادة اكاديمية تدرس بوحي من منهج علمي محدد لثقافة الطبقات المتخلفة في مجتمع متحضر ؟ ام هو ايضا علم له جوانب تطبيقية يمكن ان يسخر في سبيل اسعاد الانسان فوق سطح هذا الكوكب ؟

انه هو ذا وذاك •

وهو العلم الذي يجب ان يفيد منه بنو البشر •

ومن اجل ذلك كانت الندوة الدولية التي عقدت بالتعاون بين اليونسكو ووزارة الاعلام الهندية في نيودلهي هذا الصيف ، ليشهدها عدد من الفولكلوريين الدوليين وعدد من المتخصصين في وسائل التوعية الجماهيرية والتخطيط السكاني تحت شعار : « الوسائل الفولكلورية في خدمة التخطيط السكاني وتوعية الجماهير » • لقد احس الضمير الانساني بان هناك الملايين من بني البشر في جنوب آسيا وجنوب شرقيها وجنوب غربيها وفي افريقيا وامريكا اللاتينية يعيشون على الكفاف ويتزايدون بصورة مذهلة تفوق قدرة الأرض التي يعيشون عليها على انتاج الغذاء لهم • وفوق ذلك فان وسائل الاعلام المطبوعة والمذاعة لا تصل اليهم أو تصل الى البعض منهم باثر محدود •

وكان موضوع المؤتمر هو ان يتدارس مدى امكانية تسخير الوسائل الفولكلورية من اغان ورقص شعبي واعمال مسرحية شعبية في سبيل الوصول الى الجماهير وتوعيتها باخطار التزايد السكاني ، ومن المجهودات الانسانية في هذا المجال شرحه ش عبد اللطيف مندوب بنغلادش •

ولخص ش• عبد اللطيف مشكلتهم في الاتصال بالجماهير وتعليمهم بقوله ان الاستفادة من الوسائل الفولكلورية في برامج تحديد النسل وتقليل عدد السكان محدودة اذا ما قدر لهم ان يخاطبوا الجمهور بالوسائل المكتوبة والمذاعة ، فهناك ١٦٪ ـ ١٨٪ من السكان فقط قادرون على القراءة بشكل او بآخر ، وان قسما كبيرا من هذه النسبة هم من اشباه الأميين ••• وهم في العادة لا يقرأون شيئا حتى الجريدة اليومية • وتكاد تكون مخاطبتهم

بواسطة الراديو والتلفزيون عديمة الجدوى بسبب النقص الفاحش في عدد مثل تلك الأجهزة في الريف .

ولقد وجد المسؤولون في البنغال الحل من خلال الموسيقى ، فتلك البلاد معروفة باسم « بلاد الموسيقى » . ان البحار في بنغالادش يوفق بين حركـة مجدافه وبين « الفاتالي » ـ أغنية البحارة . ويحرث الفلاحون اراضيهم مع اغاني الحياة الصعبة . ويسوق راعي الأبقار قطيعـه الى الحقول وهو يغني لحبيبته .

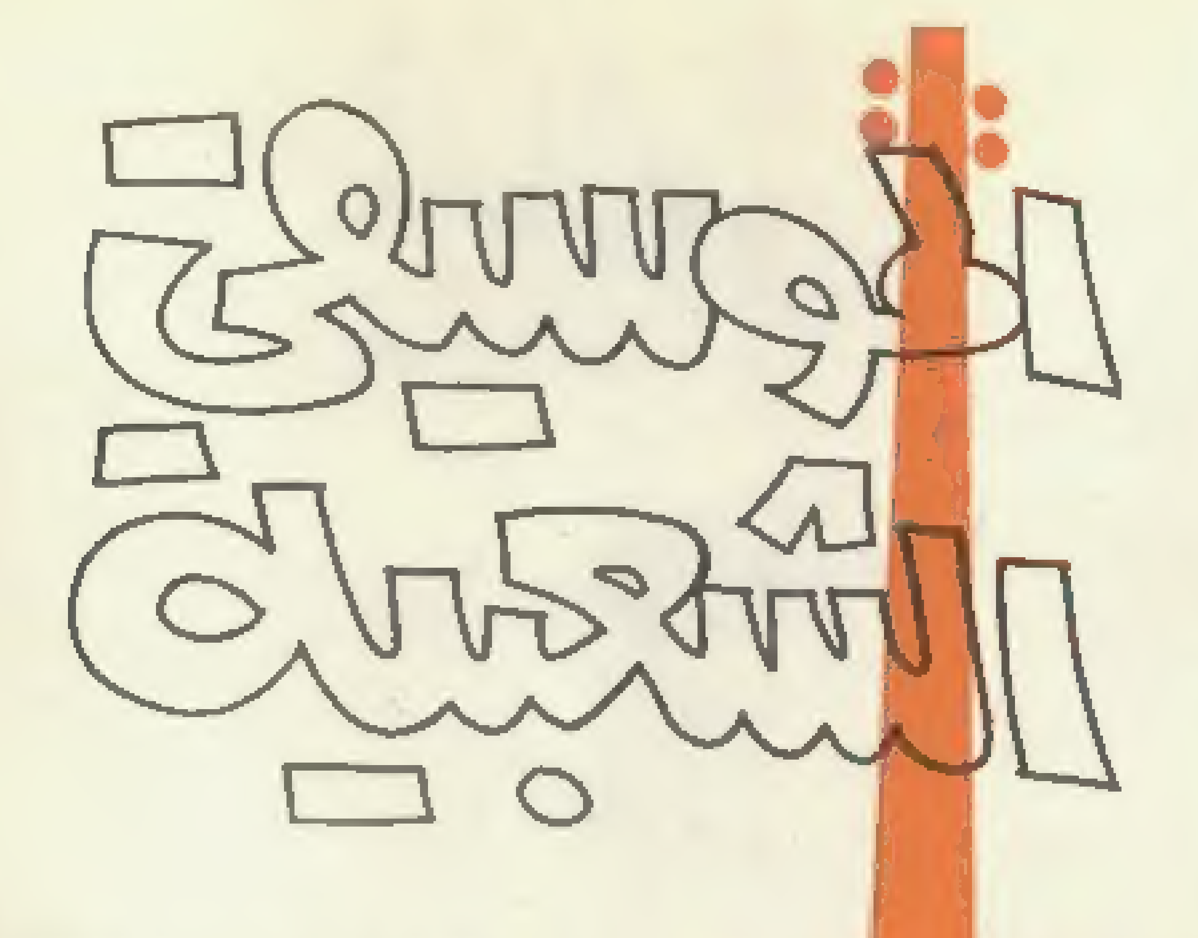
وهناك اغان لكل نشاطات الحياة في الريف . ويحترم السكان الموسيقى كثيرا . وهكذا اتخذ المسؤولون في وزارة الثقافة والاعلام من الموسيقى الفولكلورية وسيلة للاتصال بالجماهير وتوعيتهم باهداف الحملة من اجل التخطيط العائلي وكبح جماح الانفجار السكاني . وقد حاولوا ان يستعملوا موسيقى الجمهور مع اعطائها شكل اسكتش او حادثة قصصية تحمل في طياتها مشكلة الانفجار السكاني وتحذر منه .

وهكذا انشاوا جهازا سموه « توعية الجماهير من خـلال الموسيقى

وبداوا بتشكيل فرق فنية في كل المقاطعات مدربة على اداء الموسيقى والاغاني والاسكتشات الشعبية التي تحمل مضامين حملة مكافحة الانفجار السكاني .

صحيح ، نحن هنا في الأردن لم نواجه بعد مشكلة الانفجار السكاني بشكلها الحاد ... لكننا على عتبة هذه المشكلة .. وبالطبع فليس مـن المنطق الادعاء بان في الفولكلور الحل النهائي لمثل تلك المشكلة التي تعتبر احدى مشاكل الانسان الرئيسية على ظهر هـذا الكوكب ... لكن في الوسائل الفولكلورية يكمن جانب من الحل ... وفي هذه الوسائـل امكانية كبيرة لمخاطبة الانسان في الوسط الشعبي وتبصيره بالمزالق المهلكة التي يسير اليها .

سكرتير التحرير



لقد اصبحت الموسيقى الشعبية في العصر الحديث سببا من اسباب الالهام الكثير من الموسيقيين العالميين . ونذكر منهم شوبان - دفورجاك - فاغنر-بارتوك ريمسكي كورساكوف، ولعل السبب يكمن في ان الموسيقى الشعبية تحتوي على روح الموسيقى التي تستسيغها مجموعة كبيرة من الناس ، وعلى الحيوية ، والتعبير الحقيقي عن النفسية ، لشعب من الشعوب . وفيها يظهر تطور الذوق الجمالي عند البشر البسطاء . ففي الأغاني والموسيقى الشعبية ، عفوية ، وانطلاق من القيود . والموسيقى الشعبية تعكس الذوق الأصيل لمنطقة ما من الأرض وتحمل في حناياها التعبير الحقيقي والوصف الدقيق للقرون التي مرت بها هذه المنطقة .



عبد الحميد حمام

وعندما اهتم الموسيقيون المحدثون بالموسيقى الشعبية ، كان ذلك سببا في تدعيم فكرة الوطنية من ناحية ، والعودة الى الأصل اي الى الشعب من ناحية اخرى . وهذا ما حصل لشوبان عندما كتب قطع البولونيز ليدعم ثورة بلاده (بولندا) . فاخذ الحانا قريبة لالحان وطنه ومستقاة منها ، وضمنها مؤلفاته فكان لها اثرا كبيرا في تدعيم قضية بلاده ، بينما كانت الموسيقى الهنغارية بالنسبة لبارتوك فتحا لطريق جديد في التاليف الموسيقي (الايقاع الحيوي - الهارمونيه الجديده) ، واعمال هؤلاء الفنانين تميزت بالخلق لاساليب فنية جديدة كانت دعامتها دراسة واعية للموسيقى الشعبية لبلادهم . وان مثل هذه الدراسات ، التي بدات منذ عهد قريب لا تزال مستمرة . وتجميع التراث الموسيقي في جميع البلاد آخذ في التكامل .(١) نجد ان للموسيقى الشعبية في كل بلد ، ارتباطات تاريخية مع الموسيقى التي كانت سائدة فيه ، ولها علاقة بالتطورات التاريخية ، من اكتشافات علمية او افكار فلسفية جديدة ، والابتكارات الموسيقية المجدده ايضا ولو بصورة غير مباشرة . وكذلك الاحتكاك بشعوب اخرى من جراء حروب او تجارة وغير ذلك من الأسباب التي تؤثر في التطور .

ولو نظرنا للمراحل التي مر بها الأردن ، لوجدنا انه كان يحمل حضارة سامية اصيلة قبل آلاف

(١) يقوم الاستاذ نمر سرحان بتجميع هذا التراث في الاردن ، وقد استفدت من تسجيلاته وابحاثه في هذا المقال .

السنين . فالانباط والعمونيون مـــن الحضارات التي كانت لها صفـــات موسيقية متقدمة . ويقول سترابـــو في وصـــــف ملـــوك الانبـــاط في البتراء : « ويحكم الشعب من واحد ذو اصل ملكي . والملك يعين أحـــد اصدقائه ليقوم بأعمال تجارية ، وكان يطلق عليه اسم (الأخ) ، يقيمون ولائم لثلاثة عشر شخصا (الملـــك واثني عشر ضيفا) ، وفي كل من هذه المناسبات كان يوجد موسيقيان . ولم يكن الملك يخدم نفسه فقط بل كان يخدم ضيوفه أيضا . » (٢) ولعـــل الأنباط كانوا يغنون اغانيهم خـــلال سوحهم في الصحراء ،دون أن يدونوها، كما يفعل البدو في كل الأزمان ، ولعلهم ايضا كانوا يرسلون الاشـــمار في مجالسهم الليلية حول النـــار (٣) . فنجد أن الأنباط اعتنوا بالموسيقى من ملوكهم وشعوبهم على السواء .

ويتحدث الأستاذ محمود العابـدي (٤) عن العمونيين فيقول : «وبمرور الزمن اختلط بنو جاد بالعمونيـــين واصبحت بناتهم تقلد بنات العمونيين في الأعياد الدينية عندما يطفن حـــول أصنام تلك الآلهة ويرقصن ويغنين على أصوات الدفوف والمزامير الهيجة وعلى الأغاني الراقصة » . ومثال آخر تذكره عن جمال موسيقى العـــرب القديمة ما وجد في مخطوط آشـــور بانيبال في القرن السابع قبل الميلاد يخبرنا فيه ان غناء الأسرى العرب (عند الآشوريين) قد سحر [illegible] والحراس الآشوريين . فهذا يوضح لنا الأساس الأول الذي استقت منه موسيقانا الشعبية أصولها وجذورها. ومع أننا لا نعرف السلالم الموسيقية التي كانوا يستعملونها الا ان الالات الموسيقية كالأعواد والالات الايقاعية وآلات النفخ والطبول كانت معروفة في بلاد الشام [illegible] لسكان الاردن القدماء والذين كانت لهم علاقات تجارية عريقة مع كل مـــن مصر والجزيرة العربية وبلاد الشام تجارية [illegible] عراقية [illegible] يوضح لنا ان [illegible] الجزيرة العربية وبلاد الشام أصول الثلاثة . وبعد الفتـــوح الاسلامية بدأ عهد جديد ، وهـــو الاتصال المباشر مع شعوب أخـــرى وبشكل أقوى . كما أن فكرة التوحيد التي اتى بها الاسلام وتعميم اللغـــة العربية في كل الأمصار الاسلامية ، قربت الأذواق التي تنضوي تحـــت لوائه لبعضها وكادت أن تصهرها في بوتقة واحدة ، حتى اننا نجد الأغاني الشعبية معروفة في ايران ، وتركيا ،

---

(٢) من كتاب : أتوا من الصحراء ـ لهيلين كايزر ، صفحة ٨٦ .
Helen Kaiser - Sie Camen aus der Wuste p. 89.

(٣) من كتاب : أتوا من الصحراء ـ لهيلين كايزر ـ صفحة ٨٧ .

(٤) عمان ماضيها وحاضرها ـ للاستاذ محمود العابدي ، صفحة ١٥ .





والبلاد العربية ايضا مثل اغنية (أشكيدارا ـ غزاله غزاله ـ يا بنات اسكندرية)(٥) .

كان العرب يعرفون من الغناء (النصب ـ الحداء ـ النواح) في أيام الجاهلية ، وكانوا يعتمدون السلم العربي الأصيل الذي سيتطور فيما بعد ، ويصف الفارابي السلم الموسيقي بأن ديوانه كان مؤلفا من اربعين جزءا متساويا . وان الطنبور البغدادي قد وافقت أبعاده تقسيمات هذا السلم ... ويضيف الفارابي، أن أغاني العصر الجاهلي كانت لا تزال تنشد أحيانا في أيامه على طريقة السلم القديم ، وعلى أساس أبعاد الطنبور (الميزاني) البغدادي (٦) .

ويوجد تفسير واضح في كتاب الموسيقى الكبير للفارابي عن كيفية تقسيم الطنبور البغدادي (٧)

ولقد أثبت علما ذكر هذه اللمحة التاريخية لان لموسيقانا علاقة كبيرة بهذا الموضوع والحياة البدوية التي لا تتصل بالمدن والحضارات الأخرى الا نادرا حافظت على الطبيعة الأصلية للغناء العربي القديم ، بينما المدن الأخرى تأثرت تأثرا بالغا بالموسيقى الأخرى .

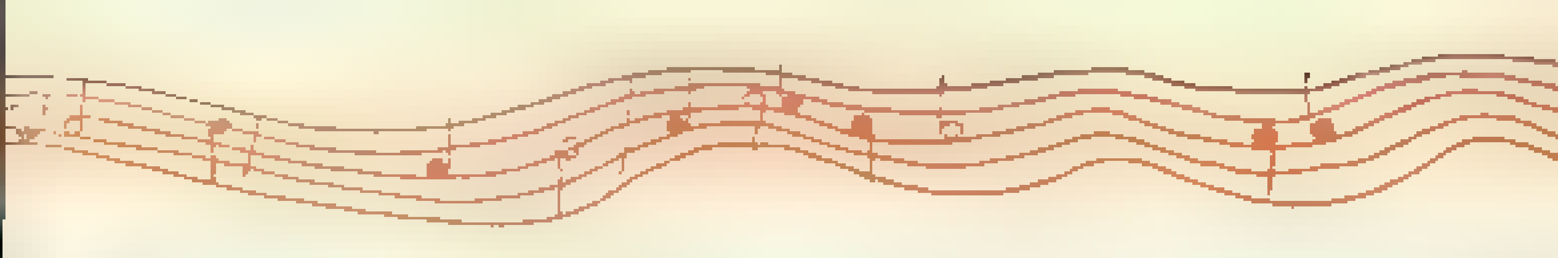
ونعتقد بأن تأثير الحضارة الرومانية على المنطقة لم يؤثر تأثيرا كبيرا على طبيعة الشعوب التي احتلتها . لان الروح الرومانية الفردية جعلت تأثيرا بسيطا على المحكومين من قبلها . وكان للرومانيين مجالسهم الخاصة البعيدة عن الشعوب التي حكموها . حتى ان الاتهم الموسيقية قد ذهبت بذهابهم . فلا نجد الات النفخ النحاسية والطبول الكبيرة التي لا يفيد منها البدوي في

---

(٥) انظر الامثلة المدونة رقم ٢ .

(٦) عن كتاب السماع عند العرب للاستاذ مجدي العقيلي .

(٧) في الصفحة ٦٣٠ من كتاب الموسيقي الكبير للفارابي الذي حققه غطاس عبد الملك خشبه وراجعه الدكتور محمود احمد الحفني .



حياته البسيطة · (بالرغم من استعمالها في العصور المتاخرة في نوبات الخلفا وحكام البلاد الاسلامية)· (٨)

وظهرت سلالم موسيقية جديدة في عصور الخلافتين الأموية والعباسية ، لاحتكاك العرب بالأجانب من فرس ويونانيين · وسمى العرب كثيرا من هذه السلالم حسب تسمياتها الاجنبية (شاهناز ـ كرد ـ عجم ـ جهاركاه) · نجد بعض الاغاني وذات الطابع الاسلامي مثل أغنية (ياراحلين الى منى بقيادي ـ واغنية رمضان تجلى وابتسما) (٩)

وفي عصر الترجمة عن اليونانية تاثر المفكرون المسلمون بالعلوم اليونانية وأصاب هذا التاثير الموسيقى أيضا من الناحية النظرية بشكل خاص ·

وكان للموسيقى الفارسية تاثير بزيادة السلالم الموسيقية واسلوب الغناء فكثير من المغنين والموسيقيين ذوو اصل أجنبي (زرياب ـ طويس ـ الفارابي) ، وظهر أسلوب الغناء المتقن عند العرب (١٠) وكثرت التزيينات الصوتية · وامتاز اللحن بانسيابية وطلاوة وكانه خطوط منحنية أو انحناءات جسم راقصة بض · كما نجد ذلك في موشح لما بدا يتثنى مثلا وهو من الموشحات الكلاسيكية العربية الاكثر شعبية ، وتدخل به بعض الكلمات العامية ، وكلمة (أمان) التركية التي توحي بتاثير عثماني أو مملوكي (١١)

واعود مرة أخرى لأغانينا الشعبية الحاضرة فنجدها ذات طوابع مختلفة لكل مجموعة منها ميزات خاصة ، ولكنها كلها تتالف من لحن واحد فقط يرافقه ايقاع من آلة ايقاعية · ولا نجد الا اليسير من تعدد الاصوات في مجالات ضيقة ومحدودة وسببها الالات المستعملة في المرافقة ، او الحيوية عند المغنين عندما يقابلوا فرقة المنشدين كما يحدث في الحفلات والأعراس ·

---

(٨) تذكر هيلين كايزر في كتاب انوا من الصحراء وتقول عن الرومان في الاردن : « وبني مسرحا للمسامعة الحضارية ، ولكن كانت حضارة غريبة ، ليست لبلاد الشرق ، ولم تستطع أن تمد جذورها وتثبتها في الارض الصخرية في البتراء » ·

(٩) انظر الامثلة المنوطة رقم ١ ·

(١٠) وهو الغناء الذي لا يمتقيد بايقاعه على وزن الشعر بل يضرب معه ايقاع اخر يرافق وزن الكلمات ·

(١١) انظر الامثلة مثال رقم ٢ ·

تأثير الالات كالارغول والعــود في تعدد الأصوات يظهر بشكل نقطــة الأورغ (Orgel Punkt) . فللارغول قصبتين احداها لها ثقوب لحنيــة والاخرى تعطي صوتا مستمرا وليس لها ثقوب . وعندما يعزف العازف، ينفخ في الأنبوبتين معا ويحرك اصابعه فتعطي لحنا بينما يستمر صــوت القصبة غير المثقوبة كما هو وهــذا يتضح في المثال رقم (٤) . او كمـا نجده في العزف على آلة العود ، حيث ان بعض الأصوات المنخفضة لا تفقد طنينها بسرعة بينما يستمر العازف بضرب اللحن في الاصوات العليــا . وهذا يعطي ايحاءا بتعدد الاصــوات والمثال رقم (٥) يوضح هذه الناحية .

ولكن وجود مثل هذه الامثلة لا يبرر لنا وجود أسلوب تعدد الاصــوات في موسيقانا كما نجد في موسيقى بلاد اخرى مثل اوروبا . ولكنها تنبهنــا لوجود الاحساس الذي تفرضه الآلة ، أو الصدفة الطبيعيه . كما يحدث في الغناء الشعبي حين تبقى مجموعــة المنشدين أو المغنين ـ في حفلة مـا ـ تردد لحن الاغنية الشعبية الاصلي ويصدح أحدهم بأصوات اعلى ليظهر براعته وقوة صوته ، ويزيد بذلــك الحماسة لدى الجميع فتأتي وكأنهـا تعدد اصوات مقصود . وفي كثير مــن الحالات التي يرافق فيها الغناء بآلة مثل الناي أو العود . يعزف الناي أو العود تزيينات واصوات اخــرى لا يغنيها المغني ولكنها تزيد في التشويق والحيوية .

ومع كل ما ذكرت من امثلة في هذا الموضوع ، الا ان موسيقانا لا زالت وحيدة الصوت بأسسها ، فهي تعتمد اللحن والايقاع فقط ، كاسس لبنــاء الغناء والموسيقى الشعبية .

أما الالحان فتمتاز بقصرهــا وبساطتها فاكثر الجمل الموسيقية لا تتعدى الثماني مازورات (حقائب) ولكن نجد بعض الاغاني الطويلة في بعض المناطق مثل اغنية (طالعه من بيت أبوها) (١٢) طويلة نسبيا .

وقلما نجد في الاغاني الشعبية عددا من الاصوات لمقطع كلامي واحد، إي ان الميليسما (Melisma) قليل في الاغاني الشعبية ، فنجد ان مقطع كلامي صوت واحد أو اثنين على الاكثـر .

ويكون الايقاع المستخدم إيقاع الكلمات ويزيد عازف الطبلة في اظهار ايقاع الكلمات . ولكن هناك بعض الاغاني التي يرافقها ايقاع مختلف عن وزن الشعر مثل موشح لما بدى يتثنى وفي المثال (٧) نجد نموذجين من الايقاعات المستعملة في الغناء الشعبي . ويستمر ضابط الايقاع بالضرب حتى نهايـة الاغنية التي تنتهي في اغلب الحالات بشكل (Rallentando) شديد (تباطـؤ في سرعة اللحن الاصلية). ونجد ان ضارب الايقاع كثيرا ما يتصــرف بمزاجيته وليس حسب قواعــد خاصة فينوع الايقاع ويزيد به . كنوع من القدرة في الارتجال .

---

(١٢) انظر مثال رقم ٦ .

وتتحرك الالحان في أغانينا الشعبية ضمن حدود ضيقة لا تتعدى التتراكورد الا نادرا (Tetrachorol) او كما يسميه العرب (الجنس او البعد بالاربع) . ولعل الالات المستخدمة ذات مجال ضيق كالربابة المستخدمة في الصاحيه، او ان السبب يرجع لاعتماد العرب على النظريات اليونانية القديمة التي تعتبر الجنس – الذي تحدد به نوعية الالحان – هو الاساس في النظريات الموسيقية القديمة .

ولعل تاثير هذه النظريات يظهر في الهبوط اللحني من العلو للإنخفاض. ففي كثير من اغانينا تبدأ الاغنية بالاصوات المرتفعة وتهبط بعد ذلك(١٣) وتظهر هذه الميزه بوضوح في لحن السامر في المثال رقم (١١) . ويعتقد ان اصل هذه النظريات سومري قديم ثم انتقل الى اليونان . ويدل على ذلك استخدام اشارات بتنويط سامية قديمة في الموسيقى اليونانية . وقد عاد هذا التاثير – الشرق على الغرب – اثناء الحكم العربي لاسبانيا و الذي اثر في الموسيقى الاوروبية والاسبانية بشكل خاص (١٤) .

وتلاحظ ايضا ان الالحان الشعبية العربية تتميز بدرجات موسيقية متوالية في اغلب الاحوال . اذ لا يوجد بها قفزات لحنية كبيرة . فنحن لا نسمع سداسيات مطلقا ولا تحصل على الخماسية او الرباعية الا في بداية الاغنية على الاكثر . واذا قارنا ذلك بموسيقى الشعوب الاوروبية لوجدنا ان اغانيهم تمتلىء بمثل هذه القفزات اللحنية (١٥).

أما عن الاشكال البنائية (Form) الموجودة في اغانينا الشعبية فمختلفة والاغلبية مؤلفة من مقطع واحد ويتكرر الى عدد من المرات . وفي لحن السامر في المثال (١١) نجد به هذا الاسلوب ونجد ان الجملة الموسيقية قصيرة لا تتعدى الثماني خانات (Meswre) وهو عبارة عن اعادة للازمة الاولى وبشكل (Periade) معكوسة اذ يقف على الدرجة الاولى اولا ثم ينتهي (بهار مونيه) Sequenz بالدرجة الخامسة . ولكن تحليله بالمفهوم القديم فهو تتراكورد (بياتي) الشكل (A - A) .

وينتهي على الدرجة الاولى منه .ويأخذ

أما اغنية (طالعة من بيت ابوها) (١٦) فمؤلفة من ثلاثة اقسام ، اللحن الاول الذي يعاد مرة اخرى ويستمر هذا القسم اربع خانات تعاد لتصبح ثمانية . ثم يأتي لحن اخر يختلف عنه ومؤلف من خانتين وتعاد بشكل (١٧) ... فيصبح القسم الاوسط مؤلفا من اربعة خانات ايضا. ثم يعود اللحن دون اعادة وتأخذ شكل الاغنية (II: A :II B - A) .

---

(١٣) السلالم اليونانية تهبط كما في المثال رقم ٨ .

(١٤) انظر المثال رقم ١٠ ونجد به اثار الموسيقى الكلاسيكية العربية في الموسيقى الشعبية الاوروبية .

(١٥) في المثال رقم ٩ اغنية نمساوية شعبية فيها قفزات لحنية وتعدد أصوات .

(١٦) انظر مثال رقم ٦ .

(١٧) (Sequenz) بالالمانية وتعني الاعادة ولكن على درجة صوتية اخرى .

ويوجد عندنا اغان مؤلفة من قسم واحد فقط مثل اغنية (على دلعونا) (١٨ • فهي مؤلفة من ستة خانات فقط • ولكن يستمر المغني او المجموعة باعادة اللحن كل مرة بكلمات مختلفة وهي من مقام البيات •

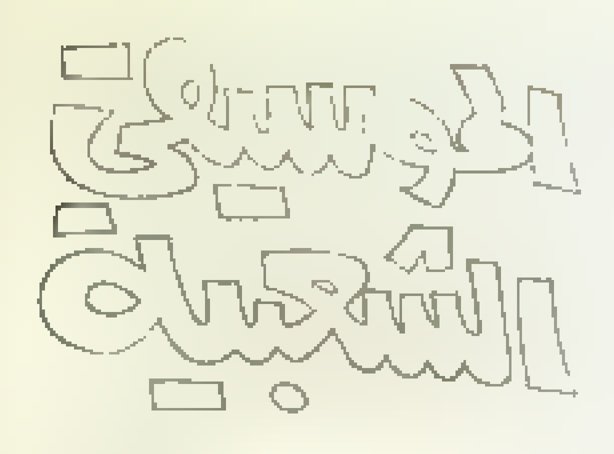
ومن الاساليب المعروفة في بلادنا الارتجال كما يحدث في المواويل فيغني المغني عادة الموال منفردا وكأنه تقدمه لاغنية تليه • او قد يرد الموال في وسط الغناء ويشكل فترة هدوء بالنسبة للاغاني ذات الايقاع الحيوي• وتكون نوطاته عادة طويلة وتتخللها التزيينات الصوتية (الحلي) • واذا كان المغني متدربا فبامكانه التنقل في عدة مقامات ثم يعود لمقام الاغنية الاصلي • وتستعمل عادة في الموال كلمة (يا ليل وكلمة (اوف) كثيرا • وطبعا اشعارا بسيطة زجلية ايضا •

المثال رقم واحد : مقسوم لقسمين • الاول نشيد ديني لرمضان المبارك • ويقول فيه

(ا)

رمضـــان نجل وابتسمـــا
طـــوبى للعبـــد اذا اغتنمـــا

وبه نجد الروح الدينية • ولا نجد المرا للتزيينات والحلي فيه • انما اذا الغناء لمغني عارف بالالحان فيمكنه ارتجال بعض الزخارف الصوتية • ولكن المهم فيه اننا نسمع صوتين في آن واحد بعد اعادة (الكورس) مجموعة المغنين للحن ودخول المغني بصوت بينما يغني المنشدون صوت (مي) وهذا يوافق ما ذكرته عن وجود تعدد اصوات في مجالات ضيقة •





المثال رقم واحد :

(ب)

يـــا راحلين الى منى بقيــــادي
هيجتموا يـــوم الرحيل فـــؤادي
ســرتم وســـار دليلكم يا وحشتي
الشوق ازعجنـــي وصوت الـــهادي
يا اللـــه يـــا زوار قبـــر محمـــد
من كان منـــكم راحـــلا او غـــادي
فاذا وصلتم ســـالمين فسلـــموا
مني الســـلام الى ربـــوع الـــوادي

وهي ماخوذة بالاسلوب التي كانت تغني فيه بمنطقة اللد في فلسطين • واترك الوزن فيها للكلمات كما كانت تغني قديما الاغاني • اي دون خانات وكانها بوزن (11/4) وتبــدا بصوت (لا) وهي الثلاثيه من سلم (فـــا) ماجور (جهار كاه)• وهذا فقط بالبداية ولكن بعد ذلك تغني الاقسام الاخرى من الاشعـــار حسب المقطع الثاني من بعد اشارة الاعادة • حتى النهاية التي تكون بشكل (Rallentando)

---

(١٨) بمثال رقم ١٢ نجد الاغنية مكتوبة بالنوطة •

وبهذه الاغنية نلاحظ التزيينات والمليسمات الموجودة .

مثال رقم (٢)

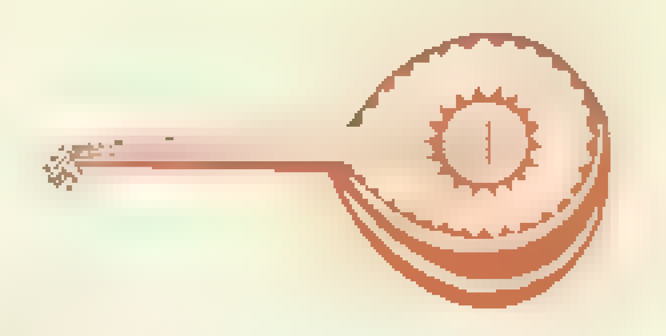
من الاغاني التي ذاع صيتها في بـــلاد اسلامية وعربية كثيرة . في ايران ـ وتركيا والبلاد العربية بأجمعها . ولها اسماء كثيرة ـ اشكيدارا ـ يا بنات اسكندريه ـ غزالـه غزاله وهي من الاغاني ذات القسمين -وكتبت بسلم ري منيور . وهي عبارة عن قسم اول مؤلف من (٤) خانات (Meswre)تعاد كمـــا هي ثم يأتي القسم الثاني الذي يتشكل بشكل (Porisde)كلاسيكية اذ ينتهي في المرة الاولى

مثال رقم (٣)

موشح لما بدى يتثنى يدل على التطـــور الموسيقي الكلاسيكي المتأخر ولهذا الموشـــح ضرب يسمى (سماعي ثقيل) وله وزن خـاص يؤديه ضابط الايقاع . ومن مقام نهاوند . ونجده مليئا بالمليسم (Melisema) مما يدل على هارمونية النوميات اذ ينتهي على صوت (مي). وبعد الاعادة يعود الى الدرجة الاولى (ري). فلوشملنا الاعادات لكان القسم الاول ثماني ماتورات والثاني ثمانية ايضا ونأخـــذ الفورم (A - B) .

ويتوضح هذا الفورم بالشكل التالي (II: A: II B - B') .

على الرخاء لان التزيينات الاضافية لا تتاح الا للمتمرس والمرتاح من المتاعب . ونجد بها الاثر التركي في الكلام واستعمال كلمة امان الغير عربية يشير الى ان هذا الموشح قــد تأثر بعصر العثمانيين . ولا بد من التنويه بان السلطة العثمانية اعتمدت بثقافتها عـلى الارضية العربية والاسلامية التي سبقتهــا . ونلاحظ ان في اللحن ميزة التمايل والانحناء وهذا يتفق مع الفنون الاسلامية الاخرى التي استعملت الزخرفة بالخطوط المنحنـــيـة في الرسم والبناء .



المثال رقم (٤)

وكأنه كتب لآلة ارغول . القصبة الغير منقوبة تعطي صوت ري . والاخرى المثقوبة تعطي الاصوات اللحنية الاخرى . ونلاحظ ان صوت ري يستمر طول المقطع اللحني . وهذا نوع من تعدد الاصوات الذي يطلق عليه اسم نقطة الاورغل .

المثال رقم (٥)

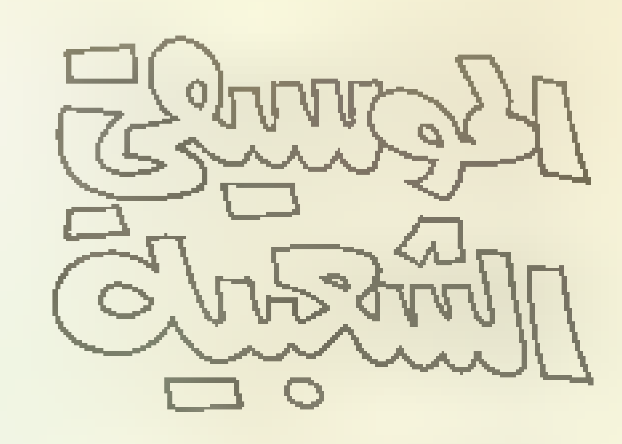
مثال يمكن ان يعطي لآلة العود . فوتر (الري) يبقى فارغا من الدوسات (من وضع الاصابع على وتر الري) وكذلك وتــر (اللا) المكتوبة كاصوات منخفضة .اما الاصوات العلوية فيمكن عزفها على وتري (الصول) و(الدو) . وتبقى اصوات الري واللا المنخفضة مستمرة لمدة الطول . ولهذا توحي للسامع بانها تعدد اصوات .

مثال رقم (٦)

الغنية طالعه من بيت ابوها

طالعـــة من بيـــت ابوهـــا
رايحـــة لبيـــت الجيـــران
لابـــــه الابيض والاحمـــر
والعيـــون تضـــرب ســـلام
قلت لها يـــا حلـــوه اروبني
وعـــلى عيـــونك ارجيـنـــي
قالـــت لي روح يـــا مسكين
يا عيوني عيـــون الغـــزلان

وهي اغنية تتألف من ثلاثة اقســام الاول مؤلف من (٤) خانات تعاد مرة اخرى ثم يأتي



قسم اخر مؤلف من (٤) خانات ايضا بشكل

ثم يعود الى اللحن الاول فيعيده

وشكلها البنائي يكون كما يلي

(II: A: II B A)

مثال رقم (٧)

ونجد فيه ايقاعين يستخدمان في الموسيقى الشعبية . وايقاع (ب) مأخوذة من كتاب السيدة (يسرى جوهرية عرنيطه)ـ الفنون الشعبية في فلسطين .

مثال رقم (٨)

سلمين مكتوبين حسب المفهوم الاغريقي لترتيب اصوات السلالم الموسيقية الهابطة. والمثال (ا) سليم (دوري)ـ اما (ب) فسلم فريجي . وقد انقلبت هذه الاسماء في عصور الكنيسة في اوروبا في العصور الوسطى .

ولعل هذا المفهوم كان سائدا في العالم القديم باجمعه . ولا نزال نلاحظ اثاره حتى الان .

مثال رقم (٩)

(I lin der Bns von Donoulal)

انا الشب من وادي الدانوب

اغنية شعبية نمساوية يظهر بها اللحن المعتمد على اربيج (Arpegis)الاكوردات ، اي ممتلئ بالقفزات اللحنية . وعدا ذلك نرى تعدد الاصوات المبني عن خبرة في القسم الاخير من هذه الاغنية .

اغنية اسبانية من نوع الاندلسي

(Andalucia)

والاغنية منقولة عن كتاب

By Charles Haywood
Folk Songs of the World
Nina. Nana, Lullairy.

ونجد بها تاثير الموسيقى العربيـة على الموسيقى الاسبانية ويظهر فيها نوع من الارتجال في الغناء شبيه بالمواويل . ويظهر تاثير الموسيقى العربية عدا ذلك في الزخارف الموجودة في الخانتين التاسعة والحادية عشرة ، وفي التحويل من سلم المينور الى الماجور حيث نجد ان (ا (مي) بيكار عبارة عن ظاهرة غريبة في السلالم الاجنبية .

مثال رقم (١١)

اغنية سامر من الاردن . من مقام بيات نلاحظ فيها الهبوط اللحني من صول حتى ري والمجال الصوتي لا يتجاوز الخمسة اصوات ـ تتراكورد مع (Sultonium) .ونلاحظ انها تاخذ شكل (Period) .ولا تتجاوز الثماني خانات .

ونلاحظ به عدم وجود قفزات لحنية . وهو من الالحان البدوية .

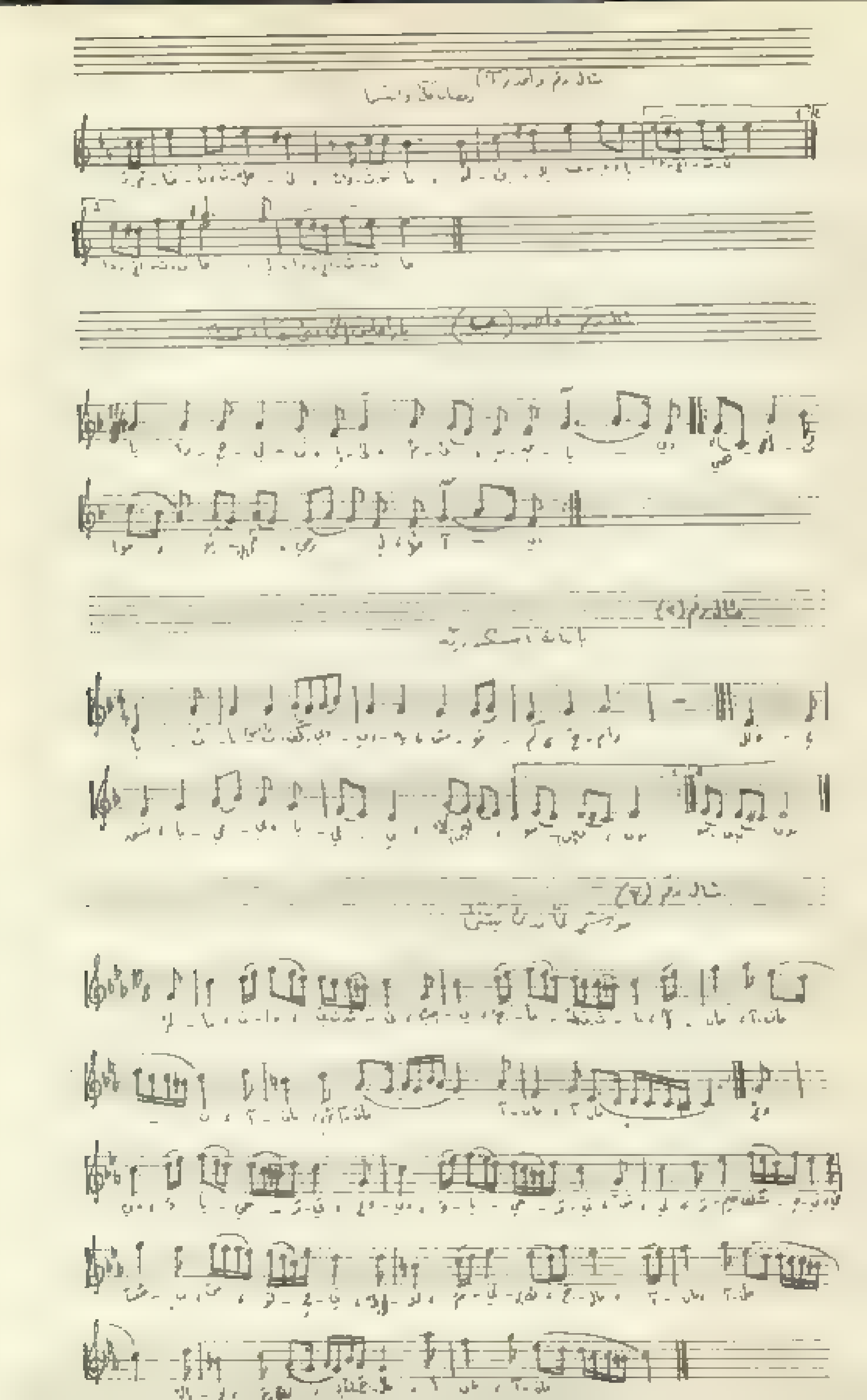
مثال رقم (١٢)

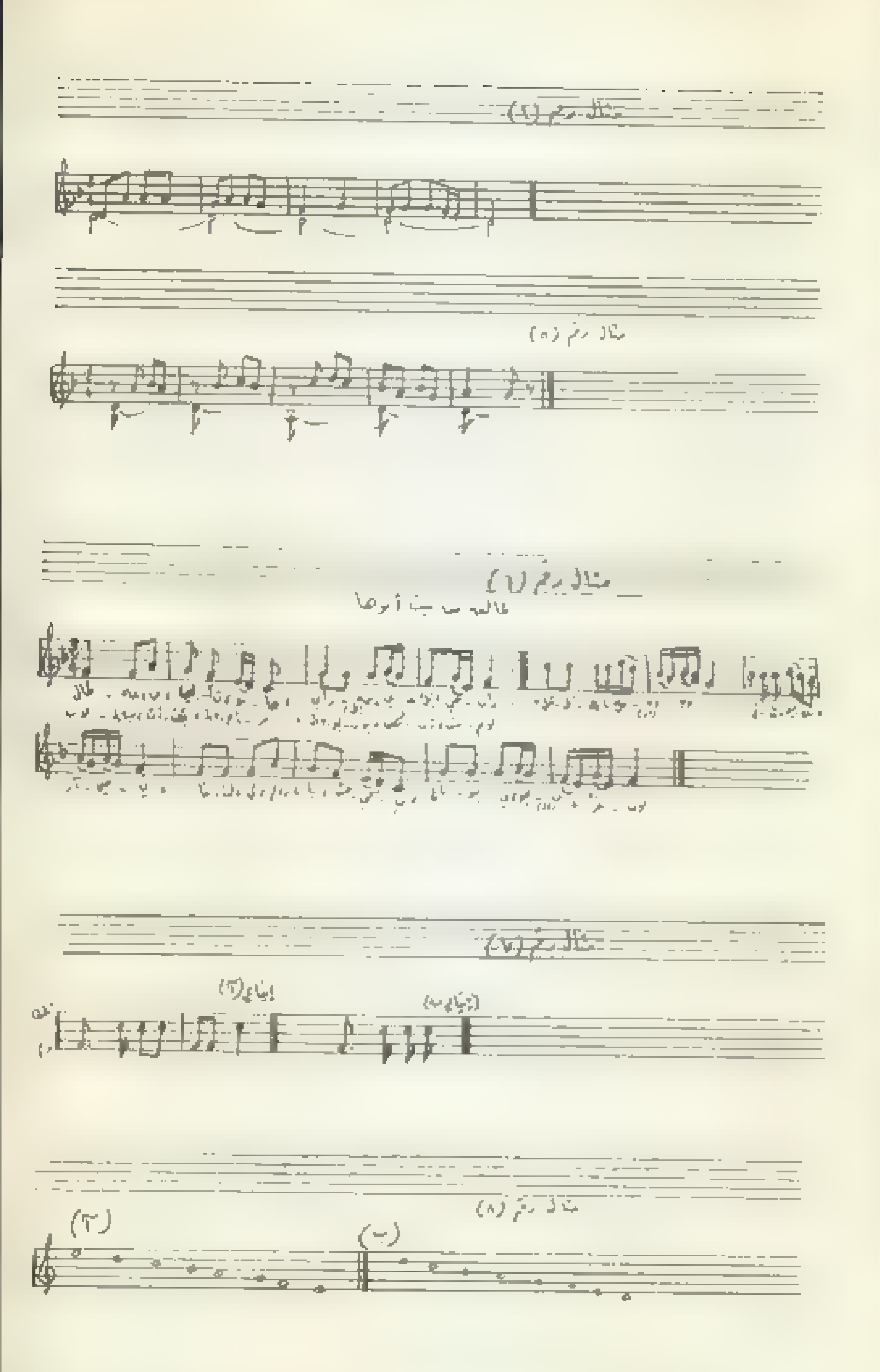
اغنية على دلعونا

وهي مؤلفة من (٦) خانات فقط نجد التحلية في الخانة الاخيرة دلالة على تاثرها بالغناء الكلاسيكي العربي . ونجد لحنيين صغيرتين في بداية اللحن وفي الثالث الخامسة . ونجد لهذا اللحن تنوعات مختلفة في مناطق عديدة من الوطن العربي ، وهو نوع من الغناء القروي .

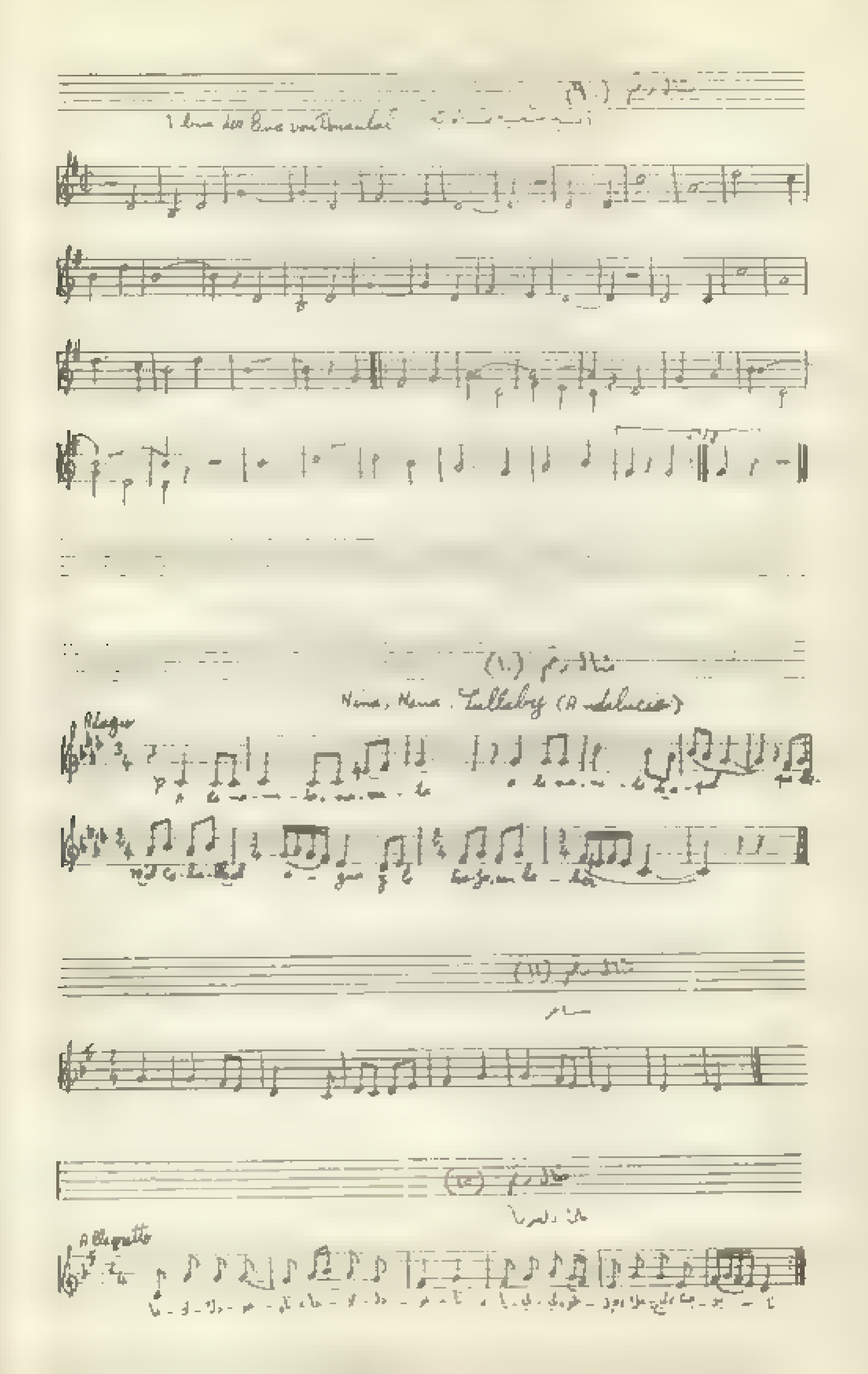
ونجد ان صوت (الا) يتردد كثيرا، فكان مفهوم التوميانت اوضح بهذا المثال من غيره .

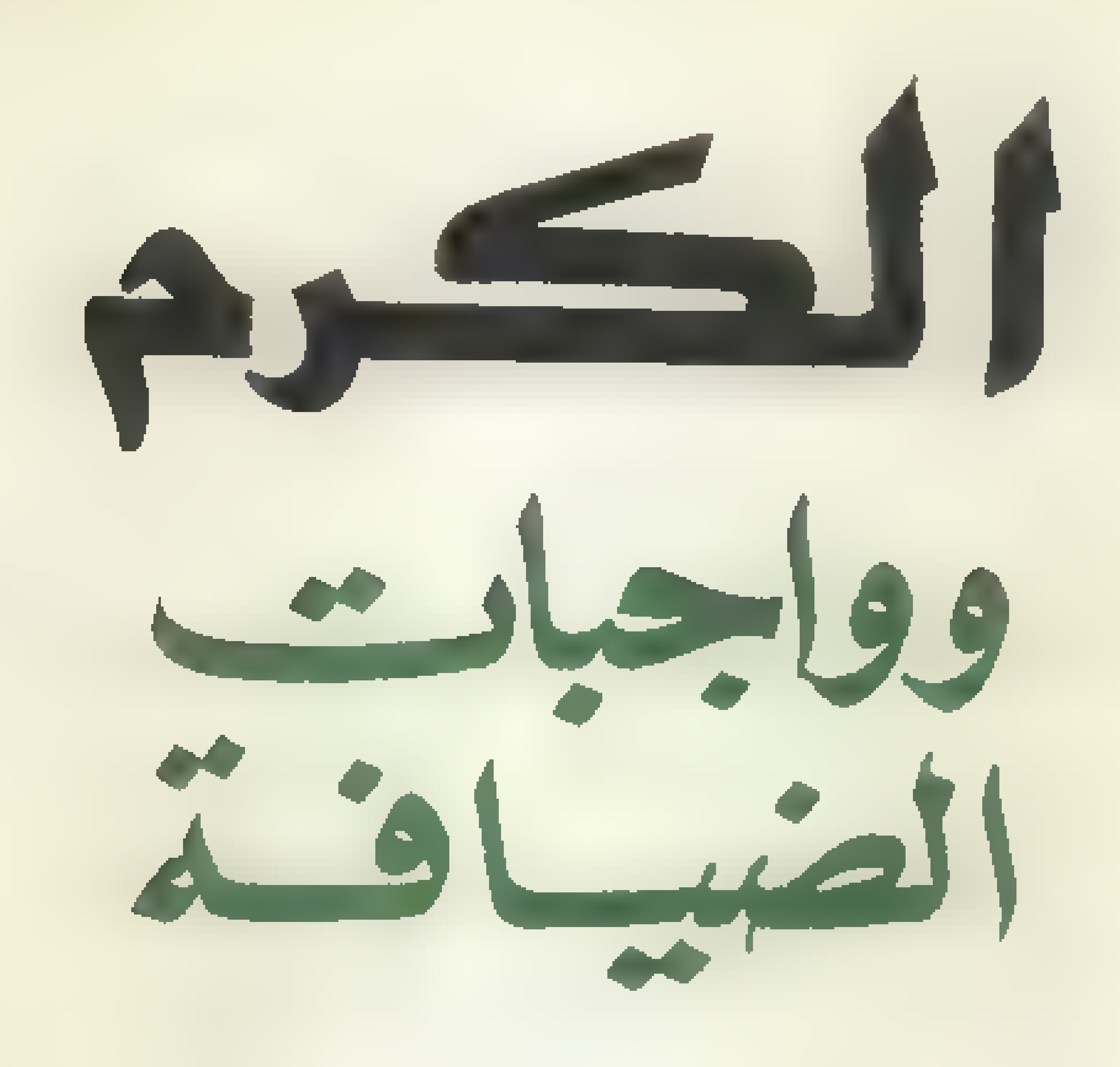
عبد الحميد حمام





مثال رقم (٤)
مثال رقم (٥)
مثال رقم (٦)
طالعه من بيت أبوها
مثال رقم (٧)
إيقاع (آ)
إيقاع (ب)
مثال رقم (٨)
(آ)
(ب)


Lullaby
Allegretto



الكرم هو ان يقدم الانسان لاخيه الانسان المأوى والمأكل والشراب بلا مقابل او هدف او غاية سوى اشباع رغبة وراثية في قلب كل عربي اصيل، لان الكرم صفة ملازمة للعرب ، وهو علم بكل ما في الكلمة من معنى كعلم الحساب ، لانه قائم على اسس ومبادئ، لا تتغير ولا تتبدل ، ويمكن ان يتطور ليصبح اساسا لثقافة عالمية وتفاهم دولي . والضيافة هي فن اداء الكرم ، ولذلك لا يمكن فصل احدهما عن الاخر .

كانت البلاد العربية عامة والاردن خاصة ، المختبر الذي اجريت فيه التجارب الانسانية على الطبيعة لايجاد أفضل واحسن وأكمل السبل لما يجب ان تكون عليه الثقافة الانسانية .

وقد تفاعلت عدة عوامل على مدى الاف السنين كان من نتيجتها ان اعلى مستوى يمكن أن تصل اليه علاقة الانسان الانسان بأخيه هو الكرم والضيافة . فأي شيء اعظم من ان يستقبل الانسان





اخاه الانسان كامير يقدم لـه المأوى والمأكل والمشرب بلا مقابل ثم يودعه كوزير !!.

يقع الاردن على الطرف الغربي من البادية العربية ويتأثر سكانه بكل ما تتأثر به البادية من عوامل اجتماعية. وبما ان البادية كانت مغلقة امام الفاتحين ، لذلك بقيت عادات وتقاليد سكانها عربية أصيلة منذ أقدم العصور واستمرت العوامل الاجتماعية تفعل فعلها دون انقطاع حتى وصل الخلق العربي الى ما وصلت اليه الثقافة الانسانية بحيث اصبح الاساس للديانتين النصرانية والاسلامية .

كانت مكة المكرمة محط رحال القبائل العربية القادمة من الشرق والغرب والشمال والجنوب بقصد الحج والتجارة . وكان القرشيون ، سادة مكة ، يختلطون بكل هذه القبائل التي تتكلم لهجات مختلفة ، ومع استمرار الاختلاط على مدى مئات السنين تشذبت لغتهم حتى أصبحت في أعلى مستوى لفظا وبلاغة وممثلة لكل اللهجات المختلفة ، وبها انزل

القرآن الكريـــم • ان موقع الاردن الجغرافي من البلاد العربية بـــين الشمال والشرق والجنوب كموقـــع مكة المكرمة ، وان اختلاط سكانه بكل سكان البادية باستمرار على مـــدى الاجيال والقرون جعل سكانه الممثلين لكل الاخلاق والعادات العربية وعلى أعلى مستوى من كرم وضيافة وحسن جوار • وعلى هذه الاخلاق بنى عيسى بن مريم تعاليمه التي صارت الاساس للنصرانية ، تحب قريبك كنفسك ، ثم جاء الاسلام «وتمم مكارم الاخلاق» • ومن الاردن انتقلت مكارم الاخـلاق والفروسية والارستقراطية مع العرب والصليبيين الى الغرب وافادته أكثر مما أفادته تعاليمه الكنسية •

اذا تعرض الجسم للشمس تتولد فيه السمرة • واذا استمر هـــذا التعرض اجيالا وقرونا يحدث تـأثيرا فسيولوجيا في خلايا الجسم بحيث تصبح السمرة وراثية • واذا انقطع التعرض للشمس بعد ذلك فالعامـل الوراثي يبقى كامنا ليظهر مرة أخرى ان واتته الظروف المناسبة • ومـا ينطبق على الجسم ينطبق كذلك عـلى الخلق البشري • فالعوامل الاجتماعية المستمرة في البادية العربيـــة أدت بالخلق العربي الى أعلى مستوى حتى أصبح وراثيا في كل عربي أصيل • واذا انقطعت هذه العوامل لسبب من الاسباب ، كالاقامة في بلاد غربية ، أو حالت دون ذلك بعض العوامـــل الخارجية ، فالخلق العربي يبقى كامنا ليظهر مرة أخرى اذا واتته الظروف المناسبة •

الخلق العربي عامة ، والكـــرم خاصة ، هو نتيجة تفاعل أربعـــة عوامل على الاقل في البادية العربيـة ، مجتمعة أو منفردة ، والمهم في كل عامل من هذه العوامل ان تكون فيه فائدة ومنفعة للفرد وللمجتمع حتى يضمن استمراره • وهـــذه العوامل هي :

١ ـ العامل الأول :

عدم وجود قرى أو استراحـات او مراكز تموينية على مسافة سفـر أيام أو اسابيع ، لذلك اضطر الانسان العربي ان يقدم لاخيـــه الانسان ، المأوى والمأكل والمشرب بلا مقابـــل سوى المعاملة بالمثل بين كل أفـــراد المجتمع واصبح للكرم والضيافة على طول المدى اداب وقوانين •

٢ ـ العامل الثاني :

الطعام واجب اجتماعي • البدوي لا يعيش لياكل بل ياكل ليعيش • فالطعام في بيته ضروري لاجل الحيـاة وفي خارجه واجب اجتماعي للمشاركة في تكريم ضيف جليل أو في مناسبات من شأنها دعم الرابطة الاجتماعيـــة وخلق محيط راق متناسق • ان هذه

المشاركة ضرورية للحياة البشرية اذ بدونها تصبح الحياة بهيمية من أجل اشباع الغرائز . للمائدة اداب وقوانين بالغة الدقة والذوق وعلى أعلى المستويات .

٣ ـ العامل الثالث :

عدم وجود جزارين في البادية والقرى ، لذلك درج السكان على ابتداع كل انواع المناسبات لذبح الذبائح لاقراء الضيوف ولاحتياجات العائلة . وقد اصبحت هذه الذبائح من الشعائر الدينية مثل الفصح عند النصارى والاضحى عند المسلمين . وفي حالة حدوث هذه المناسبات على فترات متباعدة يصطاد البدوي الضيف اصطيادا ، والامثلةعلى ذلك كثيرة .

٤ ـ الاتصال بالعالم الخارجي :

ان اقراء الضيوف والتحدث اليهم والاطلاع منهم على ما يجري من امور واحداث يلطف من حياة البادية الرتيبة .

ان تفاعل هذه العوامل أدى الى ضبط كل سلوك للانسان في جميع المجالات الاجتماعية بقوانين واداب دقيقة بحيث أصبح الخروج عليها من الاعمال التي يعاقب عليها الانسان بصورة من الصور ، واليكم هذه القصة عن خروج الانسان عن قوانين واداب الضيافة .

يروى أن البدو سموا احد الزعماء ، دابح ضيفه ، اي الذي يقرب ضيفه حتى يطرحه على الارض فعلم بذلك احد الزعماء فزاره فاكرمه « دابح ضيفه » اعظم اكرام ، ولما أراد الضيف أن يرتحل سأل مضيفه عن السر في ضربه لضيوفه ، أجاب : « انا اضربهم لانهم يرفضون الاكرام ، وما يرفض الاكرام غير الخسيس والخسيس دواء ان ندوسه ، وما كل ما اشيع عني فاعلم ان الضيوف هم الذين كانوا يخرجون على اداب الضيافة » ، اي ان للضيافة بروتوكولا دقيقا يجب التقيد به . هذا البروتوكول هو واجبات الضيف والمضيف . فما هي هذه الواجبات ؟ .

تتلخص واجبات الضيف بما يلي :

١ ـ قدوم الضيف : يكون « الشق » المكان المخصص للرجال في بيت الشعر ، في الجهة الشمالية والمحرم في الجهة الجنوبية منه . ولذلك لا يوجد مجال للخطأ بين الشق والمحرم . فعلى الضيف ، ان يقدم من الجهة الشرقية أي الامامية ، ان يستدير من بعيد الى الجهة الغربية

ويدخل من ناحية الشق حتى لايكشف المحرم وما يجري فيه • وهذا عامل مهم في الضيافة حتى في أعلى المستويات الاجتماعية • كما عليه الا يلتفت يمنة أو يسرة • يسمى الذي يتصرف هذا التصرف « المخروش » • وهي ليست صفة حميدة •

٢ ـ السلام : السلام هو ما ينشده كل انسان • وبما ان سكان البادية كانوا دائما معرضين للغزو في كل حين فالتحية بالقول « السلام عليكم » معناها اعطاء الامان والاطمئنان • هذا هو أصل التحية • وهناك قوانين تحدد على من تقع مسؤولية القاء السلام • وتتلخص هذه القوانين من الذي في مركز القوة هو الذي يجب عليه أن يبدأ بالسلام • فالضيف أقوى من المضيف • من حيث المفاجأة • والراكب اقوى من الماشي • والرجل أقوى من المرأة الخ •

٣ ـ يجلس الضيف عادة في مكان يقل مرتبة عن مقامه فيأتي المضيف ويضعه في المكان اللائق به • وهذا التصرف هو في منتهى الذوق والخلق الطيب الاصيل •

٤ ـ على الضيف الا يجلس بنعليه على الفراش • بل عليه خلعهما •

٥ ـ على الضيف ان يجلس بكل هيبة ووقار • واذا اتكأ يجب الا يظهر قدميه من تحت ثيابه او ان يمدها أمام الحاضرين •

٦ ـ على الضيف عدم الثرثرة أو مدح نفسه وأصله •

٧ ـ على الضيف احترام البيت الذي يدخله واحترام من فيه • وان كان عدوا له • وأي اعتداء على حرمة البيت او على من فيه يعد جرما يعاقب عليه أشد العقوبات •



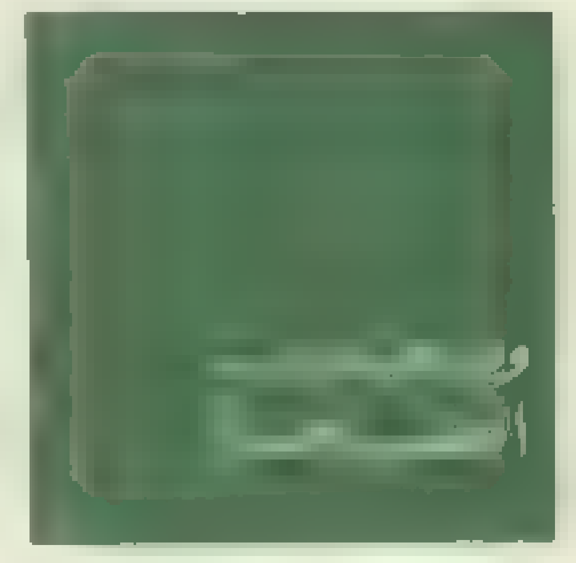
واليكم هاتين الروايتين اللتين اوردهما جوسان في كتاب « العادات العربية في مزاب » أوردهما لأهميتهما من وجهة دولية وثقافة انسانية •

القصة الأولى :

غزا سلامة (الدريبي) بن زين مع خمسة من رجاله بني شعلان (من

عربان سوريا) فوجدوا مخيما صغيرا وهاجموه وقتلوا أخوين وأخذوا بعض الجمال . وبينما هم في طريقهم راجعون لحق بهم الشعلان وشتتوا شملهم . وقد ضل الدريبي طريقه في الليل حتى وصل عند الصبح الى مخيم صغير فنزل





ضيفا على أحد البيوت . فاهل بـه صاحب البيت وقدم له القهوة . ثم قام ليحفر حفرتين لجثتين كانتا في البيت . وبينما هو كذلك تطلعت ابنته من فوق الساحة التي تفصل الشق عن المحرم ، ثم صاحت قائلة : « هذا قاتل أخوي » . انتهرها أبوها لتسكت ووبخها لازعاجها ضيفه . ثم قام بواجب الضيافـة له وصرفـه بسلام .

القصة الثانية :

نزل احد الضيوف في بيت فلاح شلاش الزبن في « ضبعه » (شرق مادبا) وقد تحرش به عليان الجدعان وضربه . طلب فلاح من عليان أربعين ناقة وضحاه ومهرتين بيضاوين وفرسا وعبدا وعبده لانه اعتدى على حرمة بيته باهانة ضيفه . كما الزم عليان بان يرضي الرجل الذي أهانه مهما كلف الامر . وقد امتثل عليان لكـل ذلك .

لو طبقنا واجبات الضيافة ، ولا أقصد الطعام هنا ، على كل فرد وكل دولة واحترم الفرد البلاد التي ينزل فيها واحترم أهلها . ولو احترمت كل دولة كرامتها وحرمـة ذاتها ومنعت اهانة نزلائها لوصلنا بالانسانيـة الى تفاهم تام بين جميع الشعوب ولساد الامن والاطمئنان في قلب كل انسان .

٨ ـ التقيد باداب المائدة وهـذه لها قوانين دقيقة .

٩ ـ على الضيف عند رحيله أن يشكر مضيفه على احتفائه به بالقول « كثر الله خير المعازيب » ويخرج من حيث اتى وبذات الاسلوب .

١٠ ـ على الضيف أن يستر كل عيب رآه في مضيفه ·

١١ ـ اذا سئل الضيف عما أكل من الطعام عند فلان الفلاني يقول عادة (ما يسر الله) وفي هذا القول منتهى الذوق والنبل ، أولا لأن الكلام عن الطعام لا يليق بالرجال · ثانيا انها تعني أنه قدم ما يسر الله عنده من طعام · ثالثا أن الضيف يعتبر كأسير والاسير يتقبل كل طعام يقدمه له آسره دون أن تبدو منه اية اشارة تدل على عدم الرضاء فهو « ضيف لا صاحب سيف » ·

واجبات المضيف أو المعزب :

تتلخص واجبات المضيف بالقول المأثور « يستقبل الضيف كأمير ويعامله كأسير ويودعه كوزير » · فلئلا يقع المضيف في خطأ في استقبال شخصية كبيرة لم يعرفها في بادىء الامر يجب عليه أن يستقبل كل ضيف وكأنه أمير ويعامله كأسير لأن معاملة الاسرى عند العرب كمعاملة الضيوف · ويودعه كوزير لأن الوداع يجب أن لا يقل عن الاستقبال حتى تتم كل واجبات الضيافة على أكمل وجه ·

١ ـ استقبال الضيف : لدى البدوي فراسة قوية بحيث أنه يحكم على درجة الضيف الاجتماعية من مظهره الخارجي ومن تصرفه أثناء قدومه الخ · فهو يستقبل الضيف حسب ما تتوفر لديه المعلومات عمن شخصيته اذ هناك قوانين تحدد كيفية استقبال جميع أنواع الضيوف ·

٢ ـ يحضر الفراش حسب مقام الضيف الاجتماعي ·

٣ ـ تحضر القهوة حسب الاصول ويتذوقها المضيف قبل أن يقدمها للضيوف ، حسب بروتوكول خاص·

٤ ـ يجب الا يقل مستوى الحديث في المجلس عن مستوى الضيوف والمضيف هو المسؤول عن ادارة الحديث ·

٥ ـ من يقدم الطعام ؟ يهب أحد « المعازيب » واقفا ويقول على مسمع من الضيوف « غداء أو عشاء الضيوف عندي » ويتجه نحو بيته ثم يتبعه بقية المعازيب ويعترضون طريقه ، اذ كل واحد منهم يود أن يقوم هو بواجب الضيافة · ويسمي البدو هذه المشادة « المغالطة » وهذه المغالطة مهمة جدا لانها تبين أولا : مدى اهتمام المعازيب باكرام الضيف · ثانيا : اذا كان الضيف صديقا لأحد المعازيب فالأخير يرفض أن يكرمه أحد غيره · ثالثا : منع البخلاء من

القيام بواجبات رجـال ذوي مقام خوفا من تصورهم بالواجب • رابعا : تعطي المجال لكل معزب ان يقـوم بواجب الضيافة دون ان يكون هناك ترتيب مسبق ، لان ليس كل الضيوف سواء ولا كل المعازيب كذلك •

٦ ـ من العار أن يجلس المعزب (المضيف) على الطعام مع الضيف لان واجبه ان يقوم على خدمته لا أن يشاركه فيه • يقول سكان الباديـة : « ضبع الرجال الذي يشبع وهـو مضيوف وينام وهو مخيوف » ، أي ان الانسان الذي يأكل مع ضيفـه وينام وهو يعلم ان احدا يتربص له ليقتله او يسرقه هو كالضبع حيوان كاسر لا آداب عنده •

٧ ـ يجب على المضيف ان يودع ضيفه بمثل ما استقبله به مـن حفاوة •

قبل أن انهي هذا المقال اود أن اورد هذه المحادثة التي جرت بيني وبين المستر جـولارد (Gullard) الهولاندي الجنسية ومن خبراء الامم المتحدة في الاردن قبع بضع سنوات •

قال : عندمـا علمت بنقلي الى الاردن قرأت كل ما أمكنني الحصول عليه من الكتب التي تبحث في شؤون الاردن واستوعبت تقريبا كل ما قرأت الا انه استعصى علي فهم معنى الكرم والضيافة عند العرب • وذات يوم كنت اتجـول بسيارتي في أطراف البادية وحدث خلل مفاجيء فيها عند غروب الشمس ولم يكن بالامـكان اصلاحه في ظلمة الليل ، وكنت قريبا من مخيم للبدو فدعوني للبيت عندهم فقبلت مضطرا قال : تأمل انهـم أعطوني فراشهم لانام عليه وناموا هم على التراب بدون فراش ، وذبحوا لي ذبيحة ، وفي الصباح أعطوني فطورا لا بأس به ولما عرضت عليهم الدراهـم مقابـل ضيافتي رفضوا بكل اباء ، وعندما سألت اذا كان لديهم حاجة بامكاني قضاؤها لهم عند الحكومة أو من هيئة الامم أو مني شخصيا قالوا : كلا لسنا بحاجة الى شيء واننـا مسرورون جدا باننا قمنـا بواجب الضيافة لك • وعسى اننا ما قصرنا بواجبك • قال لي : كيف تشرح هذا التصرف • قلت : الكرم هو عـادة وراثية في قلب كل عربي اصيـل والضيافة والكرم هـو تقديم المأوى والمأكل والمشرب لكـل انسان دون تمييز وبلا مقابل وبدون هـدف الربح أو الاستفادة المادية • الكرم هو اشبـاع لرغبـة كامنـة في نفس الانسان العربي تجاه أخيه الانسان •

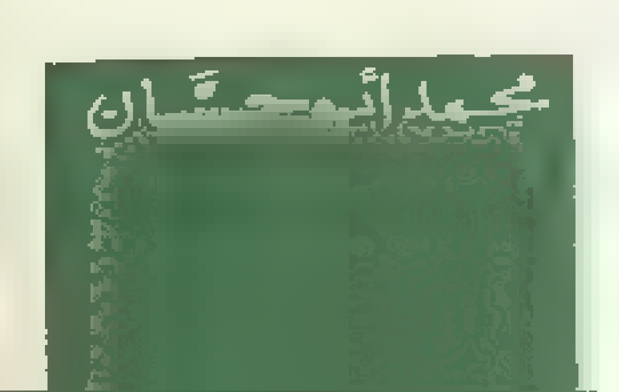
دكتور يوسف شويحات





لعل مما سيدهش القارىء ان يعلم انني سمعت لاول مرة باسم قرية « كفر الماء » في امريكا . ففي عـــام١٩٦٥ كنت طالبا في قسم الدراسات العليا في جامعة « انديانا » وحين علم احد الطلبة الاجانب بانني اردني بادرني بالسـؤال عن تلك القرية ،ورغم دهشتي لسؤاله فقد عللت الامر بانه قد يكون قام بزيارة لـــلاردن وتلك القرية بالذات ، ولقد استغرب هو بدوره عدم معرفة الاردنيين بتلك القريـــة خاصة وان احد العلمـــاء المشهوريـــن قـــد قـام بـدراسة انثروبولوجية هامة عنها ، وقد زادني ايضاحا بامر ذلك العالم هو استاذ في الجامعة نفسها .

ومـــن قراءتي للكتاب تبينت الى اهمية تلك الدراسة على اعتبار ان قرية كفر الماء تمثل القرية الاردنية الاصيلة بل والقرية العربية ، وقـد حاولت في هذه الدراسة ان اضيف الى ذلك الكتاب جوانب اخرى حتى تكتمل الصورة عن قرية كفر الماء في ذهن القارىء ومن ثم اعرض الكتـــاب نظرا لاهميته .





كفر الماء

لمحة عامة :

يعتبر الاردن من اقدم البلدان عمرانا ، ساعده في ذلك موقعه الجغرافي فكان همزة الوصل بين حضارات سوريا وما بين النهرين ، وبين الحضارة المصرية ، يضاف الى ذلك وقوعه على مدخل جزيرة العرب حيث كان الدرب الرئيسي الذي تسلكه الموجات العربية المختلفة مهما كان اتجاهها . ولقد كان البعض من تلك القوافل يكمل طريقه والبعض يستقر في الاردن . الى ان تأتي موجات جديدة من الجزيرة فتحرك تلك التي استقرت وتأخذ مكانها . ولا تزال في الاردن اليوم عشائر يعود تواجدها في الاردن الى ما قبل الاسلام .

اما ظهور الاسلام وانتشاره فقد كان عاملا قويا في دفع موجات سكانية جديدة من داخل الجزيرة الى انحاء كثيرة في العالم . وقد تأثر الاردن بهذه الموجات، حيث اعيد توزيعه السكاني مرات عديدة .

وتختلف الموجة الاسلامية عن الموجات السابقة في كون العربي المسلم هنا انطلق من الجزيرة كعنصر حضاري فعال ترك بصمات اعماله المجيدة في اكثر بقاع العالم القديم . ويمكننا مشاهدة الاثار الاسلامية في انحاء الاردن المختلفة .

ولقد مر الاردن خلال تاريخه الطويل بمراحل عديدة تحمل صبغة خاصة اذ انه كان يجمع بين السكان الحضر والسكان من العشائر البدوية فحين كانت الدولة قوية كانت القرية الاردنية تنتعش ويزداد الانتاج الزراعي وتزدهر التجارة على اعتبار ان الاردن كان معبر القوافل التجارية بين اسيا وافريقيا ، اما ضعف الدولة فكان ينعكس بصورة واضحة على السكان . اذ كانت تبرز قوة العشائر البدوية فتسيطر بدورها على القرى وعلى المزارعين ، وتستمر الحالة على هذا المنوال حتى تدب الفوضى وينهار النظام . وامام هذه الصعوبات كان المزارع يضطر الى هجر القرية والتجمع مع المزارعين الاخرين في موقع حصين طلبا للحماية وتسهيلا للدفاع عن عائلته وامواله . ونتج عن ذلك تدهور الزراعة والتجارة لان الازدهار لا يمكن ان يتم الا في ظل النظام والقانون فالقوافل التجارية كانت تغير طريقها من مناطق الفوضى الى المناطق الامنة . وهذه صورة واقعية تنطبق على القرى الاردنية ومن جملتها قرية كفر الماء . موضوع هذه الدراسة .

موقع كفر الماء الجغرافي :

تقع قرية « كفر الماء » في محافظة اربد وهي تابعة « لقضاء الكورة » حيث تمتد سلسلة جبال عجلون التي تفصل ما بين وادي الاردن الشمالي وسهول محافظة اربد الشرقية ، وترتبط قرية « كفر الماء » بقرية « دير أبي سعيد » بطريق معبد وتبعد عنها بضعة كيلو مترات . وكما ان قرية « كفر الماء » تقوم على اثار قرية قديمة كانت عامرة زمن الرومان وفي العصر الإسلامي اذ وجد بها اثار مسجد قديم . كذلك الحال بالنسبة لاكثر القرى المجاورة لها . ومما يجدر ذكره ان محافظة اربد تضم اكثر من ٣٦٠ قرية كثير منها يدعى « كفر ... » وهي كلمة قديمة بمعنى قرية . واراضي القرية « كفر الماء » مزروعة بمختلف الاشجار وبالمزروعات الموسمية لان كثرة السكان وغزارة المياه واعتدال الطقس وانتشار العمران بجانب الاراضي الزراعية ، كل ذلك ادى الى اعمارها واستغلال كل متر منها ، وبذلك يزداد موقع كفر الماء جمالا بارتفاعها وكثرة الاشجار حولها وبالنمط العمراني الجديد البارز في القرية .

تقسيمات قضاء الكورة الادارية واختلافها عن التقسيمات العشائرية :

لما كانت قرية كفر الماء تشغل جزءا من ترتيبها في التوزيعات العشائرية القديمة والتقسيمات الادارية الحديثة . ففي حين نلاحظ ان قضاء الكورة من الناحية الادارية يشمل القرى التالية :

١ ــ السموع .

٢ ــ صمد .

٣ ـ زمال ·

٤ ـ تبنه ·

٥ ـ مرحبا ·

٦ ـ دير ابي سعيد ·

٧ ـ ابو القين ·

٨ ـ جنين الصفا ·

٩ ـ جفين ·

١٠ـ كفر الماء ·

١١ـ الاشرفية ·

١٢ـ كفر راكب ·



١٣ـ بيت ايدس ·

١٤ـ كفر عوان ·

١٥ـ كفر ابيل ·

١٦ـ كفر ابيل ·

١٦ـ اجديتا ·

١٧ـ ام امنحل ·

فاننا نرى ان منطقة الكورة من الناحية العشائرية تضم القرى السابقة بالاضافة الى ثلاثة قرى اخرى هي :

١ ـ عنبه ·

٢ ـ دير يوسف ·

٣ ـ بيت يافا ·

حيث الحقت القرى الثلاثة الاخيرة بقضاء اربد · اي ان « كفر الماء » هي جزء من منطقة الكورة سواء من الناحية العشائرية القديمة او الناحية الادارية الرسمية · كما ان مركز التجمع العشائري القديم كان في قرية « بتنه » بينما اصبحت قرية « دير ابي سعيد » هي مركز القضاء الاداري اليوم فتناقص عدد سكان الاول وتزايد عدد سكان الثانية ·

نوطئة تاريخية :

ان منطقة الكورة بكاملها والتي تشكل « كفر الماء » احدى قراها كانت ايام الحكم العثماني تخضع لحكم « امير عجلون والكرك » · فبعد ان كان والي الشام الذي اتخذ دمشق مركزا له يحكم الاقاليم الاخرى مباشرة من دمشق ايام ازدهار الدولة العثمانية . فقد اصبح في نهاية تلك الدولة اضعف من ان يقوم بذلك نظرا لقوة شوكة العشائر الاردنية المختلفة سواء في مناطق الصحراء الشرقية كما هي الحال بالنسبة لعشائر بني صخر والسردية التي

كانت تهدد طريق الحج الشامي او العشائر في المناطق الاخرى كعشائر الكرك والبلقاوية وعشائر محافظة اربد . ونتيجة لهذه العوامل الجديدة فقد ظهر الى الوجود حكام محليون من ابناء تلك العشائر واستطاع بعضهم ان يحصل من الدولة العثمانية على لقب (امير عجلون والكرك) وقد ادى ذلك الى تجمع العشائر والتفافها حول الزعامات المحلية . أما عشائر الكورة فكان مركز تجمعها قرية « تبنه » حيث تسلمت زعامتها عشيرة «الشريده» ولقد كان الدافع للتجمعات العشائرية هو الخوف من غزو العشائر الاخرى ومن هنا ندرك السبب في نشوء التحالف العشائري اي « البخمة » التي ربطت عشائر الكورة مع عشائر بني صخر ايام انحلال الدولة العثمانية . وقد حدثني الشيخ عبدالله الكليب الشريدة بان الامير وهو أحمد أحد أبناء الامير(١) ظاهر العمر الزيداني قد اتخذ من (تبنه) مركزا لامارته على مناطق شرق الاردن ولا زالت قلعتها الى اليوم تعرف بقلعة « الزيادنة » نسبة الى ظاهر العمر الزيداني وليس صحيحا ان عشيرة الشريده هم من ابناء الامير ظاهر العمر كما ذكر بعض المؤرخين الذين ربطوا بين اتخاذ الامير احمد قرية (تبنه) مركزا لامارته وبين وجود عشيرة الشريده في نفس القرية في ذلك الحين . والصحيح ان عشائر الشريده كانت تسكن « الربة » في منطقة الكرك قبل مجيئها الى (تبنه) ولكن عشائر العمرو اجبرتهم على الهجرة من تلك المنطقة وبذلك يكون نسبهم الى ظاهر العمر غير صحيح . وقد روى لي الشيخ عبدالله الكليب الشريده بأن اربعة اخوة قد تركوا الربة فاتجه احدهم الى القدس وسمي اولاده (آل الخالدي) اما الثاني فقد اتجه الى صفد حيث سمي اولاده (آل قدوره) والاخ الثالث ذهب الى (تبنه) في محافظة اربد حيث سمي اولاده (الشريده) . وأما الاخ الرابع فقد ذهب الى بير القاسي في لبنان .

وتعتبر عشيرة « الشقيدات » اقدم عشائر قرية (تبنه) حيث نزلت الشريده على تلك العشيرة فالتحمت العشيرتان عن طريق المصاهرة والتحالف . ومما يجدر ذكره ان عشيرة (الشقيرات) هي احدى عشائر المهيدات التي كانت تسيطر على منطقة الاغوار الوسطى وقد هاجرت من هناك بعد حروب طويلة .

سكان قرية « كفر الماء » :

كانت عشيرة الرشدان تسكن هذه القرية وتسيطر على القرى المجاورة وبعد نزاع طويل بين الشريده والرشدان استطاع الشريده التغلب



على الرشدان حيث جلا أكثر افــراد العشيره اخيرة عن تلك المنطقة وعلى أثر ذلك الفراغ السكاني نزح عدد من افراد عشائر قرية (تبنه) الى قرية « كفر الماء » حيث استقروا هناك وقد رافقت هــذه التوزيعات السكانية انهيار حكم اميلار ظاهــر العمر وابنائه ويمكن توزيع سكــان كفر الماء على الشكل التالي :

١ ـ عشيرة بني ياسين :

وهي اكبر عشائر هذه القريــة اذ يبلغ عدد افرادها حوالي ٨٠٠ نسمة وقد نزحت هذه العشيرة مــن قرية (تبنه) حوالي سنة ١٨٨٩ ٠

٢ ـ عشيرة بني الدومي :

ويبلغ عدد أفرادها حوالي ٦٠٠ نسمة ٠ وقد نزحت هذه العشيرة من قرية « تبنه » وسكنت قريــة « كفر الماء » في نفس الوقت الــذي نزحت به عشيرة بني ياسين ٠

٣ ـ عشيرة بني عامر :

ويبلغ عدد افرادها حوالي ٦٠٠ نسمة وقد نزحت من « تبنه » في نفس الوقت الذي نزحت به عشيرتا بني ياسين والدومي ٠

٤ ـ عشيرة بني مهيد (الشقيرات) :

وقد نزحت من قرية (تبنه) في حوالي سنة ١٨٨٩ ويبلغ عدد افرادها حوالي ٨٠ نسمة ٠

٥ ـ عشيرة الخطايبه :

ويبلغ عدد افرادها حوالي ٦٠ نسمة . قدمت الى كفر الماء حوالي سنة ١٩٠٣ من قرية مردا قضاء سلفيت في نابلس ٠

٦ ـ الرفاعية :

ويبلغ عدد افرادهــا حوالي ٤٠ نسمة وقد نزحت الى قرية كفر الماء من « تبنه » سنة ١٨٨٩ ٠

٧ ـ الطبنجات :

ويبلغ عدد افرادها حوالي ٢٠ نسمة وقد نزحت من قرية (تبنه) حوالي سنة ١٩٤٣ واستقرت في كفر الماء ٠

ونأتي الآن للكتاب الذي تحدث عن قرية كفر الماء ٠

ان مؤلف هذا الكتاب هو البروفسور الامريكي ريتشارد انطون العالم المتخصص في



انثروبولوجيا الشرق الاوسط ، ويحتل مركزا علميا ، مرموقا ، في اواسط الدراسات الانثروبولوجية . وفي مقدمة كتابه يعدد البروفسور انطون الاسباب التي دعته الى اختيار قرية كفر الماء في قضاء الكورة في محافظة اربد لتكون مدار ابحاثه ودراساته اذ يعتبر هذه القرية نموذجا للقرية العربية المسلمة في الشرق الاوسط .

بعد ان وصل المؤلف الى منطقة عجلون في شهر تشرين الثاني ١٩٥٩ تجول في عشرين قرية ثم اختار قرية كفر الماء لاسباب اهمها :

١ ـ انه يريد معرفة العلاقة بين القانون الاسلامي والقيم والعناصر الاخرى من ناحية وموقف العادات والتقاليد المحلية من ذلك من ناحية اخرى .

٢ ـ من الاسباب التي دعته الى اختيارها وجود مسجد وامام .

٣ ـ انه يعتبر القرية تقليدية في حياتها الدينية والزراعية والاجتماعية .

كل هذه الاسباب مضافا اليها ما لمسه المؤلف من تعاون اهل قرية كفر الماء وترحيبهم بالفته بينهم حتى دعوه (ابـن القرية) ، دعته الى ان يركز ابحاثه في تلك القرية .

وبعد ان مكث المؤلف سنة كاملة في قرية كفر الماء اختلط خلالها بالسكان وعاش بينهم وكأنه فرد منهم حيث دون ملاحظاته ومشاهداته حول اسلوب الحياة الذي يعيشونه وقد ترك كفر الماء في تشرين الثاني سنة ١٩٦٠ حيث عين محاضرا في مركز ابحاث الانثروبولوجيا الاجتماعية في جامعة مانشستر في بريطانيا وخلال العشرين شهرا التي امضاها في تلك الجامعة كتب الفصلين الاول والثاني من كتابه .

وفي سنة ١٩٦٣ اعد دراسة عن كفر الماء وقدمها الى جامعة هارفارد في الولايات المتحدة .

وبعد ذلك عاد الى كفر الماء حيث امضى شتاء سنة ٩٦٥ ـ ٩٦٦ وصيف سنة ٩٦٦ وربيع ٩٦٧ جمع خلال هذه الفترات ملاحظات عديدة .

وبعد ذلك عاد ليعمل استاذا في كلية الانثروبولوجي في جامعة انديانا في الولايات



المتحدة . اما الان فهو يدرس الانثروبولوجي الاجتماعية في جامعة ولاية نيويورك .

صدر الكتاب سنة ١٩٧٢ عن مطابع جامعة انديانا وهو يقع في ١٨٢ صفحة من الحجم الوسط ويتناول مواضيع مختلفة فضلت ان اتناولها واعلق عليها لاهمية هذه الدراسة . عرض الكتاب :

يتألف الكتاب من المقدمة وثلاثة فصول واستنتاج عام ويحوي على عدد من الخرائط والكشوفات واللوحات لكي يدعم بها النتائج التي توصل اليها .

اما الفصل الاول فيبحث الخلفيات التاريخية والبيئية (الايكولوجية) ويقسمها الى الابحاث التالية :

١ ـ الموقع الجغرافي : اذ يصف موقع قرية كفر الماء في قضاء الكورة وارتباطها مع القرى المجاورة .

٢ ـ الزراعة ونوع التربة وكمية الامطار والرياح التي تتعرض لها القرية وارتفاعها عن سطح البحر وتأثير ذلك على السكان .

٣ ـ الدورة الزراعية : ويعدد انواع المزروعات في تلك القرية ويحدد مساحة كل نوع كما يميز بين الاراضي المزروعة بعلا او « ريا » .

٤ ـ لمحة تاريخية عن منطقة الكورة وعجلون في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين .

٥ ـ انواع الاراضي وملكيتها اذ يصنفها الى مملوكة وموقوفة واميرية ومتروكة وموات، ويعطي صفات واحكام كل منها . ثم يعدد نسبة كل نوع من هذه الاراضي في قرية كفر الماء .

اما الفصل الثاني : فيشمل تركيب سكان كفر الماء الاجتماعي ويضم هذا الفصل الابحاث التالية :

أ ـ التركيب الوظيفي (الاختصاص العملي) ويشمل العاملين بالزراعة والجيش والمتقاعدين والمهنيين الاخرين كل حسب تصنيف مهنته ثم يذكر غير العاملين ونسبتهم في القرية .

ب ـ وصف الوحدات الاجتماعية وتحليلها .



١ ـ لمحة تاريخية موجزة واهمية عائلة حماد مع استعراض لما ذكره فريدريك بك من تاريخ تلك العشائر . ثم يضرب مثلا على ذلك .

٢ ـ تعريف الوحدات الاجتماعية اذ يقسم العشيرة الى بطون وافخاذ وعائلات واقارب الدرجة الخامسة ثم الى بيوت .

٣ ـ البيت : ويبحث عدد افراد العائلة ودور كل منهم في المجتمع ورئاسة العائلة .

٤ ـ اقارب الدرجة الخامسة مع ذكر عوامل التعاون والتناحر ثم يورد امثلة على ذلك .

٥ ـ الحمولة : حجمها مفاهيمها ، اسمها ، علاقاتها الاجتماعية وتنظيماتها السياسية ويوضح ذلك بمثال تطبيقي .

٦ ـ المبادىء التي تحافظ على وحدة افراد الحمولة وقت المحن والازمات الاجتماعية وتقوم هذه المبادىء على روابط القرابة العصوبة بالدرجة الاولى : ثم يورد مثالا توجيهيا .

٧ ـ العشيرة : قيمها ، علاقاتها الاجتماعية ، ونشاطها الاقتصادي . والعامل الاول في حفظ وحدة العشيرة وضبطها هو رابطة القرابة .

٨ ـ المختار : ويعتبره ممثلا للعشيرة والقرية ثم للحكومة المركزية في المحافظـة او المتصرفية .

٩ ـ دور العشيرة في الضبط الاجتماعي : ان كبار العشيرة وشيوخها يلعبون دورا من حيث ضبط افراد العشيرة اجتماعيا والحيلولة دون خرق تقاليد العشيرة ثم يضرب مثلا على ذلك .

١٠ـ القرية والفباء للتعرف على البيئة الاجتماعية القروية .

الفصل الثالث : ويشمل : الزواج : ويبحث هنا الامور التالية :

١ ـ الخال : كرابطة من ناحية الام وكعامل وحدوي بين سكان القرية نظرا لتشابك العشائر في القرية من حيث الزواج .

٢ ـ اسلوب الزواج : ويتطرق الى بحث الوساطة والخطبة والجاهه وعقد النكاح وحفل الزفاف ، ثم يتطرق الى العناصر الواجب توفرها وهي شرف العائلة واصل الفتاة ثم يتطرق الى حق المشورة بين اهل الفتاة ثم يبين المهر ودور المأذون الشرعي ثم يبحث في الزواج والطلاق .

٣ ـ النمط الزواجي : ويميز اربعة انماط :

أ ـ النمط المختلط وهو ان تتزوج بنات وابناء الحمولة الواحدة من ابناء وبنات من العمائل اخرى لاهل القرية .

ب ـ زواج ابن العم اي الزواج المكثف وهذا النوع من الزواج يحفظ وحدة العشيرة في القرية الواحدة .

ج ـ الاكثار من الزواج بين عائلتين معينتين مما يؤدي الى اندماج هاتين العائلتين عن طريق هذا الزواج كان يتزوج ابناء شخص (ما) من عدة بنات لشخص اخر وهكذا فان هذا النوع من الزواج بين عائلتين يؤدي الى تقاربهما .

د ـ زواج البدل : وهو ان يتزوج الاخ بفتاة (ما) مقابل ان يزوج اخته من اخ تلك الفتاة عن طريق البدل كما انه يصح ان يتزوج الاب من فتاة (ما) مقابل ان يزوج ابنته من اخ تلك الفتاة او والدها ولا يدفع اي منهما مهرا للاخرى لان الفتاة تكون مهلا للاخرى ويلاحظ بانهم يسجلون في العقود مبلغا من المال كمهر لكل فتاة ولكن الواقع غير ذلك . ويلاحظ البروفسور انطون بان زواج ابن العم يؤدي الى اربع وظائف اجتماعية :

وظيفتان اقتصاديتان والثالثة سياسية والرابعة بنائية .

اما الوظيفتان الاقتصاديتان فهما :

١ ـ العمل على ازالة الفوارق الاقتصادية بين ابناء العمومة عن طريق ارث الزوج والزوج .

٢ ـ ابقاء الارض في العائلة الواحدة بـدلا من توزيع جزء منها على البنات المتزوجات من خارج العائلة .

اما الوظيفة السياسية التي تنتج عـن زواج ابن العم من ابنة عمه فهي تهدف الى الحفاظ على الوحدة السياسية بين الاقارب لمواجهة المصاعب والازمات .

اما الوظيفة الرابعة البنائية فهي تظهر في توثيق روابط القرابة في الحمولة .

الخلاصة :

وفي نهاية هذا الكتاب لا يسعني الا ان ابدي تقديري للروح العلمية التي رافقت المؤلف في جميع فصول الكتاب بالرغم من انه لم يعط صورة واضحة لتاريخ المنطقة وارتباطاتهـا العشائرية القديمة والحديثة .

واعتبر هذا العرض دعوة صريحة لابناء الامة العربية للقيام بدراسات عمائلـية تستند على التحليـل الانثروبولوجي الموضوعي بهدف وضع الحلول المناسبة لقضايانا الاجتماعية في سبيل رفع المستوى ودفع عجلة الانتاج والتقدم الحضاري في المجتمـع العربي .

محمد ابو حسان



أ ـ مواد الوقود للخبز .

نستعرض هنا جميع ما يستعمل للوقود في فلسطين ، ليس فقط ما يستعمل للخبز ولكن كذلك ما يستعمل للطهي والتدفئة واسباب الاستعمال الاخرى . وكل مادة من مواد الوقود الموجودة في منطقة ما لها مداولها وفائدتها في ناحية من نواحي الاستعمال وكذلك بالنسبة لتجهيز ادوات الخبز .

١ ـ الحطب

تفتقر فلسطين الى الحطب لانه ولغاية ١٩٢٠ لم يوضع اي اجراء لحماية الاشجار ، فان الحطب لا يزال مادة مهمة للوقود .

هذا وتقوم النساء والفتيات القرويات بالذهاب الى مناطق الغابات والاحراش حيث يجمعن ما يمكن جمعه دون عناء بطريقة القصف او القلع او التحطيب ، عائدات به على رؤوسهن الى البيوت . ويستعملن لذلك بلطه صغيرة مما يسمى في فلسطين (فروه) فاس ، فواري ، قطاعه وتسمى في الخليل نجمة .

ولقطع اغصان الاشجار وبخاصة المثمرة يستعمل ما يسمى شرخ ، بلطه ، طبار . هذا ويستفاد كذلك من اغصان الاشجار المعروفة في فلسطين كالصفصاف والسرو والتوت البري والاثل .

ويتجنب الناس قطع شجر العبهر الذي تستعمل حبات ثمره البنيسة



ترجمة :

الدكتور يونس التميمي

كوشانج الفار والذي يقال ان عصا موسى صنعت منه حين هروبه من مصر الى الصحراء ·

وكذلك يتجنب قطع اشجار اللوز البري حيث يقال ان عصا الرسول محمد صنعت منه ، ولكن تقطع اغصان من هذا الشجر للبركة ·

ويتجنب الناس شجيرات شحرول للاعتقاد بانها تسبب العقم ·

ويطلق اسم الحطب على جميع الاغصان المقطوعة وجذوع الاشجار وكذلك كل ما يوقد ، وجامعاته يسمين الحطابات ·

أما عن اغانيهن فقد وردت نماذج منها في الجزء الاول صفحة ٨٢ وما بعدها وكذلك في ديوان فلسطين صفحة ٤٢ وما بعدها ، وهذه بعض النماذج الاخرى : لقد غنت فتيات (مخماص) الاغنية التالية في ٢١ شباط سنة ١٩١٣ ·

يا محطبات الحطب منين جبتنه

يا مخليات العزب تمشي وراكنه

يا محطبات الحطب روس العراقيب

يا مخليات العزب يعوي كما ذيب

يا محطبات الحطب روس الحطب حنه

يا مخليات العزب تمشي وتتمنى

الله معاكن يا الله رايحين بعيد

ردكن بالسلامة على جاي العيد

وغنيت هذه الابيات للمؤلف وصحبه

بواد الصويتيط قادوا خيولهم

هلول النصارى ■ حي غيرهم ·

ويتداول الناس النصيحة احيانا بانه اذا جرب احد قطع غصن ولم ينقطع معه ان لا يحاول غيره قطعه . وكانت الفتيات يرددن هذين المقطعين حين حزم الحطب :

العود الملوى لا تلويه

وجوز المرا لا تاخذيه (كزوجة ثانية) .

هذا ويميز بين حطب الغصن والجذع التي يصنفها الرجال عادة ويقال لذلك (منخله) وتتم عملية التصنيف ابتداء من شهر اب لان الرجال يكون لديهم وقت اكثر ويكون الحطب قد جف .

ويتم ارسال الحطب الجيد الذي يباع لافران المدن ولمواقد تدفئة الاوروبيين على ظهور الحمير والجمال ليتم بيعه اما بالوزن أو بالحمل .

وبالاضافة الى بقايا الاحراش ، يتم جمع بقايا اشجار الزيتون القديمة وجذورها .

ويبين المثل التالي القيمة الكبيرة لخشب الزيتون كوقود

اخضر الزيتون يابس الحطب

ويستعمل لتكسير قرامي الحطب البلطة الثقيلة (الفاس) . وهذه البلطة لا تقص الحطب ولكن تقطعه الى اجزاء غير متساوية . وتستعمل القرامي الكبيرة كقاعدة لتقطيع الخشب ويثبت الحطاب قطع الخشب برجله اذا احتاج لذلك احيانا ، واذا توافر جذع شجرة كبيرة فيتم قصه بواسطة المنشار . ويتم القص بوضع احدى طرفي الجذع او الطرفين معا على صقالة بدائية او يثبت قاطعو الحطب الجذع بارجلهم ويجلسون فوقه القرفصاء اثناء عملية القص . ولا يلتفت عادة الى النشارة الناتجة عن القص .

وهكذا يتم تحضير خشب الوقود والذي يسمى عموما بالحطب والقطعة منه تسمى حطبة او عود والمادة هي الخشب .

ويعتمد نوع الحطب وحجمه في كل حالة على اداة الاستعمال المنزلية ، للنقره او القانون ، للموقد او الطباخ الذي يوضع عليه القدر ، او اناء الطبخ النحاسي (الطنجره) او لاي نوع من انواع المواقد .

ويتم اختيار الحطب حسب الحاجة والموسم من السنة وتوافر مواد الوقود الاخرى او عدمه .

٢ ــ الفحم النباتي

ويعتبر اقل اهمية للخبز منه للطبخ او الشي او التدفئه . وكذلك يتم التمييز بين ما يستعمل لاغراض

الحرف ويسميه العرب الفحم او الحجر ويستخرج ايضا من الخشب. ولقد شاهدت بنفسي في ٢٣/ اذار/ سنة ١٨٩٩ في اسطنبول كيف يشوي الناس الحمل على السيخ على ناصية الشارع .

وينتج عن اشعال النار في الحطب الجمر ويتميز بالتوقد البطيء حيث يتحول بعدها الى رماد وله ميزة التوقد حتى النهاية دونما حاجة الى هواء (النفخ) . ولا توضع الجمرات تحت الحمل المعد للشوي مباشرة ، ولكن على بعد كان منه تحت الحمل المعدني الذي يثبت تحت الحمل لتجميع الدهن المتساقط نتيجة الشوي . ويستعمل للموقد المتحرك (الكانون) المصنوع من المعدن المكسي بالطين من الخارج الفحم النباتي فقط . ويتم ايقاد النار بعيدا اولا حتى تحمر الجمرات تماما لان الغاز المتصاعد قد يكون مميتا .

ويتم صنع الفحم النباتي فيما يسمى المفحمة في شمال فلسطين والمشحرة في شرقها ويضع من قبل موقد النار (الفحام او المشحرجي) وتكون المفحمة عادة فوق سطح الارض كما شاهدتها في شمال وشرق فلسطين في طبريا وعجلون .

ان تعرية المكان المعد للتفحيم شرط اساسي دائما ، ويتم تقطيع الخشب وبخاصة خشب البلوط بالفاس الى قطع صغيرة (قرط) او كبيرة (قرامي) ويجمع الحطب بشكل كومة دائرية بقطر ٢٫٥ - ٤ امتار وارتفاع متر وربع تقريبا . توضع القطع الكبيرة في الوسط والصغيرة حول القرامي بشكل دائري مائل وتترك قمته في الوسط باتجاه علوي وتسمى «عش» ويتم تغطية جميع الكوم باوراق الشجر والتراب . ويوضع فوق التراب على الجوانب الاربعة للكوم احجار بشكل درج (سلم) ليتمكن المرء من الصعود الى «عين العش » ويقذف بالنار من العش وتتبعها اعواد القش والقرامي الصغيرة ثم تغلق الفتحة بالتراب . بعدئذ تعمل فتحات صغيرة في جوانب الكوم (طواقي) لينفذ تيار الهواء الى النار وذلك لسحب النار الى الجوانب . وكلما تسبب الدخان المتصاعد في فتح «عين العش » يتم اغلاقه مرة اخرى. وعندما تهبط جوانب الكوم توضع اوراق شجر جديدة واغصان وتراب لتلافي انهيار الكوم . ويستعمل لهذه الاغراض المحواص ذو الذراع الطويلة وفي راسه تجويف شبه دائري .

وتحتاج هذه العملية الى ثلاثة ايام وليالي من توقد النار وثلاثة او اربعة ايام بعد احداث الفتحات في الكوم . وقد قيل لي انه قد يحتاج الى شهر كامل اذا كانت الريح ضعيفة ، وفي

جنوب فلسطين تستعمل الحفر كمفحمه بدل الكوم فوق الارض ، وقد شاهدت ذلك بنفسي في (الفواز) الى الشمال الشرقي من القدس ، وكذلك في جنوب الخليل وكذلك في منطقة (تلال القرازه) وتكثر في هذه المناطق الشجيرات البرية الصغيرة . تحضر الحفرة بعمق واحد ونصف الى مترين وعرض متر واحد وبفتحة قطرها نصف متر تقريبا ،حيث توضع الحجارة على جوانب الحفرة وتحدث فتحات على الجوانب من الاسفل للاعلى لغايات التهوية . ويقذف بالنار الى ارض الحفرة وتملأ الحفرة باغصان الاشجار واحيانا اغصان نبات السمار وعندما تشتعل النار بشكل كاف يتم اغلاق الحفر بالحجارة والتراب ، وبعد يوم واحد يكون الفحم جاهزا .

يبيع صانع الحطب سلعته باكياس اما مباشرة الى الفلاحين وسكان المدن او الى تجار الفحم في المدن .

ويتم فرز القطع الكبيرة عن القطع الصغيرة (الدق) بالغربال (المسرد او الساروند) وكذلك الفحم غير الناضج (يسمى في حلب القرعاط) عن الفحم الجيد والذي يتميز باحتراقه دون دخان . ويتم الفرز في القدس عادة من قبل البائع .

وسنتحدث لاحقا عن طريقة تحضير الفحم المستخرج من اغصان الدوالي .

٢ ـ الشوك

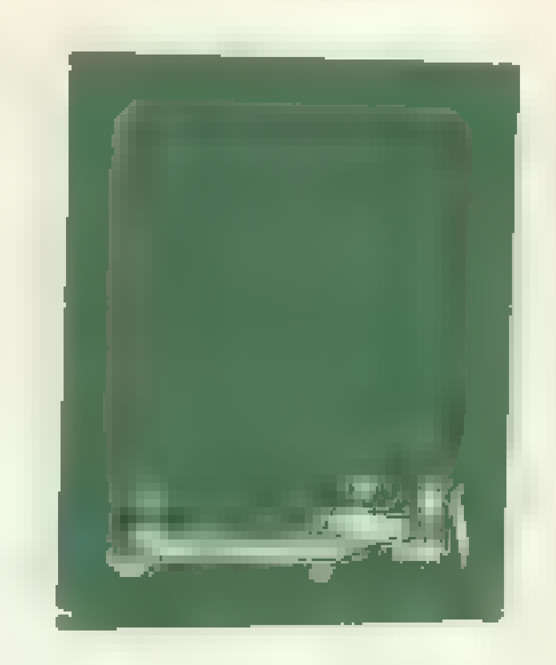
نظرا للظروف المناخية السائدة في فلسطين فان البلاد غنية بالنباتات والاعشاب البرية الشوكية ، وبعض الشجيرات الشوكية ايضا . ويسمي العرب جميع هذه النباتات (الشوك) وعداه (العشب) او (الحشيش) وغيره (الشجر) اذا كانت النبته اكبر . ونورد هنا بشكل خاص النباتات التالية :

المرار ، الخوص ، الخرفيش ، العكوب ، بالاضافة الى نباتات اخرى ومن الاشتال الصغيرة العوسق والنبيد في السهل الساحلي والعرقد والرتم في وادي الاردن .

ويذكر بشكل خاص البلان أو النتش لقيمته الوقودية الكبيرة ولتوفره في المناطق الجبلية بكثرة ويغطي مساحات واسعة من الاراضي البور ويستعمل بشكل واسع كمادة للوقود ولا يستعمل هذا النبات لاغراض اخرى، ولا ادل على ذلك من المثل الشعبي القائل

عمره ما بيطلع من النتش يواشيل

ويتمتع الشيح المتوفر في شرق الاردن بنفس اهمية النتش وتدلنا الاغاني الشعبية على القيمة الحقيقية للانواع المختلفة من النباتات ، حيث يغني المرء



حطب البصوه خمس القطع ▪ بتسوى

حطب الشيح بتسوى ميت قرش صحيح

حطب الحز بتسوى تسعة وتسعين عبد وحز

ويذكر هنا نبات السكران بعدم الفائده ولاحتوائه مواد مخدره ·

ويقال في ذلك

ما بيوخذ السكران الا كل سكران

والنساء سباقات في هذا الميدان ويسميه الحطابات حيث ينعبن الى اماكن بعيدة لالتقاط وقلع وقصف الاشواك واغصان الاشجار والاعشاب لجمعها في كومة كبيرة تحمل على رؤوسهن عائدات الى البيت

(كباش)

ويعمل الرجل ايضا في هذا المجال اذ يحملوا الاشواك على ظهور الحمير ·

٤ ـ القش

حيث انه لا يخرج من طريقة الحصاد في فلسطين سيقان طويلة للنباتات . فان اعواد النباتات لها قيمة من حيث استعمالها كعلف للحيوانات (التبن) · اما الاجزاء السفلى من السيقان (القصول) فانها تستعمل لاغراض الوقود · وتسمى احيانا نبى ايضا ولكن كلمة قصول تطلق غالبا على الانواع الرديئة من اعواد النبات المستعمل كعلف ·

وانه لمن الصعب ان يقوم الفلاح باحراق هذا التبن في جرن الدار ولكن يحتفظ به في البيت او بشكل كومة كبيرة في العراء لاستعماله كوقود في الطابون او لتحضير الجلة أو لصنع الادوات الضاربة للمطبخ ·

وفي المناطق التي يستعمل فيها الحطب كوقود للتنور يستعمل الفائض وغير المباع من القصول للوقود · وكذلك تستعمل اقصال نبات الحمص كوقود للطابون كما وتستعمل سيقان الذره البيضاء والصفراء حيث توقد تحت قدر المطبخ ·



٥ - التفل والمواد الاخرى

بعد تكسير الزيتون بالطاحـــون وعصره ، يتم فصل الزيت عن لب الزيتون وبذره فتتجمع بقايا تســـمى (جفت) وتلفظ (زفت) ايضا . وحين تجفف هذه المادة فانها تكون جيده كمادة للوقود وسهلة الاشتعال وان كانت غير عملية وغير اقتصاديـــة . واهم استعمالاتها للطابوق وبخاصة في المناطق التي يزرع ويعصر فيهـــا الزيتون .

٦ - الزبل (الروث)

لايتجمع الروث في فلســـطين في اسطبلات ولهذا فان عملية جمعـــه منصبة حيث تتم من الحقول التـــي ترعى فيها الماشية ومن الكـــهوف (الزرائب) التي تأوي اليها الحيوانات في الليل . ولا يستعمل هذا الروث كسماد للنباتات في الحقول . ونظرا لنقص الحطب فانه يستعمل للوقود كبديل . ولهذا يجمع ويرسل الـــى البيوت حيث يوضع فوق الاسطـــح ليتم تجفيفه وحفظه لاستعماله تحت الشق في الطابوق وبخاصة في جنوب فلسطين .

تسمى هذه المادة بشكل عام (زبل) ويسمى روث البقر في رام الله (لطعه) وفي السلط (لطيع) وفي مادبا (لطوع) . ويسمى عندما يكون سائلا (خـــراق أو شطاط) ومن الخيل والحميـــر (روث او شوم) .

يقول المثل العامي

وقعت البعره على الشوم ، وقالت مين انت . قالت وبيزيم خـــرداش، (بالتركي وتعني نحن اخوات)

وقد شاهدت بنفسي في التاسع من أيار سنة ١٩٠٠ احدى قرى حوران كيف خرجت فتيات من القرية الـــى الحقول في الصباح الباكر ، حيـــث أحست الماشية واخذن يجمعن الروث بايديهن ويضعنه على لوائح صفيـــح وفي السلال .

ولم يخجلن من التقاط الـــروث الاخضر وجمعه حالا للاستفادة منه . ويخلط الروث احيانا بالقصول والماء ويجبل بالارجل قبل تجفيفه ، وتعمل هذه المادة على شكل كتلة مربعة او قرص . وتلصق على الحائط او على



الارض في العراء حتى تجف بتأثير الشمس • وتكسر هذه الاقراص الى قطع احيانا قبل استعمالها • تسمى هذه الاقراص من الزبل (خرج) وجمعها اخراج وما يحضر فقط من روث البقر يسمى (جله) ويسمى البعر في رام الله (خراج الغنم) العكس وهو ما يطلق عادة على مادة الجير •

والمطبعة كناية عن المكان الذي يتم فيه صنع اقراص الروث وتجفيفه وفي بعض المناطق يتم تجفيف كومة كبيرة من الروث وتسمى (كومة جله) وتسمى قبه ايضا ،ولها تجويف في الوسط يعبأ بالتبن • وقد شاهدت ذلك على سبيل المثال في نابلس وابو شوشه • وغالبا ما يخصص مكان لهذه الاكوام من الروث (المطبعه) في البيت او في مكان مجاور • وهذه الجلة ضرورية للفلاحات لاغراض الوقود في المطبخ ويستعمل بشكل عام في جنوب فلسطين للطابون •

يخرج دخان كريه حين اشعال الجلة ولكن تتلاشى هذه الرائحة عندما تتقد النار فيها وتصبح جمرا •

بقلم : جوستاف دالمان

ترجمة يونس التميمي

---

* Gustav Dalman :
Arbeit Und Sitte in Palastina Vol. 4.

من كتاب العمل والعادات في فلسطين ، الجزء الرابع • ويشمل هذا الكتاب على الاجزاء التالية :

١ ــ عن مدار العام واليوم : الربيع والشتاء •

٢ ــ عن مدار العام واليوم : الخريف والصيف •

٣ ــ الفلاحة •

٤ ــ من الحصاد الى الطحين •

٥ ــ الخبز ، الزيت ، النبيذ •

٦ ــ عن الغزل والنسيج والحياكة والملابس •

٧ ــ حياة البداوة ، الالبان ، الصيد ، صيد السمك •

٨ ــ البيت وتربية الطيور والنحل •





يمكن تعريف الاحجية او اللغز او (الحزيرة) بانها سؤال عبقري عبر عنه بطريقة مجازية . وهي بذلـــــك تختلف عن المثل الذي تجربة انسانية في لفظ وجيز ومعنى شامل ، والذي قيل في مناسبة ما ، ثم اخذ ينسحب على تجارب انسانية مماثلة دون ان يفقد وظيفة الاولى . وقد عـــرف ارسطو قد اصر على هذا التعريف ، واشار اليه اكثر من مرة ، الا ان هذا التعريف لم يحظ بقبول ورضى عند الانثروبولوجيين وعلماء اللغة ، واعتبره تشارلز بوتر (Charles F. Potter)(١) تعريفا غير ناضج . اما فسيوليفسكي فقد اعتبــــر (A. N. Veselovsky)(٢) الاحجية متوازية تحتوي على جزء واحد بارز مع تغيير بعض الاجزاء الكامنة فيما هو غير ظاهر .

---

(١) Leach, Maria, ed. The Dictionary of Folklore, Mythology and Legend.

(٢) New York, Funk & Wagnalls Co., 1949. Vol. 2, p. 938.





وقد اصبحت الاحاجي الآن وسيلة للتسلية وقطع الوقت ، كما انها تستعمل في بعض المجتمعات كمقياس للذكاء وسرعة البديهة والفطنة . وقد طورها المربون لتخدم الاغراض التعليمية والتربوية والتثقيفية ، فيما ادرجت كمادة فرعية تدرس في بعض المدارس . اما في العصور القديمة ، فقد لعبت الاحاجي دورا هاما عندما دخلت في الاحتفالات الدينية البدائية . وقد ظل هذا الدور قائما لفترة غير بعيدة ، وحتى وقت قريب ، فقد كان يتحتم على قبائل الادمرت (٣) (Udmurts) ان تذكر بعض الاحاجي في اوقات معينة من السنة ، اما في اعياد راس السنة ، فقد كان معظم افراد هذه القبائل يلتقون ، ويذكرون العديد من الالغاز والاحاجي الخاصة بهم .

---

(٣) Russian Folklore. Ibid. p. 282.

وقد اعتبرت الاحاجي في الماضي البعيد شعيرة دينية ، كما اعتبرت عند بعض الامم حلا يفسر بعض الالغاز الدينية . او يفسر بعض المباني الدينية المعقدة التي تداخلت في الاسطورة ، كما هو موجود فعلا في معظم الاساطير الدينية ، من مثل : اسطورة ابي الهول التي لعبت دورا رئيسيا في الاشارة الى النبوءات .

ولم تقف الاحجية عند هذا الحد ، فقد خدمت اغراضا كبيرة عند بعض الامم . وتشير بعض المصادر الى انها استخدمت كوسيلة لمحاكمة عبقرية . وكان مصير هذه العبقرية معلقا . في معظم الاحيان ، بسرعة بديهتها واجاباتها الذكية ، كما استعملت الاحجية كلغة دبلوماسية سرية ، وتدخلت في طقوس الزواج عندما كانت تطرح على العريس الذي لم يكن بامكانه اخذ عروسه الا بعد ان يعرف هو ومن معه اجابات الاحاجي التي قد تطرح عليهم جميعا .

وتظهر الاحاجي كموضوع له اهميته ودلالته عندما تتداخل في شكل الاسطورة . مثال ذلك اسطورة اوديب

(Leyends of Oedipus)

التي اشارت الى ان اوديب هو وحده الذي استطاع ان يعرف تفسير الاحجية التي كانت تشغل بال اهل (طيبه) . فقد ابتليت المدينة بوحش فظيع ظل يطرح على اهلها لغزا محيرا مفاده : ما هو الشيء الذي يمشي صباحا على اربعة . وظهرا على اثنين . ومساء على ثلاث ؟ وكان كل من عجز عن حل هذا اللغز يقتل . فتقدم اوديب الى الوحش وحل اللغز وانقذ اهل طيبه . واصبح ملكا مكان ابيه وتزوج (جوكاسته) . وبذلك تحققت نبوءة العرافة .

ولقد ظهرت الاحاجي في معظم الكيانات الاجتماعية العربية وغير العربية . كما ظهرت



في اسطورة (سليمان وملكة سبا) . ومع تقدم الزمن . فقد ظهرت في المطارحات الشعبية التي كانت تدور بين الخلفاء وبعض الشخصيات الشعبية ابان الخلافة العباسية وما بعدها . واكثر هذه الاحاجي في الادب الشعبي العربي والاساطير والسير . وكثيرا ما تكون الاحجية مقدمة للاقصوصة من الاقاصيص الظرفاء ، وفي بعض الاحيان تكون الاحجية كل القصة .

(٤) Russian Folklore. Ibid. p. 282

The Dictionary of Folklore Mythology ... Ibid. Vol. 2. p. 942.

(٥) الدكتورة نبيلة ابراهيم . « اللغز في الادب الشعبي » الفنون الشعبية عدد ٢/١٩٦٥ ص ٢٣ وما بعدها .

والباحث في احاجي الشعب الاردني يجد نفسه امام نمط يختلف نوعا ما عن نمط الامثال الشعبية ، من حيث الصنع والاساليب والاغراض والموضوعات . ومع ذلك ، فكثيرا ما تتحول الاحجيه بتغير طفيف ، او بلا تغيير الى مثل . فالمثل القائل :

جلن العيق جراب ما يعيبه الا التراب

وكذلك :

بني أدم ما يعبي عينه الا التراب

يذكرنا بالاحجية التي طرحها اسرافيل على



الاسكندر الاكبر ، عندما قال له : خذ هذا الحجر فان فيه علما كثيرا ، فلما رفع الحجر في كفه ووضع في الكفة الاخرى اثقل الاحجار رجحت كفة الحجر الصغير . ولكنه عندما وضع حفنة تراب صغيرة ، رجحت كفة التراب رغم خفتها ، عندئذ حلت الاحجية . وبطبيعة الحال، فان الحجر يمثل عين الانسان الطامع الذي لا يشبع ، وليس في وسع شيء ، ان يضع حدا فاصلا لشبعها سوى حفنة التراب الذي سنغطي عنه عندما يموت . وكما هو واضح ، فان الاحجية قد تغيرت بشيء طفيف الى مثل بعد ان فقدت وظيفتها الاسطورية ، لذلك نراها جنحت الاسلوب الخاص بالامثال ، بلتحم معها لتشكل مثلا يمكن ارجاعه الى اصوله الاول . ومن الاحاجي التي تحولت الى امثال هذه الاحجية :

يا عابر مرحبا ويا خارج حسرات (٦)

وتتعدد صيغ الاحاجي ، كما في الامثال ، وهي صفة تطبع المأثورات الشعبية كلها ، تتضح اكثر ما تتضح في الامثال والاحاجي على حد سواء ، وقد يكون اختلاف ، فمن المألوف جدا ان تختلف الصيغ البدوية عن المدنية او الريفية ، وهي من الملاحظات الهامة التي يجب ان يأخذها بها الباحثون وهم بصدد دراسة الدلالات الاجتماعية والثقافية .وعلى الرغم من اختلاف صيغ الاحاجي من بيئة ، فقد امكن حصر صيغ الاحاجي الاردنية في صيغتين رئيسيتين : اولاهما ، الصيغة الاستفهامية غير المباشرة ، وهي التي تعتمد على القاء الاحجية دون اللجوء الى استعمال صيغة السؤال ، من مثل :

مدينة حمرا اسوارها خضرا سكانها عبيد مفتاحها حديد (٧)

وهكذا ، فان وجود اداة الاستفهام ليس الزاميا في حد ذاته ، ولو انه ملزم من طرف خفي ، فالسائل عليه ان يتوسل باسلوب معين

---

(٦) اجرة الحمام .

(٧) جواب الاحجية هو البطيخ .

عند طرح الاحجية ، ومن ثم تلقي الاجابة المتفق عليها .

وثانيهما ، الصيغة الاستفهامية المباشرة . وهي تعتمد على طرح الاحجية بواسطة اداة استفهام هي واحدة من الادوات التالية : شو ، اشي ، لقيتك ، احزرك او حزريتك او حزازير، واخيرا اقتبك(٨) والواقع ان معظم الاحاجي الاردنية تتقيد بهذه الصيغ .

شو اللي قد البطيخة ؟

اسي اذا بدنا اباه مترعيه واذا ما بدنا ابله متغبيه انا لقيتك . تحبل وتضع بلادم وللبله [illegible] بتجيب بتموت معزرك . عبد اسود مصاريته بجرن وراه اقتبك طير طوى البستان اكله الورق والثمر كله

والباحث في هذه الاحاجي يلاحظ ان الاحجية تستخدم اللغة القريبة . وهذه اللغة اعمق بكثير من لغة الامثال التي تتسم بالسهولة والبساطة . وتقع في منزلة وسط بين لغة المعاجم ، وبين اللغة الشائعة . وقد ذهبت الدكتورة نبيلة ابراهيم الى انها لغة المتضلعين الحكماء التي تعبر عن عالمهم الذي يعيشون فيه . والواقع ان الاحجية تجمع بين اللغة الضالعة في التعقيد واللغة العادية . الا ان الوصفات الخفية التي لا يدركها الا الاذكياء ، والملمحات المعنوية والفنية ، هي التي تكسب الاحجية صفات كالدقة والغرابة . ونحن نعرف ان الاحجية تجنح الى طرح مسميات . وقد يكون لكل مسمى معنى واحد . ولكن هذه المسميات عندما تتآزر تولد المعنى الخفي . ومن هنا يمكن ملاحظة غرابتها .

اما تركيب الاحاجي ، فانه يعتمد على المجاز في بعض الاحيان ، كما يعتمد على المعاني المتوازنة . وفي بعض الاحيان ، نرى الاحاجي تستعمل النقلة المفاجئة من معنى الى معنى اخر . ولكن هذه المعاني تتجمع في النهاية لتشير الى الصفات المتقاربة . مثال ذلك :

حلوه وماهي بنت وخضرا وهـ ا هي شجرة (١٠)

وهو تركيب قريب الشبه من تركيب الامثال . الا ان تركيب الاحاجي يفوق في الدقة والتمنبق والمنطق اسلوب الامثال . وعلى الاخص عندما يعتمد اسلوب الاحاجي على التاثير الصوتي في المستمعين ، من مثل :

حق احقاق يقاع لعراق ينقط ميه ما بضاق (١١)

وهي ميزة قد لا نجدها في الامثال التي تعتمد البساطة والسهولة وعدم اللجوء الى تاثيرات صوتية لا فائدة منها .

---

(٨) شو : أي شيء ، اشي : شيء ، لقيتك : جئت مستفسرا ، احزرك : من حزر الشيء قدره بالحدس وخمنه ، اقتبك : أفتى فلان المسألة ابان له الحكم فيها واخرج له فيها فتوى .

(٩) الدكتورة نبيلة ابراهيم (اللغز في الادب الشعبي) ، الفنون الشعبية عدد ٢، ١٩٦٥ ، ص ٢٣ وما بعدها .

(١٠) جواب الاحجيه هو : الجزر .

(١١) جواب الاحجية هو : عين الجمل .

وتشترك الاحجية والمثل في استعمال المحسنات اللفظية والمعنوية ، كما نجد للتورية نصيبا وافرا :

شر الى قد البطيخة (١٢)

فكلمة (قد) هنا تعني (قطع) ، لاكون الشيء مساويا لغيره بلا زيادة ولا نقصان .

وقد يكون اصل بعض الامثال احاجي اصابها تغيير طفيف ، فقد ثبت لدى معظم الباحثين (١٣) ان هناك امثالا ذات اصول تدل على لجوئها الى اسلوب الاحاجي - واستعمال الاسماء في الاحاجي كما هو موجود مثلا في الامثال بحيث تكون اسماء الاعلام لها طبيعة الاسماء المعنوية - مما الاستعمال موضوع تاريخي يشير الى اشتراك الامثال والاحاجي في معظم القضايا القديمة .

وتختلف الاستعارة في الاحاجي عن الاستعارة في الامثال ، وقد لوحظ ان الاستعارة في الاحجية تقوم على عنصر المفاجأة والاثارة ، في خيوط لا بد ان تتجمع عند نقطة بعينها ، كما لوحظ ان الاستعارة تعطي الاحجية الفرصة لكي تبرز ارتباطات ظاهرة حينا وخفية حينا اخر ، لا بد من وجودها حتى تتمكن العقل من التهيؤ ، والاحجية التالية :

سكة سرتكية ع الحيط مرمية لا يصوغها صايغ ولا يسرقوها حرامية (١٤)

تعطي مماثلة قوية بين (الحية) و (السكة) والعلاقة ، كما هو واضح ، موجودة في المحسنات التي انتشرت هنا وهناك .

ولا بد للاحجية ، والحالة هذه ، من ان تعتمد على الصورة القوية التي قد تتجاوز العقل في معناها الحرفي ، الى معنى او معان اخرى



مجازية ، لذلك نراها تتثبت بكل انواع المحسنات ، وما من شك في ان الشعب المبدع قد اكد على ضرورة استعمال هذه الصور والعبارات البالغة ، ومن هنا نلاحظ كيف يتصور الشعب الاشياء ويتناولها بعقله وخياله .

ويمكن القول بان الاحاجي غنية في استعمال اكثر من معنى للكلمة الواحدة ، فعلاوة على استعمالها للجناس الاستهلاكي والمحسنات الاخرى ، فانها تجنح الى اللعب بالمعاني والاسماء والاصوات ، وفي معظم

(١٢) جواب الاحجية هو : السكينة .

(١٣) وما بعدها

The 8he Dictionary of Folklor Mythology .. Ibid. Vol. 2. p. 939.

(١٤) جواب الاحجية هو : الحية .

الاحيان ، يكون جواب الاحجية صوتا يتخذ شكلا معينا يناسب السؤال .

وتتلاحم صيغ الاحاجي تلاحما قويا . كما تأخذ الاستعارات قوة معنوية لا نألفها في الامثال . وتعتمد الاحاجي على ابراز السجع بطريقة فريدة لتحل محل الكلمات الحقيقية . وقد ولعت الاحاجي باستعمال السجع . حتى يخيل للباحث ان السجعة تجيء في معظم الاحيان بتكلف ظاهر . وقد لا تعني شيئا الا التآلف الصوتي من مثل .

كبي حصربان عيا الباشا والسلطان (١٥)

بيد ان هناك احاجي تعتمد اعتمادا مباشرا على السجعة ، وقد لا تكتمل الا بها . ومع ذلك فلا نحس بان ثمة تكلفا ظاهرا . فالسجعة تشكل فيها حلقات الوصل ،ولا تصبح الاحجية الا باستعمالها على شاكلة :

طاسة طرنطاسه بالبحر غطاسة حواها

لولو بريتها نحاسه (١٦)

وليس هذا فحسب . فالسجع لا يسير على وتيرة واحدة ، وقد لوحظ ان بعض الاحاجي تعتمد على السجع المنفصل . بمعنى ان لكل جزء من اجزاء الاحجية سجعة تختلف عن السجعة التي تليها . وهكذا . مثال ذلك :

تورن الوسيع قروني يزم الدار والدوار

حتى البغل والحمار (١٧)

ان لجوء بعض الاحاجي الى استعمال السجع بهذه الكثافة يكسبها نغما وتنبيا رنانا . وهناك اكثر من احجية تخضع لتفاعل الخليل ابن احمد الفراهيدي . وهي ميزة لا تتفرد بها الاحاجي وحدها ، بل تطبع معظم الوان الادب الشعبي .

ان الصيغة الاستفهامية المباشرة وغير المباشرة في الاحاجي تعتبر حدا رئيسيا من حدودها . ومن هنا جاز لنا الادعاء بان الاحاجي تتفوق على الامثال في كونها ذات حدود واضحة محدودة . وعلى الرغم من ان احتمال وجود اكثر من اجابة واحدة للاحجية الواحدة قد يسبب بعض الغموض ، الا ان مثل هذا الامر لا يسبب قضية ذات شأن . اذ ان هذه الصفة تطبع الادب الشعبي المنطوق عموما . فقد لاحظنا ان هناك بعض الامثال التي قد تضرب لاكثر من موقف واحد . ومع ذلك ، فان القوالب العامة للامثال والاحاجي متقاربة ، وتكاد تتفق في الاسلوب العام .

والباحث في مواضيع الاحاجي الاردنية يلاحظ انها قد كرست . اكثر ما كرست ، لمواجهة ووصف وتفسير مظاهر الكون والطبيعة . والاحاجي التي تحدثنا عن مثل هذه الامور يمكن ارجاعها الى عصور مغرقة في القدم . فقد عرفتها معظم الامم ، وقد تتشابه عند اكثرها . وكما تتشابه امثال الامة العربية ، وهذا ما سنبحثه عند دراستنا للامثال

---

(١٥) جواب الاحجية هو : النوم .
(١٦) جواب الاحجية هو : الرمان .
(١٧) جواب الاحجية هو : مركب البحر .

المتشابهة وعناصر التشابه ، فان الاحاجي تتشابه هي الاخرى ، بسبب من وجود وحدة الثقافة الفولكلورية والمعرفة الانسانية العامة . فقد اورد الدكتور احمد مرسي (١٨) احجية مصرية هذا نصها :

طير طار مع الكفار جناحاته سوده وقلبه نار والمتصفح للملحق الخاص بهذا القسم يلاحظ احجية تقول :

طير طار مع الخطار جناح فضة وجناح نار ويبدو للباحث ان النصين متشابهان . وهي اضافة اخرى من اضافات الثقافة العربية الشعبية الواحدة

واذا كانت احاجي الامة العربية واحدة ، فان هناك شبها اخر قائما بين احاجي معظم امم الدنيا . والاحجية الاردنية التي تقول :

اشي اللي صنعه ما بدو اياه واللي جابه ما بستعمله واللي بستعمله ما بدري بيه (٢٠) وجدت عند معظم الامم القديمة . وبمقارنة هذه الاحجية الاردنية بنظائرها عند بعض الامم ، فقد تبين ان هناك احجية روسية في هذا المعنى ، وتتشابه مع الاحجية اليابانية. اما الاحجية الامريكية ، فتتشابه مع اختها الانجليزية (٢١) . وهكذا .

وكما تحدثت بعض الاحاجي عن مظاهر الكون والطبيعة ، فقد تحدثت عن الوان معينة من الفواكه والخضار . كما تحدثت عن كل ما يميز القطاعات الاردنية المتعددة ، والبيئة الاردنية وثقافتها . فهي سجل تاريخي وثقافي ، نشأت كأمثال المجتمع الاردني تحت تأثير اجتماعي واقتصادي وثقافي . واستمرت في الذاكرة لمدة قرون تطورت خلالها لتلائم التطورات جميعها ، وتفاعلت مع البيئات المتعددة واعطت المعاني الجديدة الملائمة للعصر الذي تبعث فيه .

وعلى العكس من الامثال ، فان الاحاجي لديها القدرة في الاحتفاظ بالشكل اللفظي دونما تجديد او تغيير . وعليه ، فان معظم

---

(١٨) الدكتور احمد مرسي ، (الفولكلور وثقافة المجتمع) . الفنون الشعبية عدد ١٢/١٩٧٠ ص ٤٥ وما بعدها .
(١٩) جواب الاحجيتين هو : الرصاصة (عتاد البندقية) .
(٢٠) جواب الاحجية هو : التابوت .
(٢١) Encylopedia Britannica. Ibid. Vol. 19 p. 320.



الاحاجي لا يغيرها التغير وقد لا يصيبها التعريف ، اي انها تحافظ على الشكل الذي ظهرت فيه لاول مرة . وقد اكدت الدراسات المقارنة التي قام بها كل من سوخولوف (٢٢)، وبولر (٢٣) ، ويبدو انهما اعتمدا على جيمس فريزر (James Frazer) في عمله

ولقد اكدت هذه الدراسات ان كثيرا من التغيرات التي طرات على بعض الامثال امكن اكتشافها . الا انهما لم يتمكنا من اكتشاف التغيرات التي قد طرات على الاحاجي . فقد تناقلتها الشعوب بنصها الاصلي دون تغير او تبديل .

ومن الصعوبة بمكان بناء تسلسل تاريخي للاحاجي - اذ ان معظمها قد فقد مؤلفيه ، واصبح بدون مؤلفين مؤكدين . ولم يبق ممكنا الا التحليل المستقبلي المقارن . ومع ذلك ، فعلى الباحث الا يتفاءل كثيرا . فهناك الكثير من الاحاجي التي نجعل البحث فيها امرا بالغ الصعوبة ، على العكس من معظم الامثال التي يمكن بناء تسلسل تاريخي لها ، اعتمادا على لغتها واسلوبها واحداثها ومضربها .

ولم تعكس الاحاجي الاردنية الدلالات التاريخية والاجتماعي فحسب ، بل عكست ايضا الحياة الثقافية والاقتصادية للمجتمع الاردني . والاحاجي في ذلك تشترك مع الامثال الاردنية . وهيا في الوقت نفسه مادة خصبة لدراسة اراء معتقدات الشعب الاردني . ونظرا لدقة الصيغة في الاحاجي . فقد احتفظت بالشكل والمعنى معا لمدة طويلة - ومن هنا يمكن القول بانها قد نمت نطاق التجارب الانسانية ، التي عنت بها الامثال واختلفت بها - الى مرحلة المعرفة ، وربما ما بعد المعرفة .

وهكذا تبدو لنا الاحاجي بشكلها ومحتواها وعبقريتها التي قادتنا الى اعمق اعماق المعرفة الانسانية ، منذ لحظات المعرفة والاستيعاب الى يومنا هذا . وقد حاولت ان اشير الى الاحاجي موازنا بينها وبين الامثال، وباحثا في اوجه الاختلاف والتشابه . وكان لا بد ان اتحدث عن وظيفتها عند الفم الامم . وقد لاحظت ان صيغها تتعدد كما تتعدد في الامثال . الا انه يمكن حصر صيغ الاحاجي في صيغتين : استفهامية مباشرة واستفهامية غير مباشرة . كما ملت الى الراي القائل بان اصل بعض الامثال قد يكون احاجي اصابها بعض التغير .

---

(٢٢) وما بعدها Russian Folklore. Ibid. p. 287.

(٢٣) The Dictionary of Folklore Mythology .. Ibid. Vol. 2. p. 940.

ان لدى الاحاجي قدرة على الاحتفاظ بالشكل اللفظي والمضمون اكثر من الامثال . وهناك صعوبات جمة تواجه الباحث وهو بصدد بناء تسلسل تاريخي للاحاجي - وكنت قد فصلت القول في الجناس الاستهلاكي والسجع والمحسنات الاخرى . اما مواضيع الاحاجي فقد ظفرت باهتمام خاص . كل ذلك بالمقارنة مع الامثال .

ابو حمزة قمز قمزة لحقوه خمسة جابوه الشين

(البرغوث)

(تمسكوا يا (اجبره) طير هاع شجرة . بالصيف ذيله فوق خزله . بالشتا خزفه تحت ذيله

(البعير)

اجانا ضيوف ذبحنا خروف اكلنا منه وكببنا منه ونشرنا بقية ع السطوح

(البطيخة)

الربع سلاطين متقابلات بالبطن مسا بطولهن وحل ولا طين

(حلمات الناقة)

اربعة مع اربعة قاطعين الشرعة بينهم واحد مدحدح قدحم للبعة

(الصاع)

اشي احمر واخضر واسود وبالسوق معلق عيونه

(خيوط الحرير)

اشي اخضر بالسوق احمر بالدار

(البطيخ)

اشي اذا اطعمته بعتي واذا اشبعته بموت

(النار)

اشي اذا بدنا اياه ضربيه واذا ما بدنا اياه منخبيه

(الشبكة)

اشي اللي سواه ما بدو اياه ، واللي جابه ما بستعمله ، واللي بستعمله ما بدري بيه

(التابوت)

اشي الو رجلين وما بقدر يمشي

(الطاولة)

اشي الو يدين ملهوش رجلين ، الو ظهر ما لو بطن

(الجاكيت)

اشي اوله بيك واخره بيك

(الثدي)

اشي بروح سوق ويرجع سوق واضهم لا قليل اللون

(نراع اللبن)

اشي بطن امك ع بطنه بنزل ابيض بتطلعه احمر

(خبز الصاج)

اشي دخل بطرق وانقطع ذنبه

(حبة القطن)

اشي دقه دقه ما ينشق وبله بل ما ينبل

(الظل)

اشي شق البحر شقه جاب العلم من حقه

(المكتوب)

اشي قاعد ع الحجر الاكله وشربه من الشجر

(الغليون)

اشي قد الكف كتل مية والف

(المشط)

اشي قد كمي يعلى بيتي وبيت امي

(الضوء)

اشي قطع المية وعكش عليا

(الغطاء)

اشي كل ما توخذ منه يكبر

(البئر)

اشي مدور ع البيكار عدس يا ثور افهم يا حمـــار

(العدس)

اشي هون واشي هناك واشي ع الجبل هنـــاك

(الظل)

اشي يمشي طول الشارع ما منشوفه . وكذلك : اشي عر بيني وبينك لا شافته عيني ولا عينـــك .

(الهواء)

اشي ونت نايم طول الليل يحجب بيك

(الوسادة ، اللحاف)

هناك بطير طوى البستان اكله الورق والثمر كله

(الثلج)

امر من المرار واحلى من العسل واصغر من البيضة واكبر من الجمل

(حبة الزيتون)

من قلبيك تحبل وتوضع بلا دم لبلـــة ما تجيب تموت

(حبة القمح)

بقرتنا المريشة اكلت كل الارض ومالها كريشة

(الشعلة)

بنت السلطان والملك بقصرها حاطة ايدها عل خصرها

(قلة الماء)

بنت الملك بقصرها تبرم تبرم وما حـــد فاهم لها

(الشرجيله)

بنتنا بربارة تسبق بنات الحارة بالزين والشطارة

(الابرة)

بنتنا ع التل تمشي وتختال شعرها من الساق للساق ، كل العرب عشاق

(الفرس)

بنتنا وبنانا ولربع حلق بنانا والشرق والبرق يلعبوا ع دكانا

(الربابة)

بيت كبير وعتم تشي ،وكذلك ،بساط كبير لا بنكت ورمل زغير ما بنعد

(السماء ، النجوم)

بيت مبني ما احلى بنيه شارب الميــه وماله يطين

(القش)

بير عشيد ماله قاع

(البيضة)

بير مليان بواكير ما بيه الباكـــورة الصالحة

(قرون العنزة)

قورنا الهاروني الوسيع قروني بـــزم الدار والنوار حتى البغل والحمار

(مركب البحر)

حجر حجنجر لا ، يمشي عل اربع رجلين لا ، يتقس جويزة لا

(السلحفاء)

حق حقاق بقاع لعراق ينقط ميه مـــا يشـــلق

(عين الجمل)

خمس حرالين والعود واحد ، وبــذار اسود وطين بيضا

(القلم والورقة)

المثل والأحجية



خيمة زرقاء مليانه عبير واللي بطلع منها بنقطز راسه

(عود الكبريت)

سبع عبيد بوادي سعيد كل واحد معه وحده

(الباذنجان)

سبع قبقاب ع سبع حيطان وكل واحد مقابل الثاني

(المزاريب)

سبع مطارق لوز يهوزن موز يصلين عصر قبل العصر

(البرق ،التلفون)

ستي بالجب بتغزل وبتكب

(الكنافة)

سكة سرنكية ع الحيط مرمية لا يصوغها صايغ ولا يسرقوها حرامية

(الثعبان)

شجرة النجاص مليانه جراس لكل جرس قد الفرس

(النجوم)

شو اللي إله البطيطة

(السكينة)

صدر صحون بصدر لون ما احمل الشمش ▪ اللبون

(اللعبة)

صندوق حديد مليان عبيد وكل عبيد بصرمه عود

(حبة القطين)

طاسة طرنطاسة بالبحر غطاسة جواها لولو وبريتها نحاسه

(الرمانة)

طبقة عن طبقته معلقتين ، والسيسبانة دايرة واصبع بيدها معلقة

(الطاحونة)

طوله ثلاثين وعرضه ثلاثين وجيته وصل السلاطين

(شهر رمضان)

طير جانا ببلاد ما بيها تراب ، ذبحنا له خاروفين وما بيهن عظام

(الظل)

طير طار مع الطار جناح فضة وجناح نار

(الرصاصة)

طير طاير بشتاله ما خلا واحد وما شافه، الو عروقتين وست رجلين وعرعورة بين الاكتافه

(الميزان)

عبد اسود مصارينه يجرن وراه

(بيت الشعر)

عشرة وعشرة مش عشرين ، زيد عليهم خمسين يصيروا ستين

(الساعة)



عشرة وعشرين وقدهم مرتبن وخمسة وثلاثة واثنين

(المالة)

علبة سماق ما تنفتح ولا تنذاق وما يفتحها الا الرب الخلاق

(المراة الحامل)

عمالنا لصبح بالوادي يصيح

(المهباش)

عنزتا برباطها وتحيك بشطاطها

(البطيخة)

غطيت ايدي ببيرم دم وما اجا عليها اشي

(الجوخ الاحمر)

قسم جاف وقسم مبلول ، هو حامل وهو محمول

(السفينة)

قط محشي لا بوكل ولا يمشي

(الوسادة)

كيس حصربان عيا الباشا والسلطان

(الثوم)

كيس كمون يمد من هون لاسطانبول

(التلفون)

لباد ع لباد من هون لبغداد

(الغيوم)

مدينة حمرا سورها خظر ، سكانها عبيد مفتاحها حديد

(البطيخة)

ملكة الها سبع ابلادي ، مكحلة لعيون بلا سواد ، تمر على الملوك بلا سلام ويرفعوا الها اليدين

(الذبابة)

ميت مات بعكشه ، اجا الحي نكشه ، حط الميت كمشه

(الفخ)

يا بنا ابني ، امي جابت امه ، واخو جوزي عمه

(الابن)

يا حزريتك يا بزريتك جبت البجسر وخشبتك

(حبة الفول)

يا حزريتك يا بزريتك مين اللي يطح امك بالوادي

(القربة)

يا عابر مرحبا ويا خارج هات

(اجرة الحمام)

يا قاضي تها : افتني بامراة تزوجتها هي امي وانا ولدتها

(الام)



كان ذلك في يوم من ايام العام الدراسي ١٩٥٨ـ٥٧ ، حينما كان استاذ اللغة العربية في معهد المعلمين بعمان ، يرسل نظره بعيدا وراء النافذة ويحدث تلاميذه عن الجمال الفني في بعض عبارات الاحاديث الشعبية التي تجري بين الناس وهم يتسامرون بالقصص الشعبي او الحديث اليومي ، كان يقول : تأملوا قولهم : « فلان في حوض وروض » أو قول احدهم عن مدى علاقته باخيه « عدي هده وعدي عده » ، أو قول

المحزونة بعد عمر من السعادة جوهاتي ياعين ما ذخرت من البكا ، وكانها كانت تدخر دموع الحزن ادخارا ليوم موعود ، او قول الاخرى لشجرة لعبت باوراقها الرياح : على اي شيء انت فرحة ؟ على شبيب ؟ شبيب مات ! ان هذه الكلمات الموجزة لا تقل في تعبيرها الفني الموجز عن التي قالت ترثي اخاها الوليد بن طريف الخارجي :

فيا شجر الخابور مالك مورقا
كانك لم تجزع على ابن طريف

وينهي الاستاذ حديثه وفي عينيه ملامح الخوف قائلا : ان تراثنا الشعبي حافل بهذه الروائع ، ولكنه مع الاسف الشديد مهدد بالضياع ، ويحتاج الى من يشتغل بجمعه وتدوينه ، ولعل منكم من ينهض لمثل هذه المهمة المقدسة !

ولو كانت هذه الكلمات التي صدرت عن الاستاذ فايز الغول[1] مجرد احاسيس تجاه التراث الشعبي لاشترك فيها مع الكثير من الغيارى على الأمة والتراث وحسب ، ولكنها كانت تفاعلات فكرية جادة تركت اثارا ظهرت فيما بعد في ميدان جمع التراث الشعبي ودراسته ، قام به الكثير ممن يعرف الاستاذ وتأثر به وممن لا يعرف ، ولقد عاصر الاستاذ عدة مجهودات في هذا الميدان فقدرها التقدير المناسب وطابت بها نفسه ·

ولو كان هذا مقدار مشاركته في بعث تراثنا الشعبي ، لما كان الدور الملموس في جمع الحكاية الشعبية الفلسطينية ، وهذا ما يحاول هذا البحث القصير ان يصل اليه ·

وتمضي الايام ويعين الاستاذ الغول عام ٦٤ ـ ٦٥ مديرا للتربية والتعليم في لواء نابلس ، ويجد نفسه في مركز يساعده على تحقيق رغباته في جمع ما يستطيع من قصص التراث الشعبي ، فينفذ الفكرة بطريق استكتاب طلاب المدارس الثانوية في اللواء قصصا يأخذونها من أفواه أقربائهم ، فعمم الأمر على مدراء هذه المدارس في مدن نابلس وجنين وطولكرم ، وطلب اليهم ان يجمع الطلاب قصصا عن أهاليهم شرط الا تكون مدونة في الكتب ولا مسموعة من اذاعة ولا مقروءة من صحف ، وطلب ان يثبت الطالب اسم بلدته قبل النكبة بالاضافة الى اسمه واسم مدرسته ·

---

(١) احد رجال التربية والتعليم الاوائل في الاردن · ولد في قرية سلوان احدى ضواحي القدس ١٩١٩ وتخرج من دار العلوم بالقاهرة واشتغل في تدريس اللغة العربية في معاهد المعلمين ثم مديرا لبعضها ثم مديرا لبعض مديريات التربية ثم ملحقا ثقافيا في انقرة · توفي في الاول من اذار ١٩٧٢ ·

الحكاية الشعبية الفلسطينية

وذكر لي في مقابلاتي الشخصية معه بتاريخ ٧١/٦/١٠ ، ٧١/١٠/١ انه بعد ان وردت اليه بعض القصص طلب من المدراء ان يذكر الطالب ايضا : اسم راوي القصة ودرجة قرابته للطالب ، وسن الطالب حينما سمع الحكاية ، لانه كلما كان اكبر سنا كان اقدر على حفظ ما سمع واستيعابه » ·

« وقد جمعت هذا القصص ، في فترة وجيزة ، باستكتاب بعض التلاميذ في المدارس الثانوية آلافا من هذه القصص ، وعمدت الى الف منها ، أخذته اخذ عشواء من بين تلك الالاف ، فكان منها سبعمائة قصة غير مكررة ، وثلثمائة قصة مكررة ، ثم فرزت غير المكرر بين رائع وجيد ، فكان نحو النصف كذلك . والنصف الثاني يتراوح بين مقبول وضعيف »(٢) ·

ثم نشر الاستاذ ثلاثة كتب جعلها في سلسلة « الدنيا حكايات » سمي الكتاب الاول « من سواليف السلف » والثاني « الدنيا حكايات » والثالث « اساطير من بلادي »(٣) · وجعل في كل كتاب عشرين حكاية ، فكانت لنا منها ستون ، اما الحكايات التي تركها الاستاذ في الملفات الكثيرة في بيته فانها كنز لا يقدر بثمن وسيظل دفينا الى ان تتاح له جهود البحث والنشر والا فانه مهدد بالضياع تماما كالتراث الشفوي الذي لم يدون ·

ورغم هذا الفضل الكبير فيما جمعه الاستاذ من الاف الحكايات ، ورغم ادراكه الواعي للخصوبة الفنية في التراث الشعبي ، ورغم تأنيه المباشر وتوجيهه الشخصي للبحث في هذا التراث ، الا اننا سننظر في حكاياته الشعبية المنشورة في ميزان البحث الفولكلوري العلمي ·

يقول الاستاذ في مقدمته لمجموعة « الدنيا حكايات » مع انني ابقيت على جوهر التجربة الفنية في الاصل الشعبي ، وحافظت على معظم حوادث

---

(٢) فايز الغول ، مجلة « افكار » العدد السابع ١٩٦٦ الصفحة ١٤ ·

(٣) صدرت عن مطابع جمعية عمال المطابع التعاونية في عمان ولمطبعة المصرية في القدس عام ١٩٦٥ وعام ١٩٦٦ ·



القصة في الاصل كما سمعتها ، الا انني اقدمت على ادخال أمور آمنت بهـــا ومنها : وضع اسماء لبعض الاشخاص البارزين في القصة ، ومنها توجيه تربوي صالح حيث استبدلت بالمغربي الساحر اليهودي الساحر ، وحيث غيرت ما رأيت من نهايـــة

انتقامية قاسية الى نهاية تربويـــة رقيقة ، ومنها وضع مقدمات معقولة تهيء للنشأة والظـــروف المهيئـــة والاسباب المؤديـــة ، ومنها ايجـــاد التفسيرات الملائمـــة للمعجـــزات الخارقة الواردة في الحكاية ، وأمـــا الخرافة العجيبة فابقيتها لما فيها من

طرافة وغرابة وخيال ... وعون على علي ما فعلت ان هذه القصص ظلت عرضة للاضافة والحذف على السنة الرواة » .

اما تبرير هذه التغييرات والاضافات ، فلانني لم اكتب هذه القصص لا للدارس المحقق ولا للباحث المدقق لالتزم فيه امانة الرواية ، او لاتقيد بالنص أو بفحواه ، بل انما كتبت للقارىء الذي ينشد المتعة الفنية في هذا اللون من الادب الشعبي ويرى من خلاله مثل القوم وقيمهم ».

هذا مجمل لما ادخله الجامع على هذه الحكايات ، فما مدى ما تسمح به الامانة العلمية في الجمع ؟ وما مدى التدخلات الذاتية فيه ؟

اما الاسماء التي وضعها للاشخاص البارزين في القصة فنلاحظ عليها انها مرة تكون موافقة لطبيعتها أو طبيعة وظيفتها كما سمى البدوية في احدى الحكايات « عيده » وسمى فرس شيخ القبيلة « شويمة » وسمى شيخ العرب « الشيخ مفضي » ، مع احتمال ان يكون نقل الاسماء الاصلية لشخوص الحكايات كما فعل مثلا في حكاية « جلوكم » و « ابو كاترينا » . وقد تكون هذه الاسماء ظاهرا منها التاثير الذاتي بحيث تشتق من اللغة لتوحي بالفلاح والفوز : فالأخوة الثلاثة هم سائد ورائد وصاعد ، والاخوان صابر وظافر ، والاخ سالم واخته سلمى ، ومنهم حامد وزاهد ، وشاكر ، ومنهم نبهان وعلوان .

اما التوجيه التربوي الذي يقتضي تغيير الساحر - مثلا - من مغربي الى يهودي فهو تدخل في صورة تاريخية لها ابعادها الفسيحة في تاريخ العلاقات بين هجرة كثير من اخواننا المغاربة لاسباب تاريخية بهيئته الحرة(٤) . كما وان التوجيه الذي يقتضي ان نغير النهاية القاسية لما فيها من انتقام يشفي الغليل الى نهاية اخف واهون فتدخل في طبيعة الحكاية ذاتها لا يناسب ما تقدم من قول الجامع من « ابقاء على جوهر التجربة الفنية في الاصل الشعبي » ، هذا الى ان الرأي العام الحديث يرحب بانزال العقوبة على المعتدي الشرير(٥) . خاصة وان كل هذه العقوبات ليست عقوبات من صنع الحكاية ... وانما ماخوذة من قانون العقوبات الحقيقي(٦) ، اذ قد يكون الانتقام هو المقصود من الحكاية حيث يتاثر المظلوم من الظالم أو المستخدم المذل من سيده العنيد .

ويتضح التدخل الشخصي بحجة الاثر التربوي في حكاية « بعد نظر » حيث جعل الوارث يوزع الاموال في

(٤) د. هاشم ياغي في مقدمته لمجموعة « الدنيا حكايات » المذكور للجامع ، ص ١١ .

(٥) الكسندر كراب ، علم الفولكلور ، ترجمة احمد رشدي صالح ، ص ٦٩ .

(٦) فريدريش فون ديرلاين ، الحكاية الخرافية ، ترجمة الدكتورة نبيلة ابراهيم ، سلسلة الالف كتاب الصفحة ١١٣ .



بناء المدرسة واقامة المستشفيات ! وواضح ان هذه الفكرة حديثة جدا ، واضح فيها الاثر التعليمي الذي لم يكن ليبرح ذهن جامع هذه الحكايات.

ورغم ذلك فان العلة التربوية قد لا تكون سببا كافيا يقنع بالتدخل في مجرى الحكاية ما دامت هذه الحكايات موجه للقارىء الذي ينشد المتعة الفنية ، وما دام الهدف منها شرح ، مثل القوم وقيمهم ، كما ورد في المقدمة . اما اذا كانت الحكاية مصوغة في قوالب سهلة يفيد منها الاطفال في قراءاتهم فان هذا الاثر يصبح واردا جدا .

ومن قبيل هذا التدخل في فحوى الحكاية ، وضع المقدمات المعقولة لتهيء للنشأة والظروف المهيئة والاسباب المؤدية ، لأن الراوي الشعبي يروي ببساطة هي من أهم مميزات الحكاية المتداولة الحية على السنة الناس ، وهذه البساطة لا تنفي العمق والدلالة بالمغزى(٧) ، وهي اما ان يكون سببها طبيعة القصص الشعبي الذي يصل احيانا الى ما يريد دون تمهيد او لا يذكر الاسباب ويوجز ويقتصر في العبارة او يعود الى منهج الراوي نفسه،دون حديث عن الظروف والمظاهر التي شغلت الخير بين العقل ونتيجته (٨) .

ومن قبيلة ايضا ايجاد التفسيرات الاثمة للمعجزات الخارقة ، اذ كيف تجد تفسيرا لفعل يؤمن الشعب بحدوثه وامكانيته مهما كانت درجة غرابته . وكيف تنقل الجو الشعبي للحكاية من جو الخيال الرحب الذي ينأى بالناس عن واقعهم ــ وهذا هو جو الحكاية ــ الى جو الواقع الممل الذي هرب الناس منه الى آماد الحكاية الفسيحة ! من قيود الزمان والمكان وفي حدود طبيعته البيولوجية ، والتفسيرات تشده الى واقعه (٩) .

اما عن الاداء ــ يقول الاستاذ فايز الغول ــ «فحرصت ان يكون صحيحا فصيحا متين اللغة قوي الاحتباك لتلائم قوة الاداء الذي صدر عن الراوية الشعبي (١٠)

---

(٧) د. عز الدين اسماعيل ، القصص الشعبي في السودان ، الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧١ الصفحة ٧٠.

(٨) المرجع السابق الصفحة ٨ .

(٩) المرجع السابق الصفحة ١٧٢ .

(١٠) الدنيا حكايات الصفحة ١٣٩ .



والمعروف عن لغة التدوين انها اثارت نقاشا ـ ولم تزل ـ حول اللهجة العامية والفصحى ، منذ ان دون الاخوان جريم ـ ويعقوب بشكل خاص ـ حكاياتهما الالمانية منذ اكثر من قرن ونصف القرن فحافظ يعقوب على النص الاصلي . ورأى اخوه ويم ان لا مانع من التدخل المحدود لاعادة الصياغة ، وشايعه فريق اخر من جامعي التراث الشعبي . اما علماء الفولكلور فلا يتنازلون عن الابقاء على اللهجة كما هي دون ادنى تغيير .

ولقد رأينا في عصرنا الحاضر من جمع الحكاية الشعبية في بعض اقطارنا العربية وتعرف في هذه اللهجة وصاغها بالفصحى المبسطة (١١) ولكننا لم نجد في هؤلاء من احتفل بالفصحى الراقية ـ ان جاز التعبير ـ احتفال المرحوم فايز الغول، وهو المتخرج من الازهر الشريف وكلية دار العلوم عام ١٩٣٤ من قسم اللغة العربية ، والذي اشتغل بتدريس اللغة والنحو واداب العصر الجاهلي سنين طويلة لطلاب المعاهد العليا ، حتى اصبحت الفصحى من رصيده اللغوي بل مما يتحدث به عادة في بيته ومع الناس . لذلك لا تستغرب اذا وجدت في الحكايات التي جمعها ونشرها ما يقوله على لسان بطل احدى الحكايات ، وتروا مسيكم وفوقوا سهامكم (١٢) ويقول في المجموعة نفسها : لم يأل جهدا في دحض دعاوي المرجفين وكشف نحائز المستفلين (١٣) وماذا يفهم القارىء العام للادب الشعبي من قوله «نامت ليلة نابغيه» (١٤) ، او قوله وصلت الى مواقع الماء من ذي الغلة الصادي ، رغم ما فيها من عبارات فنية معبرة ، وربما ظهر في بعض التعبيرات بعض تكلف كما يبدو في قوله ، ذهبت الالفة بالكلفة» (١٥) .

قد يرى الباحث ان التبسط في تدوين الحكاية بالفصحى يظل قريبا بها من اصلها ويظل يحافظ على شكلها العام لدى الدارسين والقارئين وهو لازم وضروري في مواضع حساسة من الحكاية ولكن الالتزام بالضروري شيء والتطرف فيه شيء اخر .

هذا الى ملاحظة ان المرحوم لم يحافظ على الشكل العام للحكاية الشعبية في مجتمعنا في بداياته وفي نهاياته ، حيث انه انهى جميع ما دونه من حكايات بالعبارة المألوفة في انهاء الحكاية في بعض البلدان العربية ، وخلفوا بنين وبنات ، وعاشوا في ثبات ونبات ، الى ان اتاهم هادم اللذات ، وهي نهاية

---

(١١) مثل عبد الكريم الجهيمان في السعودية ، وكرم البستاني في لبنان ، وبسام ساعي في سوريا ، وامين يوسف قصير في العراق .

(١٢) مجموعة « الدنيا حكايات » الصفحة ١٣٩ .

(١٣) نفس المجموعة الصفحة ٩٧ .

(١٤) مجموعة « من سواليف السلف » الصفحة ١٩٦ .

(١٥) نفس المجموعة الصفحة ٧٢ .



معروفة في انهاء الحكاية الشعبية في المجتمع المصري .

اما المجتمع الذي تغطيه هذه الحكايات في هذه المجموعات ، فانني من خلال احاديثي ومقابلاتي الشخصية مع المرحوم وجدت ان تسعا وعشرين حكاية كان قد سمعها وهو صغير من رواة حدثوه بها من اهالي القرى المحيطة بمدينة القدس، وخمسا منها سمعها وهو معلم في حيفا في الاربعينات ، وواحدة حدثه بها احد اهالي منطقة الخليل ،والبقية الباقية دونه لها طلاب مدرسة جنين الثانوية (١١ حكاية) وطلاب وطالبات مدارس نابلس الثانوية (١٣ حكاية) ، ومن ذلك يظهر ان هذه الحكايات تحمل الصور الاجتماعية والفكرية الشعبية لسكان منطقة القدس ومنطقة نابلس . ويظهر كذلك ان الاستاذ كان يعتني بهذا التراث الشعبي منذ صغره وفي مختلف مراحل عمره عناية جعلته يحرص على فحوى هذه الحكايات الى حين ملتها عليه ذاكرته ، ومن يطالع هذه الحكايات الستين المنشورة يدرك مدى انطباقها على واقع المجتمع الذي تتحدث عنه من النواحي الاجتماعية والعقلية والنفسية . وذلك بالرغم مما ذكرنا من تدخل في المضمون وفي الاهداف وفي الاشكال اذ ان التاثر العام في الاتجاهات العامة للشعوب يحسب بمجموع اثره واهدافه الكبرى ولا يكاد يحاسب على الهنات البسيطة والتحريفات التي لا تذهب بالجوهر العام .

ولو ذهبنا مع القائلين بعدم ضرورة التحريف في الحكايات ، لانعدم ان نعتبر الاستاذ راوية جديدا لهذه الحكايات . وماذا في ذلك ؟ اليس هو ابن مجتمعه ؟ الم يخرج من امال الشعب والامة ؟ الم يحلم بما تحلم ويفكر بما تفكر ؟

ان دارس الحكاية الشعبية في مجتمع فلسطين ما قبل النكبة او بعدها لا يمكن ان يستغني عن هذه الحكايات القليلة العدد الكثيرة التعبير . ولا يمكن الا ان يقر بفضل الريادة في هذا الميدان لهذا الاستاذ الذي لا يقل عمله عما قام به احمد تيمور واحمد امين في جمع وتدوين بعض المأثورات الشعبية في المجتمع المصري . ولا يمكن بالتالي الا ان يطالب المخلصين والقادرين والمعترفين بالفضل على التعاون في نشر سائر الحكايات التي لم تنشر من مجموعات المرحوم الكثير .

عمر الساريسي



استعملت مادة الحناء كوسيلة اساسية من وسائل تزين النساء في فلسطين حتى اواخر الجيل الماضي ولا زالت لها بعض الامتدادات داخل جيلنا الحالي .

والحناء تؤخذ من نبات الحناء، وهو شجر كبير الحجم وأوراقه تشبه ورق الزيتون وله رائحة طيبة .

وقد ساد اعتقاد داخل الاوساط الشعبية ان للحناء اثرا في زيادة الفاعلية الجنسية عوضا عن كونه مادة للتخضيب لها لون جميل ورائحة طيبة وهذا من اسباب انتشار استعما لها في تزيين العرائس قبل زفافهن .

وهناك نوعان من الحناء يسميان نسبة الى لونهما وهما الحناء الحمراء والحناء السمراء .

الماشطة وليلة الحنا

يكون في القرية او المدينة او الحارة عادة امرأة او اكثر متخصصة في تزيين النساء وتحنيتهن وتسمى هذه المرأة (الماشطه) وتقوم بعملها مقابل أجر .

ورغم ان اسم الماشطه مستمد من مهمة تمشيط الشعر الا ان عملها يتجاوز تمشيط الشعر وتحنيته الى تحنية القدمين والكفين وبعضهن يتولين مهمة تزيين جسد المرأة كاملا مثل ازالة الشعر الزائد عن الوجه والحواجب والساقين واليدين وأماكن

اخرى من الجسد وهو ما يسمى باللهجة الدارجة (التحفيف)

ويقوم اهل العروس عادة بابلاغ الماشطه بموعد الزفاف ... ليلة الحنا وهي عادة الليلة التي تسبق ليلة الزفاف ويتم الاتفاق معها على كيفية تزيين العروس ... البعض يكتفي من عمل الماشطه ...

التي تحضر الى بيت اهل العروس ... ومعها الحنا المعجونة وادواتها الاخرى التي تستعملها في تزيين العروس ومن معها .

وفي منطقة رام الله تجتمع نساء الابرتين (العريس والعروس) ليلة ... وتحضيرها ثم تحمل

في التراث الشعبي

العروس وترك ... الشعر عن ... او ... كباب ... تولى مهمة تزيين العروس بالكامل للماشطة .

وتبدأ الماشطه في نهار ليلة الحنا اي قبل المساء بتقاعات بعجن الحنا وتحضيرها حسب الطلب وحسب عدد النساء المراد تحنيتهن مع العروس ويتم عجن الحنا عادة بماء الشاي حيث يزيد من توضيح لونها المائل للحمرة. وقد يتم عجن الحنا وتحضيرها في بيت اهل العروس - او في بيت الماشطه

احدى السيدات طبق الحنا المزخرف بالزهور على راسها وتذهب به في ... الى بيت العروس فتدخل عليها ... نساء لتحنيتها(١) .

وغالبا ما يكون في بيت العروس ليلة الحنا قريباتها ، ... الحنا على شكل (صرر ... قبل ...) بتقاعات الى الجارات والصديقات والقريبات في البلد بمثابة بطاقة دعوة ليشهدن الاحتفالات الخاصة بليلة الحنا (٢) .

وتقوم الماشطة عادة بتولي مهمة

---

(١) مجلة العربي عدد ٣٤/١٩٦١ .

(٢) أفراحنا الشعبية - نمر سرحان - مجلة الفكر ١٠/١٩٦٧ .



الحنّا

تحنية العروس وربما قامت بتحنية والدتها او بعض اخواتها .

وغالبا ما تقوم النساء المدعوات في ليلة الحنا وخاصة الكبيرات في السن بتحنية انفسهن او تحنية الفتيات الصغيرات ، وكثيرات من النساء يحرصن على تحنية بناتهن من الحنا المرسلة لهن من اهل العروس ويتفاءلن بذلك حتى (يعقب)(٣) لبناتهن ذلك بشرى خير لبناتهن فيتزوجن في المستقبل وتكون لهن مثل هذه الفرصة . وكل ذلك يتم وسط اغاني النساء ورقصهن ، وغالبا ما يكون مضمون الاغاني تعبيرا عن جمال العروس وحسن زينتها (وحنتها) مثل هذه الابيات التي تعبر عن جمال العروس والتي تأتي على لسان صديقاتها :

حناك مرطب يا فلانه
حناك مرطب يا هي
شعرك قصب نصب يا فلانه
يا خيمة الباشا يوم نصب يا هي
يا أم شعر اشقر يا فلانه
قلب وتفكر يا هي
يا أم شرابة يا فلانة
بيك شيخ عرابة يا هي
شنتشلي النابر يا فلانه
بيك النبي زاير يا هي
شنتشلي الدبوس يا فلانه
بيك فكاك المحبوس يا هي (٤)

وهناك اغان من المفترض انها على لسان العروس ليلة الحنا وفيها تعبير عن حزنها على فراق اهلها وحبها لهم مثل هذه الابيات :

قولوا لبوي الله يخلي اولاده
استعجل علي وطلعني من بلاده
قولوا لبوي الله يخلي ولده
استعجل علي وطلعني من بلده(٦) .

---

(٣) يكون لبناتهن مثله .

(٤) كناية عن اشتغال والدها بالحكام ورفعة المقام التي مكنته من التوسط للافراج عن المحبوس (المسجون) .

ملاحظة : جميع الاغاني في هذا البحث مأخوذة من بحث افراحنا الشعبية ـ نشر مرجان ـ الفكار ١٠/١٩٦٧ .

(٥) بوي : ابي .

(٦) الابيات في حقيقتها تعبير عن حب البنت لوالدها واظهار التمنع وعدم التهالك على الزواج انسجاما مع الواجب والتقاليد التي تمنع البنت من اظهار حقيقة عواطفها تجاه الزواج ، على العكس ما قد يفهم من الابيات أن الوالد متسرع في زواج ابنته ومرغمها على ذلك .

لكن الاغلب ان تظل اغاني ليلة الحنا تدور حول مضمون التغزل بمحاسن العروس لاعطاء جو الاحتفال بهجة أكثر ٠

الله اكبر ليلة حناها
ليلة تنحنى ولا نراها
يا نجوم السما تسمع نغاها
هالبنت الحلوة الشقرا المزيونا (٧)

طرق التزين بالحنا

تستعين الماشطة التي تتولى تحنية العروس بعدة مواد بسيطة في عملها مثل الزفته وبعض الخيوط القطنية الغليظة قليلا ٠ حيث تقوم الماشطة بتسخين الزفته بينما تاتي بالخيط الغليظ وتربطه على شكل دائرة حول الرسغ تماما ثم تربط الخيط حول الاصبع الابهام وتنزله على امتداد الاصبع على باطن اليد وتربطه بالخيط الملتف حول الرسغ ثم تربط الخيط حول السبابة وتنزله على باطن اليد وتربطه بالخيط الملتف حول الرسغ وهكذا تربط كافة الاصابع بحيث تصبح اليد كلها مشبكة بالخيوط الممتدة على امتداد الاصابع حتى الرسغ ٠ بعد ذلك تاتي الماشطة بمسمار رفيع وتبدأ بغمسه بالزفته المصهورة ترسم على باطن اليد بين فراغات الخيوط رسوما متعدده تتراوح بين الدائر الصغيرة غير المغلقة وبين الاشكال التي تشبه اوراق الاغصان كما ترسم خطوطا عرضيه حول الاصابع عند العقد وعلى ظاهر الكف ترسم ايضا نفس الاشكال او ما يشبه الاغصان وبعد ان تنهي الماشطه رسم الكفين بالزفته تحضر الحنا المعجونه وتبدا بلصقها على اليدين من جميع النواحي ٠ وبعد ذلك تلفهما بقطعة قماش لفا جيدا وتربطهما ، وكذلك تفعل مع القدمين ، حيث ترسم الرسوم على مشط القدم ثم تضع الحنا على القدم من الاسفل ومن الاعلى وبين الاصابع وتلفهما أيضا بالقماش ٠

وعند فك اليدين والرجلين في صباح اليوم التالي تزال الحنا وتزال الزفته والخيوط كذلك فتكون رسومات الزفته والخيوط قد تركت فراغات في اليدين والقدمين تتخلل الحنا مما يبرز هذه الرسومات ٠

وهناك طريقة ابسط من السابقة لتحنية اليدين وتستعمل عادة للبنات الصغيرات في السن وكذلك الاولاد الصغار حيث توضع في يدهم قطعة من عجينة الحنا ويغمضون يديهم عليها ثم توضع قطعة اخرى فوق اظافرهم وتربط اليد وهي مضمومة فوق الحنا وعند فكها تكون اليد قد اكتست لون الحنا بينما هناك فراغات مكان خطوط اليد وعقد الاصابع

ويمكن جعل لون الحنا أقرب الى السواد وذلك بغسل اليدين بعد فك

---

(٧) هذه الابيات تكون على لسان الشباب الذين يكونون في مكان اخر يرقصون الدبكة ويغنون أيضا ٠
(٨) مادة كيماوية بيضاء اللون تشبه حجر الجير تستعمل في لحام القصدير ٠
(٩) وردت جميع هذه المعلومات على لسان السيدة س٠خ من يافا ٦٠ عاما ٠



الحنا عنهما بمحلول النشادر (٨) بالزيت حيث يتحول لون الحنا من البرتقال الى الاسود (٩) .

ولا يقتصر التزين بالحنا على الكفين والقدمين بل درج استخدامها لصبغ شعر الراس وخاصة النساء الكبيرات في السن اللواتي وخط الشيب شعرهن . وتتم تحنية شعر الراس بعد غسله وتنظيفه جيدا ، ويستخدم لتحنية شعر الراس الحنا السمراء والحمراء بعد عجنهما سويا بماء الشاي حيث تؤخذ قطع الحنا ويتم دفنها بين خصلات الشعر بالتدريج ومن جميع النواحي المراد تحنيتها الى ان تغطي الحنا كل الشعر المراد تحنيته وتتخلله جيدا ثم يتم ربط الراس بقطعة قماش كبيرة ويترك حوالي اثنتى عشر ساعة حيث يفك القماش بعد ذلك ويغسل الراس والشعر بالماء الساخن وينظف من عجينة الحنا ويكون قد اكتسب لون الحنا .

الحنا كدواء

درج استخدام الحنا كدواء ايضا من بعض الاوجاع ففي حالات الصداع يتم احضار قليل من الحنا وتعجن بالماء ثم توضع في قطعة قماش وتوضع فوق الراس لمدة ربع ساعة فيزول الصداع (١٠) .. كما يكثر استخدام الحنا بين اصحاب المهن اليدوية الذين تصاب ايديهم بالتشقق مثل البنائين والحجارة وغيرهم من اصحاب المهن التي تصيب اليدين بالجروح والتشقق حيث يتم تحنية اليدين كما ورد في تحنية العروس ولكن بدون زخرفة (١١) وهناك اجماع على ان الحنا تشد جلد اليد وتمنعه من التشقق وتزيل اوجاع اليدين . كما تستخدم الحنا كعلاج لبعض انواع الالتهابات الجلدية مثل الالتهابات التي تحدث بين اصابع القدمين اثناء الصيف نتيجة كثرة المشي والسبب العرق حيث تتم تحنية المناطق الملتهبة بين أصابع القدم الامر الذي يوقف تسلخ الجلد (١٢) .

عزمي خميس

(١٠) على لسان الشيخ محمد الطريفي .
(١١) على لسان السيد م.ح. ٤٧ سنة من العباسية .
(١٢) نفس المصدر السابق .



الوصايا عند البدو

• أحمد العبادي •

ان مما تفرضه بيئة البادية او الريف اعطاء الوصية على شـــكل نصيحة او وصية محضة او الامر بفعل شيء او تركه او العدول عنه نهائيا .

واذا كان التقيد بالنصيحة لا يعني بالضرورة لزوما ، فقد يكون في الوصية نصيحة او امرا لا مفر من العمل به ، مثل وصية الميت لورثته او لرجاله من بعده ، فما هي الا نصائح .

دوافع الوصية في البادية او الريف

اذا كان الامر يختلف ما بينهما في امور ثانوية فالخطوط العريضة هي التي تجدها في كليهما . ومن عدد الدوافع :

حب الشخص للاخر :

يوصي المحبوب محبوبه ان يفعل كذا وكذا لكي ينال رضاه او مبتغاه ، والوالد يوصي ولده كل ذلك في ابيات من الشعر او كلمات من النثر لانارة ظلمات الطريق ، وتبيان ما يتوقع من مخطورات او مستحسنات في هذا الباب او ذاك والتي مرت على الوصي او عاصرها مع غيره . واعطاء الضوء الاخضر او الاحمر في التقدم او الاحجام بهذا الشيء او ذاك ..

ومن هنا نرى ان عواطف حب الشخص للاخذ او للاخر تدفعه لابداء النصح والارشاد في وصية تجد أذنا صاغية .

الرغبة في الانتقام :

وفي حالة العداوة التي تتهيأ ظروفها ما بين ابنا «الجنس البشري ، وعندما يعجز شخص من تحقيق ما في نفسه من الانتقام من خصمه ،فينازع الروح ، او يقعده المرض او العاهة ، او الجلاء او السفر ، وربما السجن او ظروف اخرى .. فان حاجته للانتقام تدعو الى اختراع وسيلة انتقامية يوصيها ذويه أو اهله – الا يستسلموا لكذا ولا يوافقوا الا على كذا – وان يعدوا للامر عدته،وان يغزو عدوهم ، ويشفوا غليل صدورهم ..

وقد يكون انتقام المنتصر ، ليقضي على الاخرين حتى لا تقوم لهم قائمة بعدها فيرتاح منهم .

في التحكيم :

ان بعض المشاجرات او المنازعات التي تكون بسيطة في البادية عادة ، وتكون حول ارض او فتاة ، او قضية دم غامضة ، ان يلجاوا لليمين او للتحكيم وللقاضي وهنا لا بد من كلمة الفصل لانهاء كل ما سبق ، فان كلمة واحدة قد تؤدي لتغيير مجريات الامور ونتائجها ، ومن هنا فلا بد من الوصية لقول كذا او فعل كذا والابتعاد عن التصرف او القول الفلاني .

٤ – وفي الحكمة :

يرغب البدوي والريفي كل منهما في اعطاء ثمرة جهوده وتجاربه خالصة من قلبه لولده او لاي غيره ناضجة على شكل حكمة او مثل او نصيحة وما هي الا وصية منه خاصة اذا ما كان يكره ان يقع من ينصحه في مازق او مصيبة ، وليعيش في مثاليات ، وسلوك مقبول .

وما هي اشكال الوصايا

ان القارىء للشعر البدوي والريفي لا بد وان يجد ثلاثة اشكال من الوصايا وهي :

المثالية ، والواقعية ، والخيالية

الوصايا المثالية :

ان المبادىء الانسانية والتي تشكل الوصية البدوية جزءا منها



تدعو كلها الى التمسك بالاخـــلاق الصحيحة ،والمثاليات . والســـلوك الحسن ، وتقوى الله ونبذ الانحراف والمنحرفين .. فأول وصية للبدوي :

او وصاتي بالفروض الدينيـــة
صوم وصلاة بوقتها بالمواجيب .

ونجد ان شابا في سن المراهقـــة يوسوس له الوسواس الخناس هو احوج ما يكون لمن يحرك دوافع التقوى والمثاليات في نفسه وقلبه وعقـــله . كما وان الحفاظ على الجار هي احدى الوصايا المهمة فيقولون . اسال عـــن الجار قبل الدار ، واسال عن الرفيق قبل الطريق . وقولهم في الكـــرم والحث عليه . اطعم واسكت واطعن واسكت ، . وتقديم الموجود للضيف وكما يقول الشاعر البدوي كما سياتي:

وقلط من الماجود ما هــان جيبـــه
واحلف ورا الماجود دون العازيب

ثم يدعو البدوي في وصيته بتجنب طرق الزنا والعيب وشهادة الــــزور فيقول :

درب الزنا والعايه والقريبـــه
ترى هلولن من كبار العذاريـــب

ونذكر في نهاية المقال قصيدة طويلة عن الوصايا المثالية التي تتحدث عن المثاليات .

ولا بد من الاعتناء باليتيم وعدم ذوره:

ويتيمهم ع القدر واقف من النيران خايف

عينه من الدخـــان حمـــرا
ويتيمهـــم لا تنهرونـــــه
وان شق جيبـه خيطونـــــه
يتيـــم وما لـــه حـــمدا

الوصايا الواقعية :

وهي تلك التي تتكلم في امر حاضر الوصية كالحث على القتال في المعركة او الزواج من فتاة دون اخرى ، ومن البكر دون الثيب ، والتزود بالـــزاد قبل السفر . والتاهب للامور الصعبة وقلة الكلام فيقول البدوي : خامس وصاتي كثرة الهرج عيبه : ترى كثير الهرج مسموج ويخيب ولا بد لنا ان نضرب لذلك امثلة مع الدلالة عليـــه بالشعر الذي يعنيه :

وصية عدم ايقاد النار في الصحراء للمسافر :

فاذا كان من الكرم ان يوقـــد البدوي ناره ليلا اذا كان مع العربان ليدل التائه الضائع – فان المسافر على عكس ذلك في عرفهم واشار لهـــذه النقطة كل غالبية الرحالة الاجانـــب

ومنهم مثلا بيركهارت . وكنغليك ، ويقول البدوي يوصي ابنه الذي سافر في الصحراء فيقول : اوصيك يا بني لا توقد النار بالخلا النار تـــوري والطريق تجيب .

وصية في الحب :

ويوصي المحب المسافرين المارين قرب منازل حبيبته الا ينظروا اليها خشية وقوعهم في حبها لحسنهـــا وجمالها فيقول البدوي :

اشرفت انا المشراف وربي يخونـــه
غير الفريـق مقابلين ســلميا (١)
انا اوصي العيـــال لا يشوفونـــه
هيل القلوب اللي عل الحب ضميا(٢)

وصية في تغذية المهره :

كانت الخيول من دلائل العـــز والفروسية ، يركبونها الفـــوارس ، يحاربون الاعداء حياضا عن القريـــة القرية او القبيلة .

وننظر لسان حال الفارس منهم يوصي امه ان تغذي مهرته جيدا لتكون جاهزة للسباق او للحرب او لكليهما فيقول

يا يمة غـــلي مهيـــرتي
تســـلم وانـــا خيالهـــا
واشري لها محزم جديـــد
ريش النعـــام قذيلهـــا

وضع الخرج عل الناقة :

فاذا ما نوى احدهم الســـفر او الغزو وضع ما يحتاجه من طعام وماء وسلاح وملابس ، وركب مطيته جاهزا في اية لحظة للهجوم او للدفاع ومـــن هنا جاءت وصية لسان حال احدهم بقوله :

شـــد اشـــدادك والحقنـــي
وســـلاحك والخيزرانـــه

بينما توصي الام ابنها فتقول :

يـــا ولد يا راكب الناقـــه
حط الخرج واعتـــدل زيـــن
والبنت ان كانت عشـــاقه
وتحيـــرت بيـــن الاثنيـــن

مشاورات حول الزواج :

انه الامر الذي لا يقدم عليـــه البدوي بدون نصائح واستشـــارات ووصايا سابقة . فهذا شاب متدين عرضت عليه فتاة ان يترك الصـــلاة مقابل ان يقبلها ويحبها ، فارسل في استشارة صديقه وهو يصف المحبوب فيقول :

اقبل وحجلة عل الـــدامه بيـــرن
ولمع البرق اليا بدا طرف ســـنه
قالت لي ربك قلت صـــايم مصلي
قالت لي دينك قلت طامع بجنـــه
قالت لي : تبيع خمس حبات منـــي
بيهن تبيع فروض ربك وسنه (٣)

---

(١) المشراف : الارض العالية المشرفة عل بيت المحبوب ، وربي يخونه كدلالة عل التذمر من المرتفع كيف يشرف عل محبوبه . والفريق هو مجموعة البيوت من الشعر ، وسلميا اسم المحبوبة.
(٢) العيال : الشباب المسافرون ، وهيل : أي اصحاب واهل ، وضميا : اي ضمآنة .



ويوصيه صديقه ان يوافق عسل عرضها وهو خمس قبلات منها مقابل الصلوات الخمسة ، وينصحه باطاعتها وبعد ان ياخذ مرادها ويتزوجها يوصيه بالتوبة لله فيقول :

ان كان خمس اوصاف به يكملن
عقد النحصر نوطه طويل المعنـــه
والعين عين ال بالـما يزعقـــن
والقرن يظهر لك من البير شـــنه
ان كان بيض الصدر ما كـــرن
وخط القلم ما بينها حد رتـــه (٤)
بيمــه صلاتك ثم فرضـــك وسنه
حط الفرس والبل وانا اجزيك عنه
من عقب ما ترشف عســـل ذوين
تب توبة والرب ينجيـــك منــه :

الزواج من ابن العم :

من العادة المالوفة زواج بني العم ... ويصعب على الفتاة ان تتزوج من رجل غريب على القرية او العشـــيرة كيف وهم يزمنون ، من طين بلادك لط اخدادك ، . فهذا يخاطب فتاة احبت بعيدا عن البيئة الضيقة ويقول لها ان تتوب الى رشدها فيقول :

والبنت ان كانت عشـــاقه
تحيرت بيــن الاثنيــــين
تخيري من بنـــي عمـــك
وش لك بهوى البعيـــدين

الزواج من الشاب :

يكره الشاب ان يتزوج من عجوز او المرأة الشيب (وليس الطموح) او المتوسطة العمر . ونجد هـــذا في الفلكلور والاغاني العربية ففي مصر مثلا يغنون :

ما خش العجـــوز انـــا
لازقه يوقــــع بالقنــــا

وتقول الاغنية الاردنية :

يمه يا يمه شايب ■ بـــلي

ومن اول ليلة جرح لي خـــدي

فبينما يكره الشاب حتى الرعيـة مع العجائز فيقول :

(٣) خمس حبات : أي خمس قبلات .

(٤) اذا كان بهاخمسة أوصاف هي : الخصر النحيف ، والعنق الطويل ، والعين الواسعة القوية الجميلة كعين الصقر ، وطول القرن حتى انه يمكن استخراج الدلو به من البئر . ونهديها لا يزالان جامدان لم يعبث بهما أحد من قبل ، وهما ممتلئان مقتربان يكادان يتلامسا فلا يفصل بينهما مسافة أكثر منحجم خط القلم .

(٥) ما أقرد : ما أسوأ . لادوك : سوف اذيب . والعقلاء نوع من النبات مر الطعم .

سر حوفي بالعجائز
ما اقرد رعيتي فيهن
لن اطلبني عطشانات
لا دول الدفلا، واسقيهن (٥)

فهو يرغب رعية الفتيات ،ويتمنى ذلك فيقول :

سر حوفي بالبنات
ما احسن رعيتي فيهن
لن اطلبني عطشانات
لادول السكر واسقيهن

ويقول العربي ناصحا موصيا : البكر لك ــ والشيب عليك ، وذات الولد لا تقربها • والفتاة تحب الاعزب وتفضله على المتزوج والشاب على العجوز فتقول :

ان كانك عزابي يا عز احبابي
ان كانك متزوج ارحل من عندي
ويا طير الطاير ع العنبر هدي
شايب ما اخذ وارمل ما بدي
واحب الولد شاليشه مندي
كل يوم الصبح يجي لعندي (٦)

وفي طلب الحاشي :

ويرقص الرجال ثم يطلبون فتاة ترقص امامهم تزيد من حماسهم فيبدي كل براعته وهذا ما يطلبونه مما هي الله سماره ، تاري يعضين دميه ، ولا يريدون العجوز ويوصون لفتاة مليحة جميلة فيقولون :

عجوز ما ودنا عجوز
تجرجر بالاشريحيه
ودنا بنية مليحة
وترش المصب عطرية
ولا تاخذ غير الاصيلة
فرد الاماني بردنيه (٧)

وهكذا وجدنا هذه الوصية ما هي الا طلب لحاجة او امر من الامور مع الرغبة في تحقيقا •

الخيالة :

ووصايا اخرى هي ضرب من الخيال يتصورها المغني الشعبي او البدوي ، فتارة يكتبها على جناح الطير ،واخرى مع النسيم والهبوب ، كما وانه لا يتورع عن مخاطبة القبر والنعش ، ويصور الميت وهو ينطلق ليوحي بما هو عليه حاله . وقد يخاطب المنجل او شفرة المطهر •• الخ لنرى الان كيف يتم ذلك :

رسالة المعركة :

يرسلها لمحبوبه يطمئنه مع الامل بالعودة منتصرا فيقول :

يا ولد يا قاري المكتوب
بلغ سلاماتي للغالي
قله عشيرك لا بد يعود
من عركه ما لها امثالي

---

(٦) شاليشه : شعره الطويل ، ومندي تعني نظيف ومغسول بعطر الند •
(٧) تجرجر بالاشريحية : أي تجر الثوب ، وترش المصب : أي تضع العطر على منديلها وعصبة راسها ،والردينة هي الملبس الطويل القديم وهو نوع بريلو •

والله عشانك لا بيع المسروح
وانصاك يا ديرة الغالي (٨)
وحول الميت ترى اشكالا كثيرة من

الوصايا الخيالية :

منها بناء الخيمة فوق القبر :
وان تكون خيمة حمراء للحث على اخذ الثأر وقتل قاتله و «وابنوا على المقتول خيمه ، يا خيمة المقتول حمرا يا ريت قتاله قتيل .

ويتكلم الميت فيقول لبناته : بالله عليكن يا بناتي «بالله تشرن عباتي ، ولا يلحق القبة صدا (٩) وتطلب الام او الزوجة او البنت ممن يدفنون ميتها ان يفتحوا له طاقة ليتنفس فتقول بالله تفتحوا للقبر طاقه «حزين ع شوف الرفاقه «وحزين ع شم الهوا».

واما حافروا القبر :
فلا بد من وصيتهم ان يعتنوا به جيدا حتى لا يضايق الميت ولا يكون مظلما ، «بحاش القبر وابحشه زين» خوفي على الزين ينهدي .

ووصية بقص الشعر حدادا :
قصن الشعر يا صابناته ليش قصن الشعر ع طمامين العيش قصن الشعر يا صابناته عاد قصن الشعر ع طمامين الزاد .

التخوف من الاعزب :
واما زيادة في الدلع والتمنع والتظاهر غير الصحيح بالهروب من الاعزب يتواصين الفتيات بعدم الائتمان منه فيقلن :

يا طابجة تفسلي بقصبة الفليون
لا تامنين العزب ترى العزب مجنون
يا طايحة تفسلي المشمش
لا تامنين العزب ترى العزب يخمش(١٠)

ووصية للحصاد :
ان يبحث له ظلا يستظل به عن الحر وعلى احسن ظلا ما بين النهرين والشوب كما يقول :

يا حصاد شيل المنجل
جتك الشمس والشوبة
دور لك شبرين ظلال
ما بين النهر والشوبة

ووصية للمطهر :
ان يخفف يده ولا يؤلم الفتى ما بين يديه والا فهي تدعي عليه الانثى: (١٢) .

بالله يا شلبي وبالله عليك
لا توجع لي خيي ولا ادعي عليك
طهره يا مطهر وخفف ايديك
ومضي موسك ذكر الله عليك

---

(٨) عشيرك : أي حبيبك ، والمركة : هي المركة وماليا مثالي : أي لا مثيل لها بالشدة والصعوبة ، وعشانك : أي من اجلك ، وانصاك أي اسير اليك او اعود او اتوجه اليك ، والديرة هي البلد التي تعيش فيها حبيبته .
(٩) أي حتى لا تصدأ العباءة من وضعها في مكان بعيد عن الندى والهواء .
(١٠) يخمش : أي تمتد يده الى الجسم يريد من الفتاة سوءا .
(١٢) الشلبي هو المطهر ، ومضي موسك : اجعل الموس ماضيا .

العطارة



العطـــار :

هو بائع العطور وذلك لاهتمامه بجمع الاعشاب العطرية وهي نباتات ذات روائح خاصة تستعمل في استخراج الزيوت العطرية لصناعة الروائح وعمل بعض الادوية كما قد تستعمل كمشروبات ساخنة لعلاج بعض الامراض الباطنية وفي تحضير الماكولات . والعطار صاحب محل في مكان معين عنده الكثير من المواد العطارية موضوعة على رفوف خاصة مسجل عليها اسماؤها وغالبا ما يكون للعطار تجربة عملية بها يعطي الادوية وعملية خلط وتركيب المواد المختلفة (وفي مناطق الريف يسمي الحكيم) ومهنة العطارة مهنة قديمة وغالبا ما تكون وراثية ياخذها الابناء عن الاباء لانها باعتقادهم مهنة مربحة ويجني من ورائها فائدة كبيرة . لذا نجد ان العطار يفضل ان تنتقل مهنته الى ابنائه والعطاره بمثابة صيدلية قديمة . والعطار يعرف الداء ويعطي

محمد طاهات

الدواء . معتمدا في كثير من الاحيان على قراءة الكتب القديمة التي فيها الكثير من اسماء الادوية واستعمالاتها.

وفي بحثنا هذا سنتناول المواد العطارية واستعمالاتها الا اننا لم نتطرق الى جميع هذه الاستعمالات ، لان كل مادة لها اليد الطولى في مكافحة الكثير من الامراض الخطيرة وغير الخطرة كما سيرد في بحثنا هذا استعمالات المادة في كثير من مناحي الحياة الاخرى . وكذلك دراسة ما يتعلق بهذه المواد من عادات وتقاليد وقد اتخذ من الطب الشعبي والمواد العطارية كل شيء وخاصة في فترة ما قبل العشرينات والثلاثينات وذلك لغياب المواد الطبية الحديثة او لجهلهم بها .

ورغم الجهود التي بذلتها في البحث عن هذه المواد الا انها غير كاملة . اذ ان لبعضها استعمالات غابت عن ذهن من اعتمدت عليهم . كما وان البعض منها لم احصل على صفاتها كاملة ومواد اخرى لم اعرف الا اسمها . حيث ان هذه المواد ذهبت بمعرفة الادوية الحديثة وكان العطار في كثير من الاحيان يحمل اعشابه ومواده العطرية على ظهره ويطوف بها الارياف والقرى لبيعها وكان البيع يتم بشكل مبادلة او مقايضة لان العملة غير متوفرة دائما عند المرأة الريفية او البدوية واهم مواد ، المقايضة الحنطه ، الطحين والزيت، كنت اعرف شخصا يسمى الحاج بهجات وكان هذا الحاج مشهورا في معظم قرى شمال الاردن ويدعي بانه يعرف علاج معظم الامراض ومعظم علاجه او ادويته تتالف من الاعشاب المختلفة . واشتهر كذلك بالطب الشعبي الشيخ محمد المدني الذي كان عالما بارعا وطبيبا مشهورا .

ومعظم المواد التي يتعامل بها العطار هي الاعشاب . وغالبا ما تكون هذه الاعشاب مستوردة من الخارج وخاصة من سوريا بالاضافة الى الاعشاب يحمل العطار المواد السامة وهذه لا يبيعها الا لمن يثق بهم وذلك لما لها من اضرار بالغة .

مواد العطارة :

مواد اكثرها نباتية اكتشفها الانسان منذ العصور القديمة نتيجة للتجربة والممارسة ومنها ما كان اكتشافها صدفة فاستعملها في مداواة الامراض والجروح واستعملها للتجميل او زيادة قوته الجسمية واعتقد فيها اعتقادات منها صحيحة ومنها خاطئة كما ان هذه المواد



اصبحت تدخل ضمن المواد الطبية الحديثة كما يقول المهتمون بشؤون الطب . وجدير بالذكر ان معظم مواد العطارة تاتي مخلوطة بمواد من الاعشاب حسب الوصفة بمواد يعطيها العطار . واعتقد ان المواد العطارية لا يستغني عنها سكان اهل القرى حيث انه لا يخلو بيت الا ونجد فيه مجموعة من الاعشاب الطبية .

وهذه الاعشاب توضع في اكياس من القماش بشكل (صرر) وحيث ان المرض وعلاجه مشكلة الانسان وياخذ من وقت الانسان الكثير مما جعل الانسان يفكر دائما في ايجاد وسيلة تجعله يتخلص من الامراض حتى اهتدى اخيرا الى استعمال الاعشاب التي كان لها تاثير في علاجه وشفائه وكما ان للاعشاب علاقة بالطب فكذلك لها علاقة بالسحر وتعتبر وسيلة ايصال الساحر الى غايته . والقصص كثيرة على ذلك ويستخدم البخور لاكساب الجو طابعا سحريا لدى الاولياء واصحاب المبادئ، ونجد كثيرا من العطارين وقد تفرغوا لجمع الاعشاب وتعلموا طريقة خلطها واستعمالها حتى اصبحوا مرجعا في الطب الشعبي

مصادر المواد العطارية :

المواد العطارية مصادرها كثيرة ومنها المواد النباتية الدهنية وهي اعشاب يستخرج منها كثير من المواد الدهنية السائلة مثل :

١ ـ زيت القطن

٢ ـ زيت الزيتون

٣ ـ زيت الخروع

٤ ـ زيت السمسم (السيرج)

٥ ـ زيت الخس

٦ ـ زيت الذرة

السموم عند العطارين :

يتعامل العطار كذلك بجانب تعامله بالاعشاب بالسموم ، ولا يبيع العطار هذه المواد على الحياة الانسانية والحيوانية فهناك الكثير من المواد مثل الجعده وهي نبات له ساق طويل ووريقات عريضة ، فانها اذا اكلت نية سببت اختناقا في الحنجرة بينما اذا طبخت فانها تصبح جيدة وصالحة للاكل .



وفيما يلي قائمة بمواد العطــار التي جمعت معلومات عنها :

البابونج :

نبات له ساق قصير وزهر لونه اصفر .

يستعمل علاجا لوجع القلب حيث يغلى مع المــاء ويشرب لعدة مرات وتساعد على تخفيف التهابات .

الحنظل :

نبات لونه اخضر وهو يشبه ثمرة البطيخ تماما له نوار اصفر .

يستعمل علاجا للعصبي ويعصر ويخلط مع الزيت ويدهن به الارجل ويستعمل كذلك علاجا لوجع القلب وله مذاق مر .

بزر القرع :

نبـــات يشبه نبات الكوســـا كبير الحجم اصفر اللون له بزر وهو معروف يستعمل علاجا للقضاء عــلى الدودة الوحيدة وذلك يخلط مع ملح الانجليزي ويأخذ كشربة . ويستعمل كذلك للقضاء على الاصفرار .

قثي الحمار :

نبات اخضر له ساق قصير لــه ثمر بحجم حبة الجوز يستعمل علاجا لازالة الصفار وذلك باستنشاقه .

بيض ابو حمار :

نبات يختلف عن قثي الحمار مذاره اكبر ولونه اصفر يستعمــل علاجا للحساسية حيث يعصر ويدهن به الجسم وهو حلو المذاق .

حمحم :

شجرة صغيرة متفرعة تنمو بين الزرع والدوالي له نواره زرقاء حلوة المذاق وله شوق صغير .

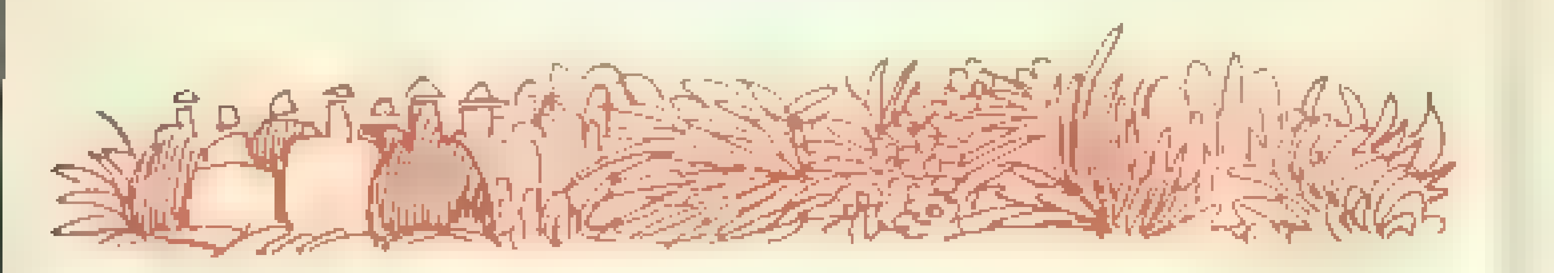
يستعمل علاجا للامراض الكبدية وذلك باخذ جذوره وتدق وتغلى بالماء ويشرب منه لمدة اسبوع .

الزبيب :

نبات معروف (العنب المجفف) يستعمل علاجا لتجبير الفواصل وذلك كضمادات حيث يخلـــط مـــع لبة الخروف وتدق .

المرصيه :

نبات جبلي قصير الساق لونه اخضر ووريقـــات عريضة خضراء .



يستعمل علاجا لمرض القلب . حيث يغلى بالماء مع قليل من السكر .

الحنا :

شجــرة كبيرة الحجـــم زهرة كالمشط لونه كريم على صفار يستعمل علاجا لازالة الالتهابات الجلدية وذلك بعد جبله بالماء وهو احمر اللــون يضاف اليه توم شنادر ليصبح لونه اسود قاتم .

كبش قرنفل :

نبات معروف . يستعمل علاجا لازالة الم الاسنان وذلك بعد غليه بالماء ويستعمل زهــره في تحضير العطور .

ثـــوم :

نبات معروف . الثوم كثيــر الفائدة يستعمل علاجا للدغة النحل حيث يقشر الثوم ويكسر ويوضع على اللدغة ويستعمل علاجـــا لازالـــة مسامير (١) اللحم . حيث يـــدق ويوضع كضمادات وله فائدة كـبيرة للقضاء على الديدان .

البصل :

يـدق البصل ويعصر ويشرب ويستعمل علاجا للسل وكذلك للقضاء على الالتهابات والقضـــاء عـــلى الدمامل (٢) . والبصل يمنح الانسان طاقة على الصبر ويعطيه طاقة مـــن القدرة والقوة وكان قدماء المصريـين يستعملوه بكثرة .

الزعيتماني

نبات يشبه الزعتر ساق قصير خضرة شديدة . يستعمل علاجـــا لازالة الغازات والانتفاخ حيث تغـــلى مع الماء وتشرب مرتين في اليوم .

الخبيزه :

نبات معروف . تستعمل علاجا لازالة الالتهابات حيث تغلى مع الماء وتصفى وتشرب . وتستعمل عـــلاجا لازالة الدمامل وتوضع كضمادات .

البيلسان :

شجرة صغيرة لها ازهار بيضاء اللون تشبه قرص الشمس تغلى مـــع العنب وتستعمـــل علاجا للسعال وكذلك للامساك .

البـــلان :

نبات شوكي له ساق قصير . تأخذ جذوره وتغلى مع الماء ويشرب لمدة عشرة أيام ويستعمل علاجا لمرض السكري .

الترمس :

نبات معروف . يستعمل للسكري يتحمص ويدق حتى يصبح مسحوقـــا



ناعمـــا ويخلط مــع زيت السيرج ويستعمل دهونا للحروق وهو مـدر للبول ٠

رجل الحمامة :

نبات طول ٍيله وريقات بيضـاء خشنة الملمس ٠ يستعمل عـــلاجا لمرض الرمل حيث تغلى مع الماء وتصفى وتشرب صباحا ومساء لمدة من الزمن٠

شراشيب الذرة :

نبات معروف ٠ يستعمل علاجا للتخلص من الالتهابات الباطنيـــة ٠ تغلى مع الماء وتصفى وتشرب لمـــدة اسبوع ٠

البقدونس :

نبات معروف ٠ يستعمل علاجا للالتهابات المجاري البولية ٠ حيـث يساعد على الادرار (٣) يدق ويعصر ويشرب على فترات ٠

النعنع :

نبات معروف ٠ يدق ويغلى مع الماء ويستعمل علاجا للامساك ٠

الليمون :

نبات معروف ٠ يستعمل علاجا للتخلص من الحرارة في العيون حيث تقطر العين منه لمدة ثلاث مرات ٠

شعيره هندية :

نبات يشبه حبـــة الزيتون ٠ يـستعمل علاجا لمنع الاسهال ٠ تدق وتنقع بالماء لمدة من الزمن ثم تشرب على فترات ٠

الختمية :

شجرة طويلة لها ازهار بيضاء ٠ تستعمل علاجا للتخلص من السعال حيث تأكل زهرتها ٠

الشاي :

نبات معروف٠ يستعمل للرمد (٤) الذي يصيب العين ٠ يغلى مع المـــاء ويصفى ويوضع كضمادات على العين ٠

نشاء القمح :

نبات معروف ٠ تسلق البطاطـــا وتـدق وتخلط بقليل مـــن الزيت وتستعمل علاجا لازالة السمينة (٥) التي تظهر على رأس الطفل (حبوب صغيرة تكسو جلدة الرأس) ٠

ريحـــان :

الساق قائـــم طويلة ، الاوراق خضراء له زهره بيضاء ٠ يستعمل كشراب منعش ٠ ويستعمل في تحضير العطور ٠

القرينـــة :

نبات له ساق طويل متفـــرع وريقات عريضة خضراء ثماره تشبه بزرة القطن يستعمل علاجا للرمـــل

العطارة

حيث تغسل وتغلى مع الماء وتشرب كل يوم في الصباح على الريق .

الخردل :

نبات له ساق طويل اوراق عريضة خضراء خشنة . يستعمل علاجا لالام الظهر كضمادات حيث يدق بزوره ويغلى مع الماء وينشف ثم يوضع على الظهر كلبخة لمدة يومين . ويستعمل مع السلطة كمشهي .

كزبره :

نبات له ساق طويل اوراق رفيعة خضرا ءناعمة الملمس يجفف وتطحن ثم تخلط مع العسل وتاخذ كل يوم ملعقة وذلك علاجا للدوخة .

الحلبة :

نبات له ساق طويل وثمرة تشبه حبة الفاصوليا ولها وريقات دقيقة خضرا ءاللون .

تنقع ويشرب مائها وذلك علاجا لتنقية الدم وتسهيل الصادرين .

عنزروت :

نبات اصفر اللون له ساق قصير . يستعمل علاجا للكسور يغلى مع الماء ويصفى ثم يوضع كضمادات على مكان الكسر . يستعمل علاجا لالم القلب للاطفال . يغلى ويشرب منه الطفل ثلاث مرات يوميا .

فيجسم :

نبات له ساق قصير وزهره صفراء . يستعمل علاجا لمرض الفالج يغلى بالماء ويضاف اليه قليل من السكر ويشرب لمدة من الزمن .

دم الاخين :

نبات يشبه حبة الشعير . يستعمل علاجا للاطفال يغلى ويسقى الطفل منه عندما يصاب بالضعف العام .

قرنفل + محلب :

نبات اسود اللون لماتح . يستعمل علاجا لمرض العصبي حيث يدق القرنفل والمحلب ويخلط سوية ويغلى بالماء ويشرب . ويستعمل علاجا للسعال .

زنجبيل :

لونه ابيض . يستعمل علاجا للسعال . يدق ويوضع معه ملعقة سكر ويغلى ويشرب لفترة من الزمن. ويشرب لجلا الصوت .

بزر الحرمل :

نبات أخضر اللون . له ساق قصير وثماره تشبه حبة السمسم يستعمل علاجا لالم المفاصل يغلى ويوضع كضمادات ويستعمل لحفظ القمح من السوس .

بعيثران :

يستعمل علاجا لالم القلب .



يغلى مع كوب من الماء ويشرب على ثلاث فترات وانحته جيدة .

قشر الرمان :

نبات معروف . يستعمل علاجا للاسهال حيث يغلى مع الماء ويشرب لمدة ثلاثة ايام .

المروحة :

يستخرج من شجرة كبيرة تنبت في جنوب شرق اسيا . وهي تشبه الصمغ . يستعمل علاجا لاستخراج البرد والالم القلب وكذلك يستعملها لطرد الجان باستعمالها مع اعشاب اخرى .

كمون ، يانسون :

نبات معروف . يستعمل علاجا ضد تقلصات المعدة وكذلك علاجا للتخلص من الانفاخ . حيث تغلى مع الماء مع قليل من السكر .

الخميره :

نبات معروف ويستخرج من نشاء القمح . يوضع قليل منها في قطعة من القماش وتعطى للطفل لمضغها وهذه تستعمل لتهدئة الاعصاب وتجعله يسمن .

سنديان :

شجر معروف (يسمى شجرة البلوط) . يستعمل علاجا لوجع القلب وكذلك للتخلص من الحصوة . تغسل جذوره وتغلى بالماء ويصفى وتشرب مية .

نبات الخلة :

له نوره بيضاء . تغلى النوره بالماء ويشرب على الريق وذلك علاجا في استخراج الحصوة من الكلوه .

اوراق نبات الكافور (الكيتا) :

اوراقه تشبه اوراق الزعتر رقيقة وخضراء اللون . يغلى ويخلط مع العسل ويشرب على الريق ويفيد في علاج مرض الملاريا (الحمى) وكذلك للامراض الاعصاب .

القاصوم :

اوراق خضراء فاتحة تشبه اوراق نبات القمح . يغلى بالماء ويشرب علاجا لامراض المعدة .

القشة (قشي الحمار) :

تعصر ثمارها في الانف وتزيل مرض اليرقان (ابو صفار) .

---

(١) مسامير اللحم : انتفاخ يظهر بين الاصابع .

(٢) الدمامل : انتفاخ يظهر على بقعة من الجسم

(٣) الادرار : التبول بكثرة .

(٤) الرمد : الم العيون .

(٥) السعينة : حبوب صغيرة تظهر على جلدة الرأس .



البيت الشعبي

للبيت مكانة مرموقة في الوجدان الشعبي فهو يرمز للسعادة العائلية ووحدة الاسرة والستر . وتؤيد الأقوال الشعبية المأثورة هذه المكانة .

والقول الشعبي المأثور « فش (١) مثل بيتك يا الانسان » يشير الى سعادة الانسان بوجود بيت له واطمئنانه ورضاه فيه ، وهناك قول آخر بنفس المعنى : «يا بيتي يا بو بتاتي(٢) يا مستر اعويباتي (٣) فيك بوكل وبشرب ، وفيك بكبر لقماتي» . ويعتقد الناس في الوسط الشعبي ان البيت هو اكثر الحاجات الانسانية ضرورة والحاحا .

كما ان سعادة الانسان لا حد لها باحساسه ان له بيت مفتوح للاحباب والاصدقاء ، وبذلك جاء في قول شعبي مأثور :

« ريت هالبيت يظل مفتوح والحبايب تيجي وتروح » .

نمر سرحان





وفي احداث ثورة ١٩٣٦ كانت قوات عسكرية بريطانية تخلي البيوت من اصحابها لتنسفها بدعوى ايواء الثوار والبحث عنهم . وفي مستهل حرب عام ١٩٤٨ كان الناس يفرون من بيوتهم هربا من الوحشية الاسرائيلية التي تستهدف الامنين في بيوتهم .

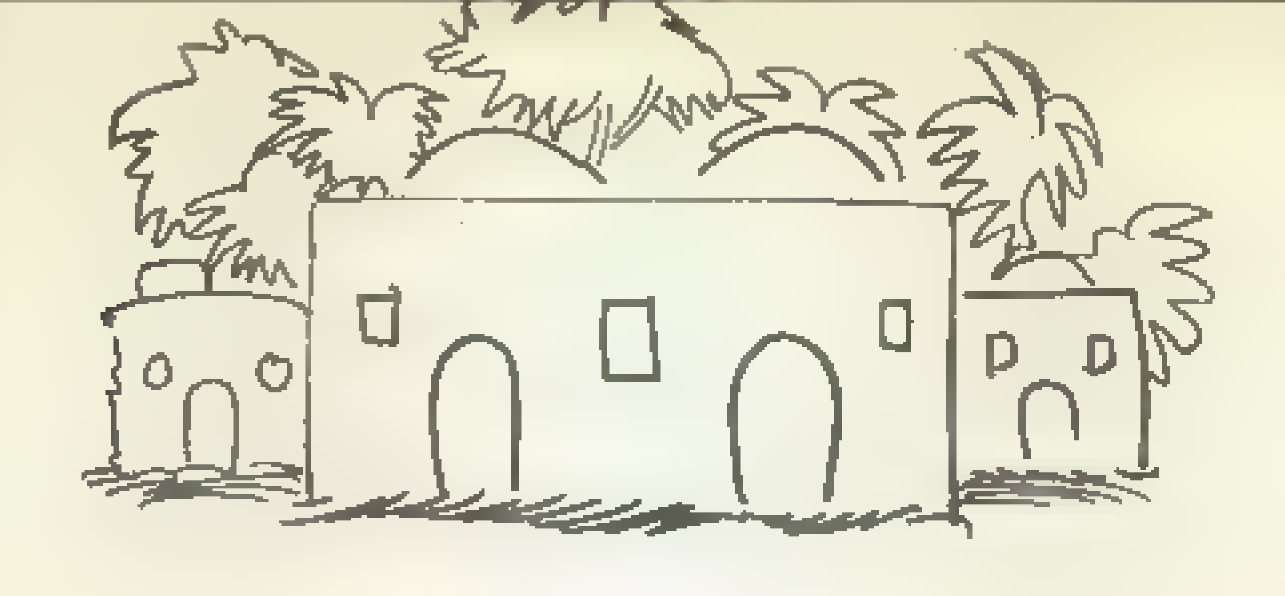
وبعد عام ١٩٤٨ كانت القوات الاسرائيلية تعبر الحدود الى الضفة الغربية لتدمر البيوت وتنسفها فوق رؤوس الآمنين بحجة الانتقام من المناضلين الفلسطينيين الذين كانوا يعبرون الحدود غربا لمنازلة العدو الاسرائيلي .. وحصل ذلك في العديد من الاماكن في قلقيلية وقبية ونحالين وحوسان وفوكين والسموع .

وعندما استولى المعتدون الاسرائيليون على الضفة الغربية بعد حرب عام ١٩٦٧ هدموا بيوت قرى كاملة مثل يالو وبيوتا كثيرة في قرى اخرى مثل زيتا .

واستعمل الصهاينة قوانين العسف التي تتيح للحكام العسكريين نسف اي بيت يعتقدون ان صاحبه من رجال المقاومة او من المتعاونين معهم بأي صورة من الصور . وبمقتضى تلك القوانين التعسفية نسفوا الاف المنازل

وفضلا عن ذلك احس شعبنا بمرارة خسارة البيت بعد كل حرب او صدام مع العدو . وكم من اسرة صرفت الكثير من الجهد والوقت والمال في تاسيس بيت لها ، ثم فجعت ـ وقبل أن تستمتع بالاقامة به ـ لتجد نفسها مطرودة ومجتثة من بيتها ومقيمة في خيمة حقيرة في احد مخيمات المنفى عبر الارض العربية .

وهكذا يحتل البيت مكانة خاصة في نفس الانسان الفلسطيني،وسنحاول رصد هذه المكانة من خلال ما فاض عن الوجدان الشعبي من مقولات موروثة .



الفلسطيني

وتعتقد المرأة ان «البيـــت» ليس مجرد بناء بل هو ذو محتوى اساسي ، وذلك المحتوى هو الرجل ، ويعتبر الرجل «عمود البيت»و «شمعة البيت»، وتشهد بذلك اساليب الدعاء بالخير التي تصدر من امرأة لاخرى مثل :

ـ الله يخلي لك عمود بيتك

ـ الله يخلي لك نوارة بيتك

ـ الله يخلي لك شمعة بيتك

ونجد في قصة الزير سالم أن البنات والنساء في غيبة الرجـال لا يشعلن النور ، وعندما وصل الزير بعد غيبة سبع سنوات بادرت باضاءة البيت ، وزغردت احداهن . رمزا الى ان الرجل هو «شمعة البيت» ، وان البيت بدون الرجل يبدو معتما دائما . ومن السهل تفسير هذه الظاهرة بانها وليـــدة مجتمع كان فيه الرجل هو المنتـج الوحيد لغذاء الأسرة ، وعليه وحـده يتوقف بقاؤها .

ولقد احس شعبنا ومارس مـــرارة الاحساس بانه يقيم على ارض غير صلبة ، وأنه مهدد دائما بالجلاء عن بيته . او مهدد بان يموت تحت انقاض بيته بفعل الغزوة الاستيطانية الصهيونية لارض فلسطين والهجمة الشرسة لاخلاء البلاد من ســكانها واحلال المستوطنين اليهود محلهم .. وقد بدأ هذا الاحساس منذ مطلع هذا القرن ومنذ ان احس الشـــعب ان حكومة الانتداب على فلسطين تسايـر الصهاينة وتؤيد شراءهم للارض والبيوت من الاقطاعيين وتستعمل الجندرمة لاخلاء المزارعين من بيوتهم بـــقوة السلاح ، والامثلة على ذلك كثيرة ،وعلى الاخص ما حدث لعرب الحوارث بعد بيع ارض مرج بن عامر .

وابرز ما يواجهنا في الاغنية الشعبية هو تشوق الانسان اللاجىء والنازح للدار التي تركها ،وانتظاره ليوم عودته اليها ، ونراه يعدها بالشيد والحنـا وشتى الزخارف اذا قدر له ان يراها ثانية ، بذلك يقول المغني الشعبي :

يا دار يا دار من عدنا كما كنا

لاطليك يا دار بعد الشيد بالحنا

وهو يبث أشواقه لتلك الدار التي هجرها ، ويعبر عن لوعته لفراقهـا ويظهر حزنه لذلك ، وهذه المقطوعات من التشوق للدار وردت في دراسـة للدكتور توفيق كنعان عن البيـت الفلسطيني ونشرت قبل عام النكبـة (١٩٤٨) مما يوضح فكرة الانسـان الفلسطيني عن البيت وعمق ارتباطه بمسقط رأسه حتى قبل تلك الايـام التي اضطرته الى ان يهجر بيته هربا من الالة العسكرية الصهيونية وهمجيتها الاستيطانية الاستعمارية . تقول تلك المقطوعات :

يا دارنا يا ام الحجر الاحمـر
احنـا رحلنـا وغيرنا اتوطـن

يا دارنا يا ام الحجل والطـوق
يا عاليـة ومشـرعة لفـوق

يا دارنـا يللـي اربينـا فيكـي
لا عـادت تاوينـا ولا تاويكـي

يا دارنا ان نزلوك عربـان غيرنـا
توصي بهم يا دار حتـى نعاود

لا جبيلـك حملـين نيلـة
وانقشك يـا دار نقش العرايس

وتتمثل أهمية الدار في أنها رمز لكل ما يستحق الحماية ، ففيها الاهل وفيها وسيلة المعيشـة ، وحمايتهـا حماية لحياة الانسان وأهله وعرضه . ولذلك نسمع المغني الشعبي يقـول في هذا البيت من « الشوباش » أنه سيحمي الدار بدم المعتدي :

يا دارنا لا تخافيش
واحنا حماتك وسورك

بالدم الاحمر لحنيـك
من كل وبش يزورك

وتظهر الاغاني الشعبية الاهميـة الخاصة التي يعلقها الانسان الفلسطيني على البيت ، ونظرته لما يرمز البيـت اليه ،فقدرة الانسان على بناء بيـت دلالة على سعة الحال ، وبالتالي فان مجرد امتلاك الانسان للبيت هو دلالة على المقدرة المالية :

- **لولانا مقدرين ما عقدنا البيتين**
  لا جبنا من بنك ولا بعنـا زتون

- **لا تحسبونا يا ناس بعنا قمح بعنازيت**
  واحنا دفعنا الشيكات وبنينا ع ظهر الحيط

- **دار ابو فلان ع شط البحـر الاخظـر**



عمود فضة وعمود من الذهب الاصفر

تكوين البيت الشعبي

يلبي تكوين البيت الشعبي عددا من الحاجات لدى الفلاح ، ويمكن استقراء هذه الحاجات من الملاحظات التالية :

١ ـ الحاجة الاقتصادية :

نلاحظ ان البيت الشعبي التقليدي يضم في داخله او في مكان متصل به حيزا لايواء الحيوانات وطعامها • كما يحتوي على حيز كبير لخزن مؤونة الاسرة ومخزونها من الطعام لفصل الشتاء ، فعلى صعيد حاجة الاسرة يضم البيت :

المقادية : سدة على بعد معقول من السقف لخزن السمن ، العسل ، البصل ، الثوم والمؤن الخفيفة الاخرى •

الخوابي جمع خابية وهي خزائن من الطين لخزن الحبوب ، تصب الحبوب فيها من اعلى ، وتستقبل من اسفل عند الحاجة •

القطع : جزء مفصول من البيت لخزن الحطب للوقود او المؤونة الثقيلة •

وعلى صعيد حاجة الاسرة للحيوان ومؤونته فاننا نجد بعض البيوت الشعبية تحتوي على مذاود في نفس المصطبة التي تقيم عليها الاسرة ، بينما تقف الحيوانات على مصطبة اكثر انخفاضا ، ويلحق بالبيت احيانا زرائب للحيوانات وحظائر لحفظ علفها واخرى لحفظ روثها لاستعماله في الوقود او التسميد •

٢ ـ الحاجة الامنية :

غالبا ما يبنى البيت الشعبي من جدران تتألف من «بنتين وركة » اي واجهتين من الحجر بينهما ملاط وحجارة متوسطة • وقد يبلغ سمك الجدار في بعض الاحيان مترا كاملا • وكذلك فان البيت يخلو من الشبابيك، وتصنع له «طلاقات» اي نوافذ في غاية الصغر في الجزء العلوي من الجدار وعلى ارتفاع يزيد على الاربعة امتار ، هذا فضلا عن ان الباب يغلق بالاضافة للقفل ب «نجر» اي خشبة ضخمة طويلة تجعل من المستحيل فتح الباب بالقوة • والهدف من كل هذه الاجراءات هو الوقوف في وجه

«الحرمنة» أي سرقة البيت بالسطو ، والمعروف انه في مطلع هذا القرن وفي عقوده الاولى كانت تحدث سرقـات كثيرة يقوم بها محترفون يغزون بيوت الفلاحين ويحطمون ابوابهم او ينقبون جدران بيوتهم ويسرقون أمتعتهم وفلوسهم ودوابهم ·

الحاجة الاجتماعية :

ونحن نلاحظ ان امكانية استقبال الضيوف في البيت كانت صعبة لعدم توفر المكان والفراش المناسب ، ولذلك لجأت الحمائل الى اسلوب بناء الدواوين والمضافات الجماعية التي تعتبر مكانا لاستقبال ضيوف الحمولة · ثم اصبح الناس من ذوي الامكانية المعقولة يخصصون غرفة في طرف الدار لاستقبال الضيوف بحيث يكون لها باب يؤدي الى البيت لاستعمال صاحب البيت ، وباب اخر يطل على الشارع العام لدخول وخروج الضيوف ·

هذا ولم يكن البيت الشعبي القديم يراعي الناحية الصحية ،وندر ان كانت هناك مراحيض ملحقة بالبيوت ·وكان الناس يقضون حاجاتهم في الخلاء او تحت الاشجار ·

نماذج من «البيت الشعبي»

ولنلق الان نظرة على نماذج من البيوت :

١ ــ بيت للسكنى ــ السنديانة ــ حيفا (١٩٤٦) :

يتالف البيت هذا من ساحة سماوية طولها ٢٢ مترا وعرضها ١٤ مترا لها مدخل وباب خشبي ذي مصراعين · ارضية الساحة خالية من التراب وهي ذات مظهر صخري ممتو·

على يمين المدخل غرفة صغيرة تستعمل كمطبخ ومكان لاستعمال النار وهي اشبه بمستودع ·

والى جوار هذه الغرفة غرفة اخرى كانت في يوم من الايام دكانا ثم اصبحت مستودعا للتبن · امام هذه الغرفة «قصة» أي صفة يجلس عليها اصحاب البيت في امسيات الصيف ·

وفي صدر الساحة السماوية بيت السكن الرئيسي طوله ٨ م وعرضه ٥ م · ولهذا البيت باب واحد من الشرق طوله ٣ م وعرضه ٢م ، وهو من قطعة واحدة ، ويدور على «صير» من الجلد · وفوق الباب مباشرة توجد فتحات صغيرة ذات شكل مثلث تسمى ثريا ·

واذا دخلنا للبيت لاحظنا السقف مقاما على ثلاث قناطر حجرية · اما السقف فهو من فروع وجذوع الاشجار المغطاة بالوبل (١) ·

وتتالف مصطبة البيت من جزءين: جزء عال يعد للجلوس والنوم ويبلغ طوله ٦م وعرضه ٥م · اما الجزء الاخر فيتالف من مساحة ٣ في ٢يعد لايواء الحيوانات · وبين الجزءين مذودان لعلف الحيوانات ، ودرج بينهما يصل بين الجزء المنخفض والجزء العالي · وعلى يمين المدخل تقع «سدة» تصل بين الجدار الشرقي



والقنطرة الاولى ، وتسمى « عقادية » وتستعمل مستودعا للمواد الغذائية مثل السمن والعسل والبصل ... ونحو ذلك .

وبين القناطر تبنى «الخوابي» وهي مستودعات للحبوب ، وتلقى الحبوب فيها من اعلى ، وتؤخذ بواسطة فتحة صغيرة وطيئة قريبة من المصطبة .

وعند اقصى يسار المدخل ، وفي الجزء المنخفض ، يقع المصرف وهو المكان الذي يستحم فيه اهل البيت تاركين الماء يتسرب الى الساحة الخارجية .

٢ ـ حوش «البرانسي» ـ الطيبة ـ طولكرم

تعني كلمة حوش مجموعة من المساكن المتلاصقة ذات شكل شبيه دائري ، ويؤدي كل منها الى ساحة سماوية مكشوفة ، ويعيش في كل بيت من بيوت الحوش اسرة مستقلة ويتالف الحوش الذي نتحدث عنه ما يلي :

١ ـ سقيفة صغيرة ذات مصطبة واحدة وباب واحد .

٢ ـ بيت كبير ذي قنطرتين ومصطبة ذي قطعتين كما ورد في «رقم ١» .

٣ ـ غرفة ٥ في ٥ ذات ارضية وسقف من الاسمنت .

٤ ـ غرفة ٤ في ٥ ذات مصطبة واحدة .

٥ ـ مساحة مستورة بالواح الزينكو طولها ١٢م وعرضها ٨م وليس لها باب ، وبابها هو كل الواجهة الشمالية .

٦ : سقفية صغيرة ٣ في ٥ر٣م .

وتصل هنا الى المدخل الجنوبي ونستدير مع بيوت الحوش لنجد ما يلي :

١ ـ بيت كبير ذي ثلاث قناطر ومصطبة مزدوجة .

٢ ـ بيت اصغر نسبيا ذي قنطرتين ومصطبة مزدوجة .

٣ ـ جدار المسجد يصل بين البيت الاخير والمدخل الشمالي .

أما خارج الحوش فتقع مضافة الاسرة وتتالف من قاعة ١٠ في ٨ ذي



ارضية منبسطة وسقف من الاسمنت، وفي هذه المضافة كان آل البرانسي يقدمون طعام الافطار طوال ايام شهر رمضان المبارك لكل من يلوذ بالمضافة عند مغيب شمس كل يوم من ايام الشهر المبارك .

٣ ـ حوش الحاج اسعد دير الغصون

ـ طولكرم

في صدر الحوش «عقد» ٦ في ٨ سقفه من البوص وارضيته من الاسمنت . وهو المسكن الرئيسي . والساحة السماوية مستطيلة ، وعلى جانبها الايمن ثلاث سقائف ، اما على الجانب الايسر فهناك بيت ذو قنطرتين وسقيفة وعند المدخل مرحاض اما البوابة فهي ضخمة وفي وسطها «خوخة» .

٤ ـ زناكية البطل :

السنديانة ـ حيفا

غرفة واحدة من الواح الزينكو المثبت بالخشب والمسامير ، حولها ساحة سماوية من «الحجر الناشف» .

٥ ـ حوش دار ابو علقم

السنديانة ـ حيفا

تقع البوابة على المواجهة الشمالية، وعلى يسار البوابة غرفة صغيرة ٤ × ٣، ثم هناك بيت ذو قنطرتين ومصطبة مزدوجة . وبعد ذلك بيت ٦ × ٦ بقنطرتين ،ثم سقفية واخيرا وعلى يسار المدخل «عقد» مبلط بالاسمنت. وسقفه من البوص . ولهذه العقد باب يطل على الشارع باعتباره مضافة .

٦ ـ حوش في دير الغصون

المدخل في المواجهة الغربية .

ابتداء من يسار المدخل غرفة ٥ × ٥ ، بعد ذلك درج يؤدي لعلية من غرفتين ، ثم هناك فرن لاهل الحارة . وبعد الفرن غرفة ٥ × ٨ ثم بيتان كل منهما ذو قنطرتين . وبعدهما بيت بثلاث قناطر ، بيت بقنطرتين ،بيت بقنطرتين واخيرا بيت اخر بقنطرتين .

الساحة السماوية غير منتظمة وتاتي على شكل زاوية . وتضم الساحة السماوية بئرين يمتلان بماء المطر .

٧ ـ بيت في باقة الغربية

بيت بقنطرة واحدة ٠

ساحة سماوية ١٥ × ١٢

٨ ـ بيت في باقة الشرقية

وهو بيت متصل بحديقة كبيرة وليس له ساحة سماوية مغلقة ببوابة وانما مفصولة عن الحديقة بسور من الحجر الناشف ٠

يتالف البيت من مساحة غير منتظمة واجهتها الشرقية تضم :

١ ـ بيت يضم المذاود في صدره استعملته في ما بعد اسرة لاجئه ٠

٢ ـ بيت بثلاث قناطر ومصطبة مزدوجة ٠

٣ ـ سور حجري ٠

٤ ـ غرفة حديثة ٤ × ٤ مبنية من الحجر القسم ومبطنة جدرانها بالاسمنت ٠ سقفها وارضها من الاسمنت ٠

أما الواجهة الشمالية مفتوحة ٠ والواجهة الغربية خالية من البناء وهنا تبدأ حديقة بطول ١٤٠ متر وعرض ٨٥ مترا ٠ وتعتبر الحديقة احدى موارد دخل الاسرة ، فهي مزروعة بالتين والرومان والعنب ٠ وتزرع خضرا وبقولا متنوعة ٠

٩ ـ سقيفة في النبي صالح بام الله :

البناء من الحجر الناشف دون ملاط ، وتبدو من الخارج اشبه بسلسلة حجرية ، وشكلها شبه دائري والسطح من فروع وجذوع الاشجار المغطى بالوبل ٠

من الداخل تبدو الحجارة شبه ناتئه ٠

وقد قطعت السقيفة والمؤلفة من مساحة ٦ × ٤ بفاصل حجري يقتطع مساحة ٢ × ٣ لتنام هناك والدةصاحب البيت ، بينما يقيم باقي افراد الاسرة في الجزء الاخر من البيت ٠ وحول السقيفة سور من الحجر الناشف والذي يضم حظيرة صغيرة ٣ × ٥ر٢م لايواء الحمارة ٠

١٠ ـ حوش في قفين

يضم الحوش ساحة سماوية تساوي ٥٠ × ٧٥ وهي ساحة صخرية تاوي فيها مجموعة كبيرة من الاغنام ٠

وفي وسط الساحة مغارة ضخمة تحت الارض تبيت فيها الاغنام في الشتاء ، وتستعمل احيانا كمستودع واحيانا اخرى ءلفرم التتن العربي ٠



يشمل الحوش غرفة ٤ × ٦ ومضافة ٨ × ١٠ وبيتا قديما ذا قنطرتين ومستودعين للتبن والزبل وسورا من الحجر الناشف يحيط بالساحة السماوية .

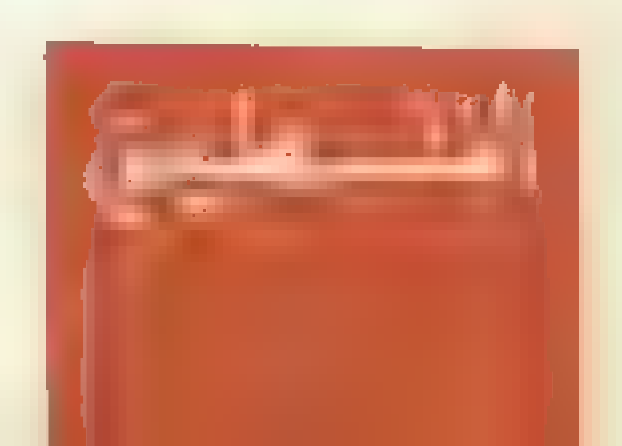
وتزخرف جدران البيت الشعبي بمواد تعلق عليها ، ومن هذه المواد ما هو ذو غرض زخرفي بحت ، ومنها ما هو اداة من ادوات الحياة اليومية ، ومن هذه المواد :

ـ ابريق الزيت : وهو عبارة عن ابريق من الفخار يملاء بالزيت ، ويربط بحبل يشد الى مسمار قوي في الجدار .

ـ المملحة : وعاء مكعب من الخشب يثبت على الجدار لحفظ الملح .

ـ الغربال : الاداة المعروفة لغربلة الحبوب .

ـ الموخل : المنخل ، ويستعمل لتنخيل الدقيق .



ـ البارودة : وتعلق في صدر المحل .

ـ المكحلة : وهي عبارة عن زجاجة يوضع فيها الكحل ، وتغلف بحشية تغطى بغطاء مطرز .

ـ أطباق القش : وهي ادوات دائرية الشكل تصنع من قش سيقان الحبوب . وتستعمل بعض هذه الاطباق لتقديم صحون الطعام فوقها ، ومنها ما يظل معلقا على جدران البيت لغرض زخرفي بحت .

ـ المهفات : وهي اقراص من القش المشغول ذي شرابات تستعمل لتحريك الهواء بهدف التبريد .

وتزخرف الواجهة الخارجية للبيت بأسلوب واحد او اكثر من الاساليب التالية :

١ ـ تعليق بيضة مفرغة ،حذوة، شبة ، خرز أزرق .. او نحو ذلك بهدف رد العين الحاسدة .

٢ ـ طلاء واجهة البيت بالشيد الابيض المخلوط بالنيلة ذات اللون السماوي .

٣ ـ رسم «عرجة وهي عبارة عن رقم ٧ مكررا .

٤ ـ الصاق العجين والحنا .

٥ ـ رسم راحة الكف بلون النيلة على الواجهة .

٦ – كتابة كلمات وعبارات مثل : الله ، محمد ، عمر ، علي ، عثمان بسم الله الرحمن الرحيم ، ما شاء الله ، هذا من فضل ربي ... الخ وفي حالة بناء البيت من الحجر تنقش بعض هذه العبارات على حجر خاص يثبت في وسط الواجهة وفي القسم العلوي ، وعادة يكتب عليه : هذا من فضل ربي او ما شاء الله .

التسميات الشعبية للبيت

والتسميات الشعبية للبيت تشمل : بيت حجر : وهو البيت المبني من الحجر .

بيت شعر : وهو البيت المنسوج من وبر الحيوانات ، والمرفوع على اعمدة خشبية .

خص : شكل شبه هرمي مؤلف من جذوع الاشجار واغصانها . وهو اشبه ما يكون من حيث الشكل بالخيمة المخروطة .

منطرة أو منطار أو عريشة او معرش : وتتألف من بناء من الحجر دون ملاط يستعمل كمستودع في الكروم ، وفوق هذا البناء يقام المعرش من فروع الاشجار واوراقها ليكون بمثابة مسكن «للنواطير» الذي يحرسون الكروم ، ومكان عال يمكن منه مراقبة البساتين .

وفي شمال فلسطين تحمل المنطرة اسم عرزان . ويتألف العرزان من اربع ركائز من الخشب . وتكون جوانب البناء الاربعة مفتوحة ، اما السقف فيغطى بالفروع الدقيقة للاشجار واوراقها .

ونادرا ما يستعمل البدو هذه الانواع من العرائش ، لانهم يكثرون من التنقل والترحال ، ويصعب حمل معداتها الخشبية . هذا فضلا عن ان المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية التي ينتقلون فيها فقيرة بالاخشاب .

وتبنى العرائش ايضا فوق سطوح البيت لينام الناس فيها في ليالي الصيف الحارة . وبهذا المعنى يقول الناس .

في الصيف في الشجر ولا في الحجر اي ان الاقامة في حمى الاشجار وتحت ظلها في الصيف افضل من الاقامة في البيوت .

وهناك اشكال اخرى من الاماكن التي تستعمل بمثابة البيت ، من ذلك المغارة التي ينام فيها الرعاة على سرير بدائي مؤلف من «سدة» من فروع الشجر . اما باب المغارة فيغلق عادة بواسطة شجرة ضخمة مقتلعة من اصلها . وشاهد د. توفيق كنعان بيوتا محفورة عن مغاور ، وقد صنع

لها باب خشبي وذلك في قرية النبي صمويل ، قرب عين الامير ٠

موقع البنـاء :

وهناك ملاحظة هامه حول اختيار الانسان في الوسط الشعبي لموقــع البناء ٠ ونحن نرى ان الكثير من القرى الفلسطينية ، بل غالبيتها تبنى فوق التلال ورؤوس الجبال ٠ ولا شك ان هناك اعتبارات كثيرة املت ذلك ٠ ومن هذه الاعتبارات :



١ ـ اعتبارات المناخ : المعروف ان مناخ فلسطين في الصيف حار ، ويلطف الجو هبوب نسيم البحرالغربي البارد ٠ وعندما تبنى القرية فــوق الجبل فانها تكون اكثر عرضة لذلك النسيم ٠

٢ ـ السيطرة والاشراف على الحقول والبساتين ، اذ عندما تكون الابنية في الاماكن العالية ، يصبح من السهل مراقبة المزروعات وحمايتهـا من اعتداء الانسان او الحيــوان ٠ ومن السهل تفهم هذا الاعتبار اذا لاحظنا فترات الفوضى ، وعدم توفـر الضابط الامني وخاصة في العهــد التركي ، اضف الى ذلك ان سنوات المجاعة والمحل في ذلك العهد جعلت من الاعتداء على ممتلكات الغـير اشبه ما يكون برياضة قومية يمارسها الجيـاع دونمـا اعتبار لحقوق الملكية ٠

٣ ـ التحصن بالجبال : ان بناء البيوت على القمم والمرتفعات يعطي القرية صفة الموقع الحصين ٠ وفـي العهد التركي كان اصحاب العصبيات وابناء العائلات الكبيرة يتحصنون في قراهم العالية المنيعة في وجه جنـود الدولة العثمانية ، ويعلنون العصيان عن دفع الضرائب ونحو ذلك كـما كانت تلك المواقع فرصة جيـدة لحماية القرى من غزوات التجمعات المحلية المجاورة ٠ وكذلك فـان الموقع العالي كانت له اهمية كبرى في ذلك الوقت الذي تتطور فيـه اسلحة الدمار والتي تستطيع التغلب على صعوبات الموقع ٠

٤ ـ تقديس الاولياء : وفي زمن الحروب الصليبية بنيت مقاوات الاولياء والانبياء فوق اضرحه وهمية عـلى رؤوس الجبال بهدف ان تكون ايضا امكنة لتجمع الناس ولمراقبة تحركات الصليبيين ٠

البيت الشعبي الفلسطيني



ويتحدث الناس عن سبب تسمية قرية دير ابو مشعل قائلين ، ان تلك القرية كانت تضيء مشعلا في الليل كاشارة لان هناك تحركا مريبا ، وكانت القرى المقابلة على التلال تنقل تلك الشيفرة البدائية بنفس الاسلوب الى القرى الاخرى .

ومن الطبيعي ، وبدافع ديني محض ، ايضا ان تنمو حول المكان قرية .

٥ ـ كما ان وقوع القرية في المرتفعات يعرضها بدرجة اقل لاخطار المياه والفيضانات .

٦ ـ وهناك عامل نفسي لا يمكن انكاره ، ومؤداه أن الانسان بطبيعته ميال للبحث عن الاماكن العالية المشرفة على كل ما يحيط بها انطلاقا بها من احساسه في الرغبة بالتفوق والسيطرة .

٧ ـ ومنذ القديم كان الانسان يحاول ان يبني اماكن العبادة في اماكن عالية ومرتفعة ليكون قريبا من الله في السماء ولتستجاب دعواته .

وقد لاحظنا كيف ان اليونانيين القدماء بنوا معابدهم في اماكن عالية ، كما ان موسى يصعد الى جبل الطور ليناجي ربه بحيث يكون قريبا ما امكن لدرجة وصول الكلمات اثناء المناجاة للاله . ومن البدهي ان تستقطب اماكن العبادة هذه اهتمام الناس فيبنون مساكنهم حولها .

٨ ـ وتبنى القرى في المرتفعات حتى لا تكون المقابر في قيعان الوديان ، فيجري الماء فيها وينقل اجزاء من الجثث المتفسخة الى الينابيع .

وفي حالات اخرى نرى ان الرغبة في البقاء بالقرب من الماء يجذب القرية من القمة الى الوادي كما هو الحال في قرى سلوان ولفتا وارطاس .

لكن هذه الحالات لا تصلح كاساس للتعميم ، فهناك الكثير من القرى التي تقع على رؤوس الجبال وتضحي بالكثير من الجهد والوقت لنقل الماء من الينابيع الواقعة في قاع الوادي الى قمة الجبل . ومن الامثلة على ذلك قريتا دير نظام والنبي صالح في قضاء رام الله والواقعتان على قمتين

متقابلتين بينما يقع الينبوعان اللذان منهما ترتوي القريتان في اسفل نقطة في الوادي ·

ويجوز لنا الاعتقاد ان مسالة التجاور بين بيوت الحمولة الواحدة قــد تطورت عن تجاور خيام او ـ بيوت الشعر ـ للقبيلة · والذي حصل هو انه عندما تطورت القرى الزراعية عن مضارب الخيام بنى افراد الحمولــة الواحدة بيوتهم متجاورة لاسباب عدة منها الرغبة في تجاور ذي القربى والتعاضد والتراحم والتكاتف اثنـاء الشدة · ونأخذ على هذه الظاهــرة مثالين :

المثال الاول : قرية دير الغصون بقضاء طولكرم ، وفي هذه القرية ثلاث حارات متمايزه هي :

- حارة الصورا (بفتح الصاد وتشديدها مع فتح الراء)

- حارة الخليلة

- حارة دار غانم

وتقع الحارة الاولى في الجـــزء الشرقي من البلد بينما تقع الحــارة الثالثة في الجزء الغربي منها · امــا الحارة الثانية فتكون مع الحارتــين الاولى والثانية رأس مثلث وتقع في الجزء الجنوبي من البلد ·

ويوحي اسم دار غانم بوضوح ان اهل الحارة هم احفاد لشــخص واحد كانوا في يوم من الايام ابناء قبيلة واحدة · كما يوحي اســم الخليلية (بمعنى القادمين من الخليل) بان عشيرة واحدة او عدة افراد مـن عشائر مختلفة اصبحت تحمل اسما جديدا سكنت في منطقة جديدة بشكل متجاور ·

وعلى الرغم من ان اسر الحارات لا ترتبط بعلاقات قرابة مباشرة فان جميع افرادها يحسون بالانتماء الى ما يشبه «القبيلة» وهو «الحارة» ·

واما المثال الاخر فهو ما نشاهده في مدينة القدس ·

وقد سكن في هذه المدينة اتباع الديانات المختلفة في مناطق منفصلة وبحيث سكن كل اتباع ديانة واحدة بشكل متجاور ، على نحو المثال الذي رأيناه في قرية دير الغصون ، وهناك على سبيل المثال :

- حارة المسيحية

- حارة الارمن

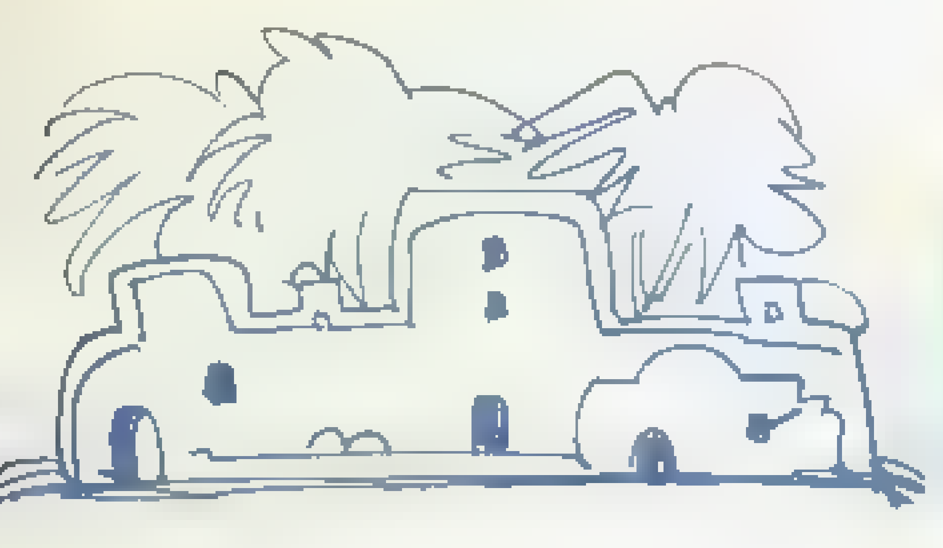
- حارة المغاربة

- حارة اليهود

وعلى هذا النمط تجاور اصحاب الحرف في اسواق مثل :

- سوق الصياغ

- سوق العطارين





- سوق القطانين
- سوق الخضرة

بناء البيت الشعبي

ويشمل :

- مواد البناء المتعارف عليها في الوسط الشعبي
- ادوات العمل الشعبي
- اساليب المعمار الشعبي ودلالاتها
- اغاني عمال البناء والاحتفالات الشعبية ويحتاج كل ذلك الى دراسة مستقلة .

(نمر سرحان)

Bibliography :

1 — Dalman, Gustav, Arabeit Und Sitte in Palästina. Vol VII "Das Hous...".

2 — The Palestine Arab House, Its Architecture andl Folklore JPOS, Voll XII, P. 223 — 247. Voll XIII, PP. 1 — 83.

3 — Lee, G.R. Village Life in Palestine.

4 — Bauer, Volksleben im Lande der Bible.

5 — Schick Blanckenbarn.

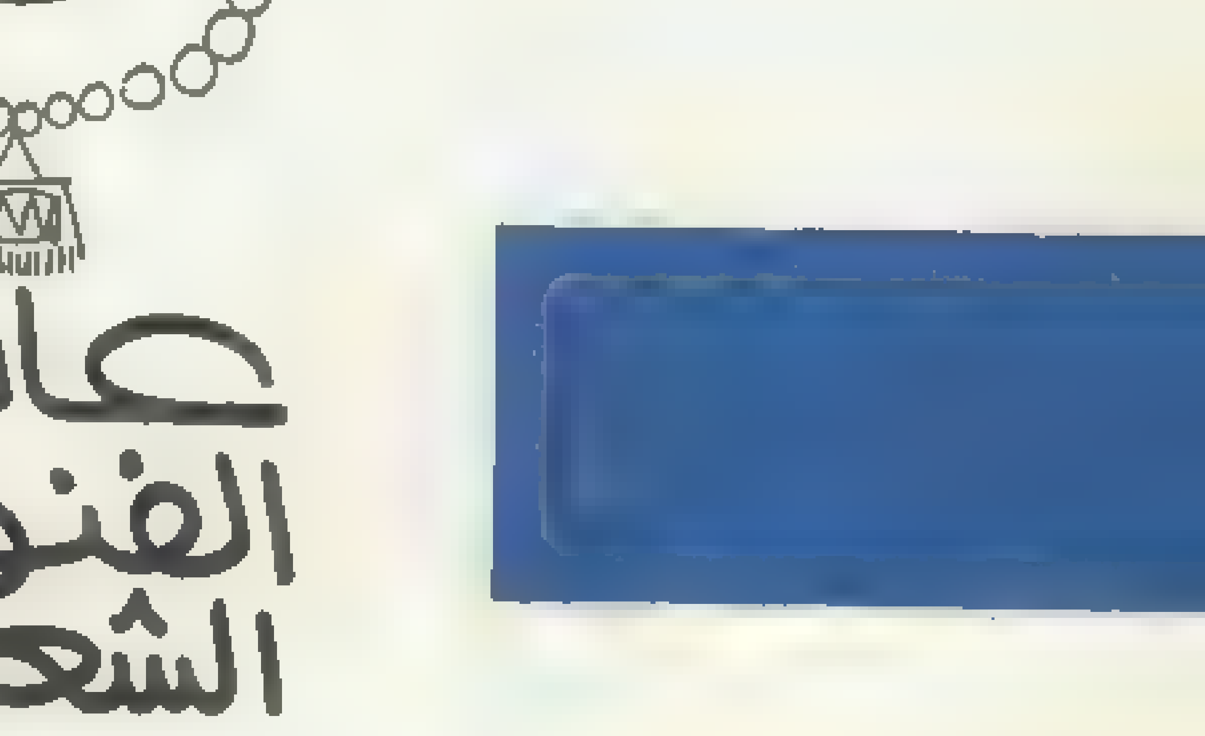
1 — Stones of Jerusalem.

2 — Geology of Jerusalem ZDPV.

6 — Jager, Das Pour House in Paläshina - Götengen.

7 — Early Muslim Architecture, K.e.C. Kriswill.


عالم
الفنون
الشعبية





تاليف : حازم مبيضين

مراجعة : علي فودة

كثيرة هي الدواوين الشعرية التي صدرت في الاردن ، وسواء كانت هذه الدواوين من الشعر القديم او الحديث ، فانها جميعا كتبت باللغة العربية الفصحى ، اما الشعر العامي المطبوع ، فاعتقد انه كان حتى فترة قريبة يكاد يكون بكرا ، لذلك فان ديوان حازم مبيضين « بيادر القمر » يكاد يكون الاول من نوعه في الاردن .

والواقع ان شعراء العامية المعروفين في الوطن العربي كانوا أسبق الى انتهاج هذا الطريق من شعرائنا في الاردن ، وربما ابعد مدى وأكثر تاثيرا ، وليس أدل على هذا من دواوين الشاعر العراقي مظفر النواب صاحب ديوان «للريل وحمد» ، الذي يعبر فيه عن مدى التصاقه الحميم بالارض بالاضافة الى التزامه السياسي الواضح ، وكذلك الشاعر المصري احمد فؤاد نجم الذي كان وما زال حتى يومنا هذا يناضل من خلال اشعاره ضد الظلم والاستبداد ، والذي شكل ثنائيا ناجحا مع المطرب الشيخ امام ، حيث بدا هذا الاخير يردد الاشعار في الاوساط الشعبية وأمام جماهير الطلبة والمثقفين .

وفي لبنان ما أكثر شعراء العامية - وكذلك في سوريا وفلسطين المحتلة ايضا ، أما في الاردن فاعتقد ان هذا النوع من الشعر قديم وراسخ الجذور ، ولكن هذه الاشعار لم تتح لها فرصة الظهور – لسبب او لاخر – على صفحات الجرائد والمجلات ، وبالتالي فقد ظل تاثيرها محدودا ضمن المناطق التي عاش بها الشعراء أنفسهم .

وربما كانت أول المحاولات الجادة على أيدي الشعراء الشباب ، هي تلك الاشعار التي انطلق بها فهد الريماوي منذ سنتين او أكثر ، والتي نتمنى لها الظهور في ديوان مطبوع حتى تتاح الفرصة لاكبر عدد ممكن من القراء مطالعتها والتعرف على أفكارها الحقيقية ، كما ان هناك بعض المحاولات التي بذلها الشاعر المعروف عمر ابو سالم ، والتي لا أستطيع الحكم عليها ، لان أكثرها كنت قد سمعته من خلال الاذاعة ، وهذا بالطبع لا يكفي لاطلاق حكم حولها ، ونفس هذا الرأي ينطبق على اشعار احسان الفرحان .

كان العمر يهرب مع سنين المحل
كانت صبايا قريتي تهرم قبل يجي الاوان
وكانت حكايا الخير والغلة
شوية سواليف انحكت بالليل

هكذا تبدأ الحكاية .. حكاية القرية الاردنية أو ربما العربية .. انها نفس الحكاية تتكرر دوما .. يجتمع الناس في المضافة ، ويبدأون بالحديث عن الموسم والغلال .. يتحدثون عن سنوات المحل والاعراس والمحرات الذي يشق الارض .. يتحدثون عن قصص الحب القديمة والمغتربين .. يتحدثون ويتحدثون والقهوة من حولهم تدور ..

كل الرجال بايد وحده يحصدوا .. ويطمروا
ويلملموا حر العصبه
ويقصوا تالي النهار
يتسولفوا ويشكلوا اخبار

ومن خلال أخبار حازم مبيضين تتبين لنا أخلاق القرية الاردنية .. عاداتها وتقاليدها .. افراحها وأتراحها :

ورجال عالقرية يا بنى كانوا رجال
وقع واحد غير نفزعله
وكنا نغني عمرنا موال

وبعد أن يهيء لنا الشاعر مسرح حكايته التي تدور في القرية ، وبعد أن يرسم لنا صورة صادقة وواضحة عنها ، نجده في القسم الثاني من « القصيدة الديوان » يدخل في صلب الموضوع ليحكي حكاية الغريب المسافر . والغريب هنا هو ذلك الذي يهجر أرضه وأهله وقريته الى المدينة أو الى أي بلد آخر ... فهو ربما تكون أنت او أنا او أي انسان هاجر من الريف الى المدينة ، و أي انسان رحل عن ارضه الى ارض أخرى ..

والواقع ان الغربة تكاد تكون ظاهرة تستحق الدراسة والبحث في أدبنا العربي المعاصر ، وخصوصا في الشعر ... فأكثر الشعراء العرب ، او ربما كلهم دون استثناء احسوا بمرارة الغربة ، وعبروا عنها من خلال اشعارهم .. فالشاعر اما ان يكون منفيا غريبا عن ارضه وأهله ، واما ان يكون غريبا في مجتمعه ، أو ربما غريبا عن ذاته ، وهذه — في رأيي — اقسى أنواع الغربة ..

أما غربة حازم مبيضين فهي الاولى .. انها الغربة عن ارض والأهل ، أو ربما النزوح من القرية الى المدينة ، وهذا هو ارجح ..

يالسافرت .. وبليلة ما فيها قمر
هي قريتك ناحت عليك
يا غربتك .. بالسافرت وبليلة ما فيها قمر
رجع القمر يا زين
عنك سال
قالوا رحل .

وللرحيل دائما اسبابه ومبرراته .. فالمعروف ان اكثر الريف اردني يعتمد على الزراعة ، التي تعتمد بدورها على مطر السماء . فاذا ما شح

المطر ، فان كثيرا من الريفيين والبدو يكونون مضطرين في حالة كهذه الى النزوح ، اما الى المدن الصناعية ، أو الى ارض أخرى أكثر خيرا وعطاء ، وهناك تبدأ المعاناة :

شو نفع هالعيشة
خالشوف دنيا غير هالدنيا
تتحمل الشغيل ، تشتاق لزتوده
هالارض بخلت ربعها ، وما عاد فيها خير
بالله بخاطركو ، واشوف وجهك يا بلدنا بخير

وهنـــا تتداخـــل الاصوات في القصيدة ، لتعطيها زخمـــا وأبعادا اضافية جديدة ٠٠ يدخـــل صوت الغريب الراحل ، وصوت الحبيبـــة المهجورة ، واصوات رجال القرية ٠٠ وكلها اصوات عاشقة مفجوعـــة ، تستغرب الرحيل وتستنكره مـــن جهـــة ، وتتشبث بتراب القريـــة وحكاياها من جهة ثانية ، لذلك فهي تقطع الامل في عـــودة ذلك الغريب الذي رحل ٠٠

تغرب حبيبي يا قمر
وتيتم العلم اللي بعده ما انولد
وظلت عيوني تنظر العلم اللي سافر
ايمتى يرجع
والمتى ، وافنى البلد

وتكبر الاصوات المنادية ، وتتسع ٠٠ تصير نداءات مجروحة للعودة٠٠

ويكبر شوق الارض ، ويتسع ٠٠ يصير صراخا حادا كسيرا يمـــزق نياط القلب ٠٠

وتكبر احزان الحبيبة ، وتتسع ٠٠ تصير عشبا يابسا ينتظر الرعـــد والمطر ٠٠

وتكبر أتراح العجائز ، الصغار ، البيادر ، الأصحاب ، فناجين القهوة، السنابل ٠٠ تكبر ، تكبر ٠٠ الى ان تصل الى أسماع الغريب ٠٠ الغريب الذي رحل ٠٠ الغريب الذي تـــرك كل شيء خلفه وراح ٠٠ الغريب الذي كان يحاول ان يقتل اشواقه المجنونة للعودة ٠٠

تكبر فيه هذه النداءات اصيلة الى أن يعود ٠٠ يعود ملتاعا كطفل حرم من ندي أمه فترة طويلة ٠٠ يعود والندم ياكل أطرافه ٠٠ يعود والوفاء يصهر عظامـــه وروحه ٠٠ يعود ، يعود وهو يصرخ والدمـــوع في عينيه :

راجع انا
ويا عين هدي الشوق
وخبولي لكل الناس
الارض نادتنا واجينا
وعاوجه الارض اللي ربتنا
طلي يا عيني دموع
وقولي
بغربتي تنعمت !

شيء أخير بد أن يقال في « بيادر القمر » وهو ان هذا ــ الديـــوان القصيدة ــ صادق النبرة ، ويبشر بميلاد شاعر حقيقي سيضيف شيئا جديدا الى شعر العامية الذي يفتقر اليه ادبنا من جهة ، والذي هو جدير بالرعاية والتشجيع من جهة ثانية ،

كتب الفنـــــون الشعبيـــــة



تاليـف : نمر سرحان

مراجعة : عزمي خميس

في ٢٠٢ صفحة من القطع الكبير كتاب الحكاية الشعبية الفلسطينية قسم المؤلف الكتاب الى مقدمة ومدخل وملحق اورد به عشرين نصا لحكايات صدر في ايار الماضي عن مركز الابحاث للباحث الفولكلوري نمر سرحان وقد للدراسة الحكاية الشعبية وستة فصول شعبية منقولة عن السنة بعض الرواة.

وساحاول هنا أن أستعرض الكتاب من خلال فصوله المتتابعة مبديا بعض الملاحظات خلال العرض .

١ ـ في المدخل لدراسة الحكاية الشعبية يحاول المؤلف أن يوضح معالم هذا النمط الأدبي من مجالات البحث الفولكلوري ويحدد ماهيته فيقول : (اننا نجد الانسانية وقد تجلت على سجيتها وعلى طبيعتها الفطرية مكشوفة في تلك الالوان المختلفة لذلك التراث القصصي الشعبي حيث تبدو هناك بكل غرائزها ونزعاتها وكل معتقداتها ومقدساتها وتصوراتها واوهامها عن الكون والحياة) . ويدعم هذا الرأي للمؤلف ما نلاحظه من خلال الكتاب من طبيعة الحكايات الشعبية المختلفة التي تبرز بها نزعات مختلفة ومتناقضة تعبر عن قيم وافكار وتطلعات واهداف متباينة لبني البشر الذين خلقوا هذا التراث القصصي وعاش معهم في مختلف العصور .

٢ ـ يحاول المؤلف ان يبحث عن منشا الحكاية الشعبية فيقول أنها (عمل كل من اشتركوا في النقل والرواية وهو في الاصل فردي ولكنه أصبح للجماعة . ثم يدعم رأيه هذا بمقولة اخرى تقول (ان الحكاية الشعبية نشأت أولا على أيدي رواة متأدبين ثم أهملتها الطبقات الخاصة الا أن العامة تلقفتها واحتفظت بها بعد أن هضمتها ومنحتها طابعها الشعبي) . وهنا يقع المؤلف في التناقض حين يقرر أن (هناك صلة كبيرة بين الاحلام والقصص الشعبي ، فلقد اخذ رجل الشعب سيء الحظ يسلي نفسه بقصص خرافية تحقق له بعض احلامه فتصور الفقير المشرد وقد اصبح ملكا ..) ، وهذا معناه أن الحكاية الشعبية نشأت

بين العامة ولم تهبط من الخاصة وأنها كانت تعكس طموحات عامة الشعب التي تناقض طموحات الخاصة وانه لم يكن (هناك وسيلة أفضل من صب كل تلك الاحاسيس المكبوتة في قلب الحكاية الشعبية) . ولا نستطيع هنا ان نتفق مع المؤلف ان العامة تلقفت أدب الخاصة بعد اهماله واعطته من طابعها الشعبي ، فصبغ أي قصة بالطابع الشعبي لا يفقدها مضمونها الاساسي وهيكلها العام حتى عندما يأخذ الراوي قصة من مصدر غريب سمع عنه فانه يجردها (من المميزات الغريبة ثم ياتي غيره فينقي القصة أكثر مما فعل الأول وهكذا يستمر تبديل ملامح البيئة حتى لا يبقى من بيئتها الاولى غير هيكل الوقائع الاساسية ، وهذا يؤكد باعتراف المؤلف أن التغير عندما يطرأ على القصة فانه يطرأ على بيئتها وملامح شخصياتها لكنه لا يمس مضمونها ، لذلك لا نستطيع أن نقيس الحكاية الشعبية بنفس المقياس الذي نستخدمه في البحث عن نشأة الازياء الشعبية والفنون اليدوية التي هي ما تتلقفه عامة الناس من الطبقات المثقفة أو ما تتخلى عنه هذه الطبقات بفعل التطور . ذلك أن الحكاية الشعبية لها مضامين تعبر عن موقف مناقض للطبقات الخاصة كما هو واضح من عامة النماذج التي طرحها المؤلف عبر الكتاب ولا يمكن أن تكون هذه الحكايات قد صدرت عن الطبقة الخاصة لانها ضدها ...

(تابع بند ٦) .

٣ ـ ثم يعدد المؤلف انواع الحكايات الشعبية فيقسمها الى الحدوتة والحكاية والاسطورة ، وحول الارث الاسطوري يقول انه (ذلك الذي يضم كل ما هو أكثر ايغالا في التاريخ من أن نستطيع نسبته لشخصيات تاريخية وأكثر بعدا عن الواقعية من أن نستطيع ربطه بأحداث تاريخية وهذا رأي يخالف الحقيقة في الاساطير، فأساطير اليونان التي كانت تروي ملاحم حصار طروادة كانت ترتكز على احداث تاريخية محددة وشخصيات تاريخية معروفة وكانت تلبسها نوعا من الخرافات حين كانت تشرك الآلهه في سير المعارك او مساندة ذلك البطل او هذا .. كما ان المؤلف نفسه يورد اساطير فلسطينية حول سيدنا نوح والطوفان وقابيل وهابيل وسيدنا ابراهيم والنبي لوط وابراهيم الخليل وغيرهم من الشخصيات المعروفة سواء الدينية منها او المدنية وضمن احداث تاريخية محددة رغم التصاق كثير من الخرافات حولها بهدف الترغيب والترهيب . ويقول المؤلف (ان الوسط الشعبي يروي بعض الحكايات الدينية وقد اكسبها هالة اسطورية وهو يهدف من ذلك مقولة دينية ... الخ ... ان الارث الاسطوري هو خليط من الخرافات المحض التي ابتدعها خيال الانسان كتفسير لبعض ظواهر الطبيعة ومن الخرافات التي استندت على شخصيات تاريخية معروفة واحداث تاريخية محدودة داخلها شيء من الخرافة .

٤ ـ ثم يدرس المؤلف الموطن الاصلي للحكاية الشعبية ويطرح عدة

اراء لبعض الباحثين الذين قال بعضهم بتعدد اصول القصص الشعبي وتشابهها في الظروف الجغرافية والطبيعية المتشابهة ، بينما قال اخرون مثل تيودور بنجي ان اصل الحكاية هو هندي كان يستعمل لاغراض تعليمية على ايدي البوذيين وانها انتشرت على ايدي العرب ، ويميل المؤلف الى الاعتقاد القائل انه لا وطن للحكاية الشعبية من خلال قوله ان هناك مصدرين للحكاية الاول بيئة القاص نفسه والثاني بيئة سمع عنها من رواة اخرين فاعمل فيها تنقيحا حتى لاءمت بيئته وهذا يلتقي مع رأي الاخوان جرم القائل ان الحكاية ليس لها وطن ٠

٥ ـ وحول عمر النصوص الشعبية يحاول المؤلف ان يحدد انتماءها التاريخي من خلال بعض الموتيفات الصغيرة الواردة في سياق القصة الشعبية او من خلال بعض الاسماء ، فقصة (احديدون) تعود لعصر الحديد ويقول انها تعني تصغير حداد وان البطل الذي يعيش في المغارة ويأكل مما يصطاده فيمكن ان يرتبط في الذهن بانسان الكهوف الصياد ويمكن ارجاع اصل القصة للعصور القديمة ٠

٦ ـ في الفصل الاول تكلم المؤلف عن البطل في الحكاية الشعبية ويحاول ان يلخص لنا دور البطل بقوله (ليس البطل الفولكلوري بطلا بذاته انما هو تجسيد لاحلام وامال طبقة من الناس خلقته وضعت له مسارا من الاحداث ، وقد نفترض ان لكل طبقة بطلها لكننا لا نصادف الا البطل الذي تخلقه ذهنية الطبقة المسحوقة من الشعب حيث ركز المؤلف على البطل الذي يعبر عن رغبات المسحوقين وتطلعاتهم في الوصول الى السلطة او التخلص من الظلم او الجوع وقد يكون هذا تاكيدا غير مقصود من المؤلف على ان الحكاية الشعبية مصدرها عامة الناس وانها لم تهبط اليهم من الطبقة الخاصة كما يسميها ، حتى اذا سلمنا ان مصدر الحكاية الشعبية هو الطبقة الخاصة فكيف نفسر احتفاظ بعض القصص الشعبية بطابعها الذي يعكس احتقار هذه الطبقة لعامة الناس ولماذا لم تهبط هذه القصص الى العامة ويدخل عليها الذهن الشعبي تغيراته ويعطيها طابعه كما هو واضح من قصة الحطاب وقصة هارون الرشيد ان التفسيرات الوحيدة لمثل هذه القصص التي تكرس الفوارق الطبقية وتظهر بعض الاحتقار لعامة الناس هي ما يصيب العامة احيانا من الياس في تغيير اوضاعها فتستسلم لواقعها وتعبر عنه بمثل هذه القصص التي تكرس هذه الفوارق الطبقية واستسلامها لها ٠

٧ ـ في الفصل الثاني يتناول حكايات الخوارق ٠ التي تتضمن جزيئات ذات مضمون خارق للعادة وتحتوي على شخصيات الغول والجان والعفريت والتي لا يفرق القاص او الراوية في كثير من الاحيان ، ثم يقسم حكايات الخوارق الى حكايات

الغيلان وحكايات الجان وحكايات السحر ،ويعرف كل واحدة منها ويورد أمثلة عليها فهناك الغول الطيب والغول الشرير وهو غالبا ما يتكلم مثل الناس وله قدرة عجيبة على التشكل . بينما الجان ايضا قريب من الغول لكن ليس له صفات محددة وهو غالبا ما يتشكل بصورة حيوان او جماد اما حكايات السحر فهي تلك التي تحتوي على ادوات سحرية مثل بساط الريح وخاتم لبيك وممارسات سحرية اخرى كتغير شكل الانسان الى حيوان .

٨ ـ في الفصل الثالث يتناول المرأة التي تنظر لها الحكاية الشعبية مع استثناءات طفيفة من زاوية واحدة وهي الجنس فهي اسيرة تركيبها الطبيعي الذي يجعلها في نظر الراوية تحقق معظم اغراضها بواسطة اغراء جمالها وسحر بشرتها .. الخ ، ويتعرض هذا الفصل من الكتاب لوضع المرأة والنظرة الشعبية لها من حيث كونها عورة وانها مجبلة للعار ولذلك جاءت اهمية الرجل للمرأة للحفاظ على شرفها . ومن هنا جاء الصراع على الرجل عند النساء فهناك الصراع بين الزوجة والزوج والصراع بين نساء الرجل الواحد.والصراع بين اخت الزوج وزوجته ويورد قصصا تصور كل نوع من هذه النساء على حدة ومن عدة زوايا وبصفات مختلفة فالام احيانا قاسية متحكمة بأبنها وزوجها واحيانا رحيمة حنون . والزوجة مطيعة لزوجها واحيانا متحكمة به اذا كان غبيا . كما يورد بعض المعتقدات حول معاملة المرأة وتتركز كلها حول ضرورة ضربها واذلالها كما يورد بعض المعتقدات حول الخيانة واسبابها وعقاب الخائنة وعشيقها . وقصص الحب الطريفة وبعضها حب رجل لامرأة لم يرها بل سمع عنها . وكيف يكون حب البطل للبطلة سببا في اجتيازه لمجموعة من العوائق والصعاب الهائلة .

٩ ـ ويفرد المؤلف الفصل الرابع للحكاية المرحة التي هي تلك الاحدوثة القصيرة التي تحكي نادرة او سلسلة نوادر وتنتهي الى موقف فكه مرح وبعض هذه الحكايات هدفها السخرية من بعض طباع الناس البسطاء والاغبياء وبعضها يحتوي على نقد مبطن للظالمين من الحكام فيكون ظاهرها مرحا وباطنها التنفيس عن موقف اجتماعي ويورد مجموعة من الامثال على هذه الحكايات منها قصص قراقوش الحاكم الطاغية .

١٠ ـ الفصل الخامس يدور حول حكاية الحيوان واشخاصها هم من الحيوانات وهدفها في الاصل تفسير حقيقة من الحقائق التي يستطيع الانسان البدائي ان يفهمها مثل سواد الغراب وخلود الحيات وقصر ذنب حيوان معين .. الخ . وتهدف قصص الحيوان الى التعريف ببعض طباع الحيوان كوفاء الكلب مثلا وعدوانية القط تجاه الفئران وعلاقات الحيوانات ببعضها ، وبعض قصص الحيوان يحاول ان يقدم

تفسيرا لبعض الظواهر في الحيوان مثل احمرار مؤخرة القرد وخلوها من الشعر • وبعضها يتكلم عن العلاقة بين الانسان والحيوان • حيث يقدم عدة نماذج من هذه القصص • التي تتقمص فيها بعض الحيوانات احيانا دور الغيلان والجان من حيث القيام بالخوارق

١١ ـ في الفصل السادس يتحدث عن الارث الاسطوري يعرف الاسطورة بانها تفسر ماثورات الناس حول العالم وما وراء الطبيعة كما تتناول الاسطورة المعتقدات الدينية وتعليلاتها • ثم يتناول الاساطير الفلسفية ويقول انها ارتكزت على قصص دينية لكنها شهدت اضافات من الرواة بهدف الترغيب والترهيب ويتميز الارث الاسطوري الفلسطيني بانه ينتمي الى اصحاب الديانات السماوية الاسلامية والمسيحية واليهودية وبعض الرواسب الوثنية وتتحدث الاساطير الفلسطينية عن الانبياء وعن الاولياء الصالحين وعن ادم وحواء وعن بعض الاحداث الدينية التاريخية لمقتل هابيل وطوفان نوح ونزول ادم من الجنة وقتل عوج بن عناق وكثير من الشخصيات الدينية ويورد عددا من الاساطير حول هذه الشخصيات والاحداث •

١٢ ـ في نهاية الكتاب يورد المؤلف عشرين نصا لحكايات شعبية تعكس مختلف الانواع القصصية الشعبية وتعكس عدة مضامين ومدلولات •

ان الكتاب بمجمله يشكل اضافة جديدة لمكتبة الفولكلور ويعكس الجهد الذي بذله المؤلف والدقة في البحث والالتزام بالمنهج العلمي الذي لم يخرجه عن موضوع بحثه والذي مكنه من ان يقدم لنا هذا الجانب من التراث الشعبي بهذه الصورة المتكاملة •

ولا يقلل من قيمة الكتاب تلك الملاحظات التي اوردناها خلال هذا العرض والتي هي وجهة نظر هدفها اغناء البحث ووضع اليد على بعض الهنات وانطلاقا من الحرص على موضوعية البحث •

كما لا يقلل من اهمية الكتاب تلك الاخطاء المطبعية المبعثرة هنا وهناك في صفحاته •

ولا يسعنا الا ان ننوه بجهود المؤلف الدائبة والمتواصلة في مجال البحث الفولكلوري والكشف عن مجاهل هذا هذا الموضوع البكر الثري الواسع وحفظه من الاندثار •

ويظل عرض اي كتاب عاجزا عن نقل صورة وافية عنه ولا يغني عن قراءته والاستمتاع به والاستفادة منه •

عزمي خميس

ملف النصوص

اعـــداد : فوزي طاهات

حكاية فاضل الزين

بيه امير هل عرب اسمه مفضل قعد مدة طويلة ما يخلف ولا يجيه خلف باخر عمره عوض الله عليه وارزقه ولدين واحد اسمه فاظل والثاني اسمه مفلح ورباهم تربية احسن تربية فاظل تولع بالقنص والصيد وصار كل يوم يقنص واصيد كل يوم اجيب هل صيدات لعند امه تنظفهم واتربطهم ويتعشى واحط راسه وانام ليوم من الايام فيه هل صانعه لعنة الله عليها هل صانعة اجت لعند ام فاظل قالت لها يا ام فاضل بدي تيجي عند بنتي بدها تتزوج قالت لها والله يا بنت الحلال عسع مني فاضيه لكن انشاء الله باجي . راحت هايه استنت ساعة ساعتين ما حد اجي . قالت طيب والله غير ادبرها وافرق بينها وبين اعز محبيتها . يوم من الايام هيه ماشيه وان فاظل راجع من الصيد والقنصد لقته قالت له روح يا فاظل الله يبلاك بهوا الزين قال فاضل له عمه ودي اعرف منك من وين هل البنت الي اسمها الزين قالت له يمه لا بيه زين ولا بنت اسمها زين هايه كلها خرافات وكلام فارغ لان الزين ما حد دور عليها ورجع بسلامه . لكن فاظل قال له ما فيه فائده لازم تقولي من وين هل بنت وين اهلها ما لقت امه بالطويل فائده وشافت ابنها مصمم على معرفتها . بعد ما زهيت له وشد على ذلوله (١) منل ما بدك وقالت له امه ترى بلاد الزين يم (٢) جسر المجامع وهمه ساكنين بالحجاز (٣) اجي ركب ومشى بالليل انام وبالنهار يمشي الله اعلم يوم يومين ثلاثة وان الله اجيبه عل القصير (٤) بالفور وان هل ورادات على هل عين وعتدهن هل ذلال قال له فاظل وين وجهك يا طويل العمر قال له والله ليه ثلاث اشهر بدور عل الزين ومش لاقيها ولا عارف وين اراضيها

(١) الذلول ـ الجمل وهو وسيلة المواصلات التي كانت سائدة في تلك الايام
(٢) يم ـ ناحية
(٣) الحماد ـ الصحراء أو السهل البعيد عن العطر .
(٤) القصير ـ بلد من البلدان الواقعة في غور الاردن قرب الشونة .

والله بعد ما قعدوا واسقوا وشربوا هذا شرق والثاني غرب بعد ما ترك العين ومشى وان هـــل ورادات (٥) قدامه يطلعن عليه ويدهن يعرفن من وين هل ذلال • وبالسيب والتقادير بتكون خادمة الزين معهن • قالن البنات والله ما فيه غيرك يقدر يعرف من وين هل ذلال وين وجهته • والله اجت خدامة الزين لحقته ونادت عليه بعد ما وقف وسلم عليها قالت له وين متوجه يا معود قال الها والله يـــا بنت الحلال انا قصتي هيك هيـــك قالت له ترى غرضك الى انت جاي مشانه عندي وتراك وصلت • اجت العبده اخذته بطريـــق غير طريق الورادات وقالت له اسمع بتظـــل ماشي بهل طريق حتى تلاقي حشيش اخضر بتقعد تحش حتى تـــملي خرجك وبتظل تستنى فيه حتى اجي لعندك والله هذا سمع كلامها وظل ماشي حتى وصل لعند هل عشب وقعد حش وعبى خرجه وصار يستنى فيها ، العبده رجعت على الورادات ولما سئلنها آه انشاء الله عرفتي ويـــن وجهته ومن وين هوه قالت الهن والله يا بنات الحلال ما عرفته زلمه بايـــن عليه طراد هواء ومش من هل بلاد • هاي روحت معهن وقرغت الميه مـــن قربها (٦) رجعت على فاظل واتـــه قاعد يستنى وعيونه بتلصلص ما هو مصدق انه اشوفها اجت حملت معه خرج الحشيش ومشيت معه حتـــى وصلوا عراق (٧) اعبروا الذلول فيه وحطوا له الحشيش واعقلوه (٨) من وراء ومن قدام واخذته العبده لبيتها • والله هاي العبدة قعدت يومين ثلاث ما تروحش عند ستها الزين وصت الها قالت والله يا ستي انا عندي ضيفه لا تمشي باجي عندك ردت وصت الها مرة ثانية وثالث قالت الها تعالي يـــا مسبوعة انت وضيفتك ساعتها اجت الخدامة لبست فاظل ملابس حرمـــه ومشيت معها حتى وصلوا صيـــوان الزين والله هذولا بس دخلن قلب الزين مال للضيفه وكانها بتعرفها من زمان تعللوا مع بعض وبعد ما انتصف الليل قالت العبده اسمحي لي يـــا ستي بدي اروح انا وضيفتي قالـــت الها الزين الضيفة خليها عنـــدي تتسلى مع بعض وتنام عندي والله بعد اخذ ورد ظل فاظل عند الزين على اساس انه حرمه وضيفه للخدامـــه يومين والثالث وتكشف الزين امــره ويعترف الها بكل شيء قالت له الزين والله انا حبيتك واريدك مثل ماتريدني لكن دخلك ما تتركني وتبعد قال الها بالكثير شهر شهرين ، برجع مرجوعنا للذلول يوم من الايام والحلال مارق من قدام العراق سمع حنين النوق قام عن وحاول النهوض فسمعوه الرعيان لما فاتوا العراق وشافوا هل شـــداد

---

(٥) ورادات ـ البنات الواردات على عين الماء •
(٦) قرب ـ جمع قربه وهو وعاء لحفظ الماء يستعمله العرب في نقل الماء من مصادره الى بيت الشعر
(٧) عراق ـ هو عبارة عن كهف من الصخر الطبيعي على شكل مغارة •
(٨) اعتقلوه ـ ربطوه •

وهل خرج قالوا والله هذا ذلول
عشاق وطراد هواه اخذوا الذلول
لعند الامير الي هوه ابوها للزين .
وقالوا هاحب هل ذلول لازم ايش وما
هوه رايح يتركه خاصة بعد ما فتشوا
كل العرب ما عدا صيوان الزين لانها
بنت الامير وما حد يقدر يدخل عليها
واجيب الها سيرة والله لما
صحي فاطل الصبح لد من شق
البيت وان الذلول قدام ديوان ابوها
قال الها دونك الذلول يا الزين
قالت له ولا ايهمك بس دخلك لن
رحت ما تتركني واطول عليه والله هذا
زلمتنا خلي الليل تنه اعطي يعصه
وناموا العبيد قام قطع الحبال المفول
بيهن الذلول وركبه وفز وهو قايم
دعس على بطن واحد من العبيد قام
صاح حسوا عليه العربان ولحقوا
فاطل ظلوا يطاردوه لثاني يوم عقب
الظهر لكن ما حدا قدر يلحقه غير واحد
من عرب جيران لهل الزين وبدهم
الزين لواحد من عيالهم ظل وراء فاطل
لما قرب عليه رجع عليه وقال له يا
ابن اخي ترى انا بوجهك ودخيل
عليك بالرجعة ماهو بالروحة قله ابشر
وتراك اوصلت قعدوا واتعرفوا على
بعض وقاله وش اسمك قله انا
الخطيب وانت مين قله انا فاطل
وجاي بدي اخطب الزين واتزوجها
قاله ولا ايهمك ارجع وانا معزبك
والله هاذا روح وصل لعند امه
بعد ما وصل وقعد جمعه جمعتين
مرض ونام بالفراش ، يوم من الايام
أم فاطل نايمه وانها تشوف الزين
مريضه وتحيله وحالتها حاله راحت
لبتها وقالت يفاطل الي بده ادور
وراء بنات الناس ويخطبن ما بده
انام يولدي قوم سافر للزين تراها
مريضه وتنتظرك والله بعد ما زهب
نفسه من المال والزاد ركب ومشي
والمرة الطريق معروفة اله ما هيه مثل
المره الاولى والله لفى على الخطيب
دخيلة وقعد عنده . ليلتها ذبح
الخطيب جزور وعزم عنده قرايبه
وحكي الهم قصة فاطل وانه هذا
الزلمه الي لحقنه العرب قبل شهرين
وانه بده يخطب الزين . والله بعث
الخطيب جاها لبوها للزين ما قبل
يزوجها ثاني جاها ثالث جاها ما
رضي قالوا قرايب الخطيب يا جماعة
ما لنا غير ناخذها منه بالحرب
والضرب وشدوا على خيولهم . لكن
فيه بالعرب ختيارية قالوا يا نشامى
المثل قال خلي اضرط ما عندك لاخر
ما عندك خلينا نروح على هل زلمه
ونشوفه . والله هذولا راحوا عند
ابو الزين وقالوا له يا عمي مشان
الله تحقن دم المسلمين وتزوج بنتك
لهل زلمه لانها بدها اياه وبده اياها
وما فيه فائده من عناد الهم الزلمه بعد
تفكير ومشوره وافق بعد ما وافق
اجى فاطل فرغ جراب المال الي معه
قدام الخطيب وقاله انت اليوم كل
شيء ليه ادفع الي تدفعه واصرف
مثل ما بدك حط الخطيب المال قدام
ابو الزين وقال له هذا المال وعد
مهر بنتك مثل ما بدك وقد ما بدك
والله بعد ما تزوج فاطل والزين
واخذه الخطيب لعنده وقعد شهرين
ثلاثة كانت العادهعند عرب الزين انه

كل ما تزوجت بنت من هل عرب تيجي الزين على عرسها واتغني غناويه يوم من الايام اجت بنت الخادمة الى عند الزين تزوجت فقامت الخادمة عزمتها مشان تغني بعرس بنتها قامت الزين كحشتها وقالت الها والله انا مش قاضيه الليله - قالت الخادمة بينها وبين نفسها طيب والله غير افرجيك ومثل ما جمعتك بيه افرقك عنه ٠ راحت زوجت بنتها ونست الشغلة يومين ثلاثه ودورت على مشط ومشطت الزين فيه وان شعرها صار ابيض ابيض والله بعد ما روحت الخادمة وناصت الزين يرجع فاظل من تعليلته من عند الخطيب وان هلي نايمه مثل الغوله بالفراش شعرها ابيض وحالتها حاله ، الزين الزين وصار يركض ويصيح الزين الزين حتى وصل الى بركة ميه وان هل غزلان عليها اجي شرب وفهد مع مرور الايام رافق الغزلان وصار مثل واحد منهن يرد الميه معهن ويرعى العشب مثلهن ، صحيت الزين دورت على فاظل ما لقت حد راحت على الخطيب دوروا لطشوا ما فيه خبر ولا علم وتمر سنه سنتين يوم من الايام أم فاظل نايمه وانها تشوفه بين الغزلان يرد معهن ويرعى العشب مثلهن قامت صاحت ونادت على ابنها الصغير مفلح وقالت له قوم دور اخوك تراني شفته مرافق الغزلان والله ركب وصار ادور حتى وصل لعند الخطيب هذا الخطيب كل ما شاف واحد يسئل عن فاظل فلما سئل مفلح قله والله انا اخوه وبدور عليه ثاني يوم ركب مفلح وصار ادور والله اجيبه على هل عين بعد شوية وان فاظل مروح مع الغزلان وان حالته حاله شوه بده يعمل بده يقضبه ما بعرفش لانه يركض والغزلان حواليه بده الهم تحير وما كان منه غير ركب ومشي حتى وصل لعند عرب نازلين بجنب العين قص عليهم القصة قالوا يا معود اسئل الشيخ الفلاني لانه يعرف بهل امور يوم اجى عليه وسئله قال له يا ولدي تروح تجيب حفنة ثوم وادقها وتخلطها باللبن والخبز وتحطها عند العين لما بيجي اخوك يرد الميه مع الغزلان وباكل الثوم تبعد الغزلان عنه من ريحة الثوم ساعتها تقدر تقضبه والله هذا اخذ بوصية الختيار وحط باطية مليانة ثوم ولبن وعند العين ما اوجه فاظل وشرب وبحط ابمه بيها وباكلها كلها بعدها ركض عليه اخوه ركض بين الغزلان من ريحة الثوم بعدت عنه ظل وراه تاقضبه ، لما قضبه وان ارموشه غير شكل وان شعره وان لحيته من رعي العشب مهترية كربسه واخذه لعند الزين اجت قصقصت شعره واضافره وحممته واعتنت بيه حتى رد له وعيه. قالت له ليش عملت بيه هل عمل يفاظل قال الها والله الي صار هيك هيك قالت آه الي عملتها الخدامه الملعونة جابتها وجلدتها ميتين جلده وكحشتها من العربان وفاظل قعد مع الزين وتركناهم واجينا وطار الطير وكل مره اظلوا بخير ٠

حكايات شعبية
١٠

نقلها عن النص المكتوب بالحرف اللاتيني

فوزي طعمات

في خربة أم صفاة غربي بير زيت فيها نبيين . واحد اسمه حنون والثاني اسمه سعيد ، الاثنين أولاد يعقوب عليه السلام ، بقى فلاح بيدره بجنب النبي حنون . هذا الزلمة كلما اجي الصبح على بيدره بلقى الطرحة مغمفلة (١) ، هذا عبر يوم من الايام في مقام النبي عوكل . هيه يا نبي الله يا أبو الكرامات والجاه عند الله انا جارك وتحت صايتك وحمايتك . يا سيدي انكنك(٢) انت اللي بتغمفلي طرحتي تني أرحل عنك وان كان غيرك يا سيدي بجمله اموت . دستور منك يا نبي الله . لمن صلى وراح عاود ثاني والا رف هل شنانير متحطط عل الطرحة . هذولا باكيات ايغمفلنها في الليل(٣) .

واحد قال رزق عثمان من أم الصفا علي وعبيبي (٤) مش من زمان اجي غزاوي يحمل قمح ع خربتنا وفسخ باب النبي سمير ، ليلتها قام ثلاث أربع شباب من هنشترية(٥) اجوا وقالوا بدنا نسرق النا شفة من هل حمل ، قاموا وعمدوا المكان . شيل الله يا نبي الله . دستور منك يا رنبي الله ؟ والا هل غزاوي وجمله وحمله في وسط المقام مقدروش يسرقوه منه،

قاموا طلعوا ونجروا وراهم الا الغزاوي وجمله وحمله برا المقام ، عاودوا عليه الا وهوه صار جوا المقام . دوروا مين الي وراه الحطب ! وهو برا ، عاودوا الا وهو جوا ، لمن ما فكوش(٦) عن الغزاوي الي فحمايته قام تصور الهم بصورة حية كبيرة وقامت تستوحيهم، وهذولا قاموا فكسوا وروحوا(٧) .

حطاب بروح كل يوم علهيش(٨) بجيب له حمل حطب وبيجي ، قعد بيجي عشراثني‌عشر سنة عهل معدل. عقبين تاب وقال ما بديش هشغل وهل اشي ، بدي اروح اقطع حطب وادور ع دم أبونا آدم واحرقهن الى جاب النا هل تعب . سحب حاله وراح ودار يقطع في هل حطب وايكوم . الله أرسل له ملاك بصورة زلمة . قله شوه بتساوي يا زلمة هان . قال يا سيدي بقطع في حطب تني أحرق دم أبونا آدم . قله شوه سوى لك أبونا آدم. شوه اذنب لك . قال هو سبب تعب العالم كله . قله طيب والي بريحك . قال كثر الف خيرك . قله بحطك في هل بستان وكل من جميع الثمار الي فيه وان شفت مهما شفت لا تحكيش قال ممنون . طرق كف ع كف ما اعتبي(٩) الا وهو في البستان .

بستان مليان من جميع اثمار . قعد بيجي ثلاث أربع تيام الا هلي مارق بقطع لخظر وبخلي اليابس . قال أحكي والا ما احكيش متعـول هـل والدين قهرني والله غير أحكي(١٠) . قله يا رجل . قله مالك . قله الناس بسووا بالشكلوب(١١) بقطعوا اليابس وبخلوا لخظر قله الك زمان هان مـا اعتبي الا وهو فلهيش بقطع في حطب دار ادب في صدره(١٢) بحجرين ويقول شوه هلي سويته . اجاله الملك أخره خطرة(١٣) قله شوه مالك قال يا سيدي وديني مطرحي قال ما قلتلكش اتحكيش قال اتوبه قام طرق كف ع كف الا وهو في البستان قعد ثلاث أربع تيام ما اعتبي الا هـــل غزالة بتجري وهل ختيار التسعيني(١٤) لاحقها قال لا حول الله يا رب الغزالة بتنط من رامه لرامه وهذا بنقل نقله نقله وبلهث وراها . قال يا ناس احكي والا ما أحكي قله . يا ختيار هل غزاله بتنشب قدامك مثل البرق وانت بتجرجر وراها لويسته(١٥) .

قله الك زمان هان . بحر(١٦) الا وهو بقطع حطب في الهيش .

دار ادب في صدره ويتحصر الا والرجال جاي قله شوه مالك قلـه في عرضك في دخلك وديني مطرحـي قال والخطرة ؟ قال حريم ما بحكيش . طرب كف ع كف عاود مطرحه في الجنة . ما قعد الا ثلاث أربع تيام شاف اربع ازلام داقين في قصعة بيض من شفة وحده يرفعوها من جال كن مالت ع جال . قال هذا يا ناس احكي والا لا هذولا مجانين غير احكي . قال يا ازلام دقوا فيها من كل الجهات قالوا له صار لك زمان هان . مـا اعتبي الا وهو في الهيش .

دار امعط في لحيته وادق صدره ويقول يا حصرتي يا كبر همي قـام اجي الرجال قله مالك قال في عرضك قال من غير فايده أبـوك آدم أخطـا خطرة وحده وانت خطية في خطية في خطيــة طلـك في هـــل هيش تـا اتموت(١٧) .

---

(١) مقعفله : مبعثره .

(٢) الكنك : ان كنت .

(٣) عن كتاب :

Shmidt & Kahle :

Erzählungen aus Palästina Götingen, 1930.

رقم النص ٦٥ .

(٤) عل وعبي ! عل ما اذكر .

(٥) هنشترية : الزعراق . السرسرية .

(٦) ما فكوش : ما تركوا .

(٧) عن كتاب :

Shmidt & Kahle :

Erzählungen aus Palästina Götingen, 1930.

رقم النص ٦٦ .

(٨) علويش : عل العراج .

(٩) ما ما اعتبي : ما حس ، ما شاف حاله .

(١٠) عن كتاب :

Shmidt & Kahle :

Erzählungen aus Palästina Götingen, 1930.

رقم النص ٦٧ .

(١١) بالشكلوب : بالعكس .

(١٢) ادب في صدره : يضرب عل صدره .

(١٣) اخره خطره : مرة ثانية .

(١٤) ختيار تسعيني : اي عمره تسعين سنة .

(١٥) لويسته : لحد امتى . الى متى .

(١٦) بحر : نطر . اطلع .

(١٧) عن كتاب :

Shmidt & Kahle :

Erzählungen aus Palästina Götingen, 1930.

احبابي اللي يبروني [1] ويرهم
وما قطب جروحي الا ابرهم
وحمد يا خي اعطيني خبرهم
بعيدين عن النزل [2] ولا اقراب
احبابي سافروا من نصف ليل
والله يعلم سفرهم كم ليله
قمرنا يا صغير يا ابن ليله
على ضوك مشى ظعن [3] الاحباب
احبابي قوطروا [4] لحوران وسنون
وعليهم لصبغ الذرعان وسنون
يحرم عليه الضحك وتبان السنون
هجر ما دام خلوهم غياب
طلبت الميه واسقتني بلفته
عنيها تذبح العاشق بلفته [5]
لمن تلطفت نحوى بلفته
تهب نار الغرام جوى العشا ياب
سالت ما الاسم قالت عجايب
ها الزينها بالغلائق اظهر عجايب
بهواها كن ضاعت خالي عجايب
رمتني ببحر هجرها والجفى يابا
سالتها ما الاسم قالت محاسن
لكل الغلايق تعطيهم محاسن

---

(1) يبروني : يودوني ويحبوني (2) النزل : المكان الذي ينزل به العرب
(3) ظعن : الظعن : قافلة الجمال ساعة الرحيل (4) قوطروا : سافروا
(5) لفته : نظره

خـذت عقلي بجمالهـا مـع المحاسـن
جبينهـا كالبدر يضوي بالدجى يـاب

عيـوني ما تنـام بالليل سـاعة
وقلبي ما سـلا الغلان (٦) سـاعة

احبابـي لـو سـقوني السم سـاعة
عـلى قلبـي ألـذ مـن العسـل

عيـوني عـلى فـراق الولـف عميـن
مـن كثـر البكـى والحـزن عميـن

سـالت ان مثلـي نـاس عميـن
وفيهـم حكمـت صروف الهـوى يـاب

يـا قلبي عـلى فـراق الولـف ولـع
في نـار الهـوى مـن الهجـر ولـع

طلبـت الصبـر لاقيـت الصبـر ولـع
بحبهـن والهجـر مثلـي ابتـلى يـاب

عينـي مـن البكـى زادت ورامهـا
جبـال الكحـل ما تطفـي ورامها (٧)

احجـار الصـم لاصخـها ورمهـا
عـلى فراقك يـا مجـدول الذوايب (٨)

عيونـك السـود رمونـي بهـواك
دعـو روحـي أعـوفها بهـواك

صـرت درويـش وسايـح بهـواك
رقـي لحالـي يـا ام الـذوايـب

عيـونـك صيروني عبـد مجنـون
بحبـك كـاد دعوني الخـلايق مجنـون

دلوني عـلى هـوى ما يكـون مجنـون
عسـى عنـده وجـدلـي الـذوايـب

(٦) ماسلا الغلان : ما نسى الاحباب
(٧) ورامها : ورم العين ، الم يصيب العين
(٨) الذوائب : جمع ذويبه وهي عبارة عن الشعر القريب من مقدمة الجبين تسمى عند الرجل سالف وعند المرأة دوليه او قصة

عيونك سود مكحولة بالاميل
خلقت ربنا العالي بلا ميل [٩]
سألتك ليش ميلتي بلا ميل
قلبي لهواك والحشا ياب
ورد خدك سلب عقلي واخذتيه
وقلبي من وسط صدري اخذتيه
والعلم كنت حاويه اخذتيه
بهدب عينك جلبتي لي العذاب [١٠]



حلمت حلما يا وديدي بالدجى
ولني بفرشة حولها [١] بداوي
نطحتني غرا ما عرفت اوصافه
يا عرظة الرحمن كيف اساوي
الطول عود الخيزران لا انحنى
عود الجريد اللي ورقها ثاوي [٢]
العين سودا يا وديدي مكحلة
والخد جبته في قدح مكاوي
يا عنقها الوظيحي [٣] لن جفل
من بندق يسمع طلقها داوي
يا خصرها شلة حرير ع الندى
شلة حرير وطاوية مطاوي

---

(١) شغلها
(٢) ذابل ، الجريد – فرع شجرة النخيل
(٣) تصغير الناقة الوضحاء
(٩) الميل = هو الكحل
(١٠) من كتاب

عندما سمع ابن طوقان خبر وفاةزوجة نمر بن عدوان وما حصل له بعدها ارسل له رسالة يخبره بها بأنالنساء مثل المال معوضات واخبره بأن يحضر الى نابلس ويختار زوجة له فردعليه نمر بهذه الابيات :

يا حي الكتـــاب وحي مـــــن له ناجين
وحي ثمانـــين الـف وافي عددهـــا

وحييت كل ما بـــدا ريح وبدا غيـــم
وحييت كل مـــا لاح بـــرق برعدهـــا

وحـــي الصـــديق لصديقـــه يسـلـم
وبيـــوت بزين الطـــلاحي رســــمها

ويلي تقول للصبر صبرك غـدا ويـن
والصبر مرمرني وريقـــي عقـــدهـا

حظـي دفنتـــه بزبـــارات نمـــرين
بقاع الســـهل متعلـق بســــندهـــا

عـدا الصحيح وكلمـة الحـق توزيـن
الله يلعـــن كـــل منهـــو جهـدهـــا

عـدا الصحيـح وكلمـة الحـق تنجـين
حيـــاة كـل مـن بالشوابر[1] لكـدهـا

ولـو من حلـب للشـام لديـرة الصـين
ولبـواب مصـر والصعيـــد وبلـدهـا

تـوقـف نساهـا بالخزارج تـزاويـن
وتوقـف الا يـا صاحبي وضحـا وحدها

(١) الشوابر . آلة حادة توضع في مؤخرة الحذاء وتستعمل لضرب الحصان وحثه على الركض .

مـا توخـذ الا مهجـة الـروح والعـين
ولـن غـرغـرت يـا صاحبي بـرمـدها
اجتني عطـا مـا سقت بهـا بعـاريـن
تربـاة شيـخ وكـل من جـاء حمدهـا
ومـا لعبت السامر مـا بـين الفريجـين
ولا عمـر أبـو العملات كبـر جعدهـا
ولا نطقت غطريـف بالناطـق الزيـن
ولا وسوس الشيطـان جـوا جسدهـا
لـن كنت انـا زعـلان هـي تسلـين
ومثل الشفوق[2] اللي تلهلـه ولـدهـا
ومـن لامني يبـلاه بجـن وقـراعـين
ويبـلاه بحـاكـم ظـالـم في بلـدهـا

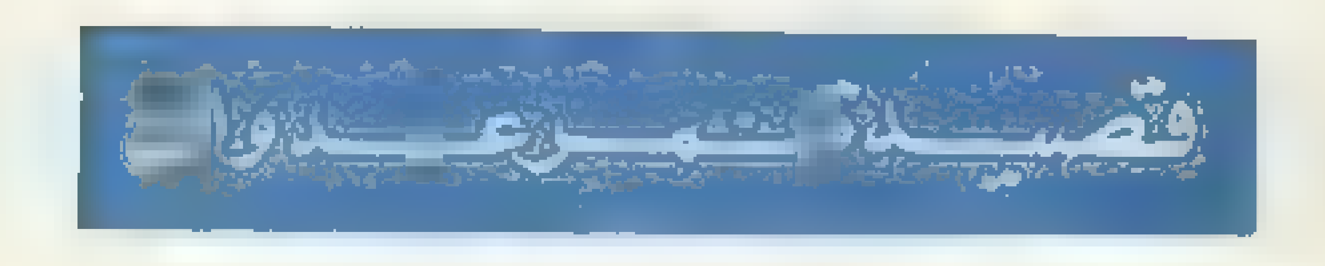


يكليب شـب النار يكليـب شبه [1]
عليك شـبه والحطـب لك يجابـي
احطب عليها مـن هشـيم ودبـه
وادعي سناها يجيب ربـع غيـابي
شـرقية يكليـب شـيق مهيـه
متعكفـين وسـوقهن بالكعـابي

---

(٢) الشفوق : المرأة الحنونة على وليدها الرضيع
(١) شب النار : اشعلها .

الوا[٢]طه يكليـــب عجـــل يصبــه
والـــرزق على الي يقـــود الحابـــي
واهر[٣]ج لهـــم يكليب هـــرج المحبـه
وان شـــح بالهـــين عريض العلابـــي
واذبح لهم كبش عـــريض ملبـــــه [٤]
من مقـــدم الســـكين حتى الـــركابي
ومـــن مارضى يكليب في حكـــم ربـــه
هـــذاك يـــوم الحشـــر ما له نوابـــي



عاد نمر عدوان للبيت بعد غياب وسأل عن زوجته فقالوا له انها ذهبت لزيارة أهلها فأخذ ولده الصغير عقاب في حضنه وأخذ يخاطبه بهذه القصيدة :

ياعقاب باب اسباب شـــكواي في بـــاب
وبـــاب العذاب وباب فرقـــة وليفي
أجيت المحل يا عقـــاب قالو لـــنـــا غياب
يا بوي نبهـــت الخـــدم والعبيـــــد

---

(٣) اهرج : تكلم .
(٢) الواله : التروجة (المتصف) .
(٤) ملبة الكبش : رقبته .
(*) استنح : انتظر .

سايلتهم عن صاحبي وين هو غاب

قالوا لي استمح يا نمر ما هو بعيد

زاير هله يا نمر من قبل الغياب

وبكير يلفي [1] والمحبة تزيد

وما كان بيني وبينه هرج ولا عتاب

وحافظ لسانه من الغطا مع بعيد

يا عقاب قوم اركب على فارح[2] الناب

وهاتلي خبر محبوب قلبي اكيد

ان كان هرج العبد ما هو كذاب

يمك على رجليه صك الحديد

وارمي العبد يا عقاب في جانب اطناب[3]

وقطع العبد في ما ضيات الحديد

ولولا الحيا لسوح وارافق غراب

واجوح جوح الذيب واعض بيدي

لو من حلب لشام لبلاد سنجاب

بغداد مع العلة لارض الصعيد

والعصر يقولوا يا نمر خذ واختار

وما اخترت الا نور عيني اكيد

ومن لامني يبلاه بسم ارقط الناب

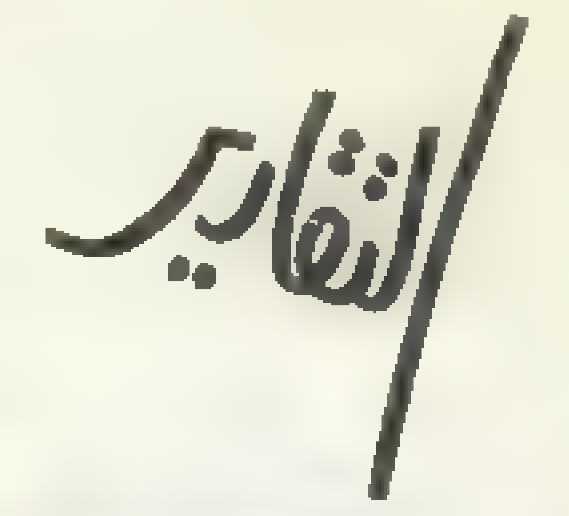
ومن جنة الفردوس ما يستفيد

---

(١) يلفي : يرجع ، يأتي .

(٢) فارح الناب : الجمل .

(٣) اطناب : الحبل الذي يشد به بيت الشعر .



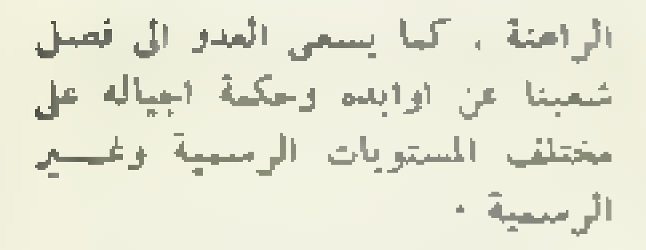
التقارير



في حماة الصراع العربي ـ الاسرائيلي واحتدامه قامت «لجنة الابحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني» المنبثقة عن جمعية انعاش الاسرة في مدينة البيرة الصامدة باصدار مجلة متخصصة في التراث الشعبي الفلسطيني والابحاث الاجتماعية المتعلقة بأوضاع الارض المحتلة وتاريخها وحضارتها .

ان ظهور اية مجلة في اية بقعة من العالم يعتبر حدثا تاريخيا هاما ، ويزيد من أهمية مجلة «التراث والمجتمع» وقيمتها صدورها في الارض المحتلة حيث يقوم العدو الاسرائيلي بعمليات طمس مقصود لمعالم تاريخنا الحضاري وتراثنا الشعبي العريق ، وكذلك لمقدساتنا ومعتقداتنا الدينية العميقة الجذور ، ولكل ما يمت بصلة من بعيد او قريب لتقاليدنا واعرافنا الاجتماعية والمسلكية ، يعني لتلك الجسور القوية الراسخة التي تربط بين ماضينا وحاضرنا ، بين ذكرى الايام الماضية والايام





الراهنة ، كما يسعى العدو الى فصل شعبنا عن اوابده وحكمة اجياله على مختلف المستويات الرسمية وغير الرسمية .

يصادف اصدار المجلة تزايد التعنت الاسرائيلي ورفض الدولة المسخ التنازل عن الضفة الغربية

ومنع الشعب الفلسطيني حقوقـــه الدولية ، كما يصادف اشتداد موجة الشرعية ، والاذعان للمقررات وادانة الارهاب والقمع الجماعي ضد ابناء شعبنا وبناته ، لذا لم يكن غريبا على المجلة ان تضع في اسس اهدافها عدم الاقتصار على «جمع الوقائع وسرد الاقوال فحسب ، وانما العمل على تنفيذها وتحليل ما بها ، ثم معالجـــة المشاكل التي تنسرد تحتها ، فـــاذا كانت مستحسنة ومتمشية مع عصرنا الحاضر واماننا القومية نصحنا على بقائها بعد تحسينها وتعديلها ، اما اذا كانت غير منسجمة مع اهداف امتنا ، فاننا سنعمل على اظهار اخطائهـــا ومغالطتها وتوجيه الناس لشجبهـــا » (ص - ٨) .

يستدل من الاقتباس ان هـــدف المجلة الثقافي ، وهو استـــخلاص زبدة التراث الشعبي ، التراث الذي ينسجم واهداف الامة وامانيها ، وترك ما عداه بعد كشف ماهيته الرجعية وتبيان اخطائه ومغالطاته ، وتوجيه الناس اليها . وهذا ادراك عميق ، وفهم صحيح لدور العامل الموضوعي في استيعاب جوهر التراث المزدوج ، وعلاقة القديم بالجديد ، والتقليـــد بالابداع ، ويدل كذلك على مـــدى النظرة النقدية الابداعية والمنهجية لدى تناول ودراسة الموروثات الشعبية . وكل هذا يتطلب من الدارس المعرفة الجيدة والواعية لمسار تطور الحضارة الانسانية، والنظر الى الثقافة كموضوع للوعي ومنبع للمعرفة . فالحضارة هي دائما موروث شعبي روحي ومادي - ثقافي متنوع ومتشعب .

في المقال التعريفي «نبذة عـــن تاريخ لجنة الابحاث الاجتماعيـــة والتراث الشعبي الفلسطيني » تطلعنا السيدة سميحة خليل على تاريـــخ تأسيس جمعيةانشاء الاسرة (١٩٦٥)، وما قامت به منذ ذلك التاريخ مـــن جهود شتى لجمع وتنسيق تراثنـــا الشعبي وحفظه من الضياع .

وادى عمل الجمعية الدائـــب والمستمر الى ضرورة ارتباط « هـــذا العمل بانظمة داخلية وقوانين اساسية وبرامج عمل محددة الازمان والمراحل» (ص - ٦) «فتم تشكيل لجنة خاصة من اعضاء الجمعية سميت «لجنـــة الابحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني ، قام «تبكل المسئوليات الملقاة على كاهلها ووزعـــت الادوار والاعمال ، وقسمت اللجنة الى لجان فرعية اهمها : اللجنة الميدانيـــة - هدفها جمع التراث الشفوي من افواه الناس وتدوينه . اللجنة الثانيـــة لجنة المكتبة والترجمة - هدفها جمع كل ما كتب عن التراث الشـــعبي الفلسطيني في كل اللغات والحصول عليه بمختلف الوسائل .

اللجنة الثالثة لجنة المتحـــف - هدفها جمع كل ما تتمكن اللجنة من

جمعه من الادوات التي كان يستخدمها الاقدمون مثل الادوات المنزليــــة والزراعية وأدوات اللعب واللهـــو والطب الشعبي ، وادوات الحروب والقتال وغيرها ·

تقسم موضوعات المجلة بشــكل عام بالتنوع والثراء ، والاحاطــــة الشاملة من مختلف النواحـــــي بالموضوع المطروق . وكذلك بالدراسة الميدانية المتانية ، كما هو الحال في بحث «القهوة السادة» و «دراســـة المجتمع الفلسطيني من خلال امثالــه الشعبية» «النشاط الزراعي لفــلاح بيرزيت» و «الطبيعة الانثوية» .. وغيرها · يحدثنا الاستاذ عمر حمدان في دراسته «القهوة السادة في التراث الشعبي الفلسطيني» عن تاريخ واصل القهوة ، ويورد لنا الاساطير المتوارثه حول اكتشافها وبدء استعمالهــا ، وتواريخ انتشارها في مختلف بقاع الارض · يحدثنا كذلك عن اماكــن زراعتها واحجامها وانواعها والمـــواد التي تحتوي عليها ، وكذلك عـــن فوائدها ومضارها · وتحتل طرائق اعداد القهوة وصناعتها وكذلـــك الادوات المستخدمة لذلك جزءا هاما من المقال ·

ويورد المؤلف مختلف الروايات حول اعداد القهوة وتقديمها للضيوف، والمناسبات التي تقــدم فيــها ، والمعتقدات السائدة حولها ، ومدى معرفة البدوي ودرايته بجودة القهوة وحسن اعدادها ·

ويروى لنا الاشعار التي قيلت في تمجيد القهوة وتبيان مركزهـــا المحظوظ لدى العربي · وفي دراسة ميدانية شائقة وهامة يحدثنا وليد ربيع عن المجتمع الفلسطيني من خلال امثاله الشعبية · تحوي الدراسة على مادة مستفيضة من الامثال الشعبيــة المستعملة في شتى المناسبـــات والحالات ، بجانب ايراد التعاريف المتعددة للمثل ولاهميته في حـــياة الناس ، ومسلكهم في المجتمع .ويرى المؤلف ان «الامثال تركز على الكلمة والوعد واعتبار الكلمة بديلا عـــن الصك او السند المكتوب · ومن هنا نجد توافق المأثورات الشعبية مـــع طبيعة الانسان وفطرته وترسم لـــه قانونه الاجتماعي القائم على التفاهـم والاخلاص والصدق في المعاملــــة والمواعيد» (ص ـ ٣٤) · ويحدثنا بعد ذلك عن نواح خمس من حـــياة المجتمع الفلسطيني من خلال المثـل الشعبي ، وهي : السلطة في المجتمع التي تظهر « في التباين الاجتماعـــي وتبدو في عدة صور كوفرة المــال او الاصل الطيب او التقدم في السن او التجربة او كثرة العزوة » ثانيا : علاقة الدم يورد لنا الامثال الشائعة والمستعملة في شتى المجتمعات الريفية

حول رابطة الدم ومدى تمسك الانسان العشائري بها ، واخذها ماخذ الجد . ثالثا : المرأة تحظى بنصيب وافر من الامثال الشعبية التي ليست في صالحها على الاطلاق ، مما يدل على ان مصدر هذه الامثال هو الرجل المسيطر على المرأة والذي يرغب في بقاء سيطرته هذه . لذلك يقولون «المرة عقلها ناقص » ، « اسمع للمرة لا توخذ برأيها» (ص - ٤٤) هذه النظرة الوضيعة الى المرأة ومكانتها في المجتمع نتاج طبيعي لسيطرة افكار الرجل ، ولظروف تاريخية واجتماعية معينة .

رابعا : الاسرة التي يرى فيها المؤلف «الخلية الاولى في نسيج المجتمع» وأنها تمر « اليوم في مرحلة تغيير شاملة فيما يتعلق بحجمها ووظائفها والمراكز الاجتماعية لعناصرها وعادات الزواج وغير ذلك » (ص - ٤٨) يحدثنا المؤلف عن العلاقات - الاسروية في المجتمع الفلسطيني والتغيير الذي طرا على هذه العلاقات بسبب الظروف التاريخية والاجتماعية المتجددة ، مما ادى الى التغيير في عادات الاسرة وتقاليدها وكذلك مدارك ووعي الانسان الفلسطيني الجديد .

ويضرب لنا في النهاية الامثال عن السلوك والعادات والاخلاقيات المتعددة مثل الجار والجيرة ، الصداقة والضيافة والقيم الاخرى .

اعجبت جدا ببحث الاستاذ سليم غازي « الطبيعة الانثوية الركيزة الايديولوجية لتبعية المرأة في المجتمع العربي » لما تحويه من تحليل عميق ومنهجي - علمي لمشكلة المرأة في مجتمعنا ، وتعريته للمفاهيم السائدة حول طبيعة المرأة الانثوية - مستشهدا بالدراسات القيمة التي أجراها علماء الانتروبولوجيا ، ويرى كما يرى غيره ان هذا المفهوم حول المرأة نسبي حيث تجد في مجتمعات اخرى مفاهيم مغايرة لما اعتدنا عليه من مفاهيم ومسلمات حول انوثة المرأة ومسلكها في مجتمعنا .

ويروي لنا الياس نصر الله في دراسة «ثار الدم عند العرب» قصة الثار وما يترتب عليه من اجراءات مثل الصلح والعطوة «وتسمة نوم» والغدر والبوق والمصالحة العلنية . كما يحدثنا عن القتل المجهول والاجراءات التي تتبعها القبائل والعشائر في مثل هذه الحالات كاستدعاء من يشكون بأمرهم للمثول امام القضاء .

ويتم تشكيل محكمة عشائرية من ثلاثة اشخاص يختار اهل القتيل اثنين منهم ، واهل المتهم واحدا فقط، كما يختار الخصمان احد القضاة رئيسا للمحكمة . ويطلعنا المؤلف على حالات قتل المرأة وغير ذلك .

وهناك العديد من الدراسات

والابحاث الاخرى التي تستاهل القراءة والاهتمام . كما يوجد بحث نظري عام منقول عن مجلة «عالم الفكر» الكويتية .

وفي نهاية تلخيص موجز جدا للموضوعات بالانجليزية . واخيرا ، اود ايراد ملاحظة حول عنوان المجلة وهو «التراث والمجتمع» . فكلمة التراث بمعناها العام اشمل واوسع من التراث الشعبي ، الذي قصدته المجلة ، كما ان علاقة التراث الشعبي بالتراث هي علاقة الخاص بالعام . والتراث يرتكز على الابداع الشعبي والابداع الذاتي (الشخصي) . التراث الشعبي بطبيعته عمل جماعي على عكس الابداع الذاتي الفردي

ان صدور مجلة «التراث والمجتمع» يدل على تمسك العربي بتراثه وترابه، ومدى اصالته وشعوره العميق بمرارة واقعه الاليم وشراسة العدو الدخيل .

الدكتور حسين جمعة

معرض الزي الشعبي الفلسطيني

اقيم معرض الزي الشعبي الفلسطيني في قاعة امانة العاصمة في الفترة ما بين ١٧ـ٢٥/٨/١٩٧٤ وقد اشتمل على نماذج الملابس والادوات الفضية الشعبية .

وقد تم توزيع كتيب باسم «دليل الزي الشعبي الفلسطيني» شمل المادة العلمية الموضحة للملابس والحلي المعروضة .

كانت تجربة قيل انها نجحت الى حد ما وهذا رأي زوار المعرض الكرام . لم اكن اتوقع هذا النجاح اذ ان التجربة هي الاولى من نوعها ولم يتوقع الجمهور الكريم ان يكون معرض الزي الشعبي الفلسطيني بالشكل الذي عرض فيه اذ ان المعروف عن المعارض الحديثة والقديمة هي معارض جمالية وليست ذات مضمون وقد كثرت المعارض الجمالية حتى زهد فيها الناس وعندما تردد بين الناس ما يحويه المعرض من مضمون كان الاقبال الذي لم اتوقعه .

دهش الجمهور مما رأى من مضمون للثوب الفلسطيني الذي يحمل

حياة واحاسيس امة نضال وتضحية شعب .

رأوا كل هذا في الثوب الشعبي الفلسطيني ببساطة واضحة وكيف لا والمرأة في ذلك الوقت قد بلغت بها البراءة والبساطة الى حد الاعتقاد بالخرز والتمائم لشفاء المريض واحضار الغائب ورد الحسد . هذه البساطة في الحياة لا بد وان يواكبها حس صادق وبهذا الحس الصادق الذي لم تشبه شائبة ولم تفسده المدنية طرزت المرأة الفلسطينية ثوبها فضمنته الروح والقومية العربية .

الزي الفلسطيني يحمل معاني المروءة عامة والمعنى الفلسطيني خاصة ويجسد المعاني الاسلامية .

الزي الفلسطيني يحمل معاني النضال والكفاح من اجل الحرية والحفاظ على الارض .

وكان هنالك ثوبان :

الاول هو ثوب جامع لكل المعاني العربية والفلسطينية .

فهو يحمل رسمة الساعة على الصدر محاطة برسمة السنبلة ولم تكن المرأة الفلسطينية تشكل رسما بلا معنى أو عشوائيا فكثيرا ما سمعت المرأة عن الساعة التي أهداها هارون الرشيد الى ملك الفرنجة شارلمان وتصورت هذه الساعة في ذهنها وجسدتها على ثوبها . وأحاطت هذه الساعة بسنبلة القمح كتعبير بسيط ولكنه ذو معنى كبير : سنبلة القمح تخرجها الارض الطيبة أرض الاباء والاجداد أرض تعتز المرأة وتلتصق بها فمنها خلقت واليها تعود .

ثم نرى على هذا الثوب الجامع رسمة عرق السيف وهذا مما يؤكد نضال هذا الشعب من أجل الارض التي يعيش عليها لا سيما وانها حصرت رسمة عرق السيف برسمة السنبلة ثم تلتها رسمة الفرس وخيالها .

ما أعظم تفكير تلك المرأة وما أصدق تعبيرها .

السيف والفرس والفارس تعبير صادق رائع عن واقع حياة الشعب لماذا يا ترى اختارت المرأة هذه الرسمات وهذه التسميات هل هي من قبيل الصدفة ؟ لا أعتقد ذلك ! لماذا أحاطت هذه الرسمات برسمة السنابل هل كل هذا كان عفويا لا ثم لا . المرأة سجلت حكاية شعب بأسلوب فطري بسيط وكانها تقول : اذا وجدت الفرس والفارس وآلة القتال فلا شك بأنها تحقق حماية للارض التي أخرجت السنبلة وان الشعب كل الشعب مستعد لحماية هذه الارض بالسيف . هذا ثوب واحد يحمل من المعاني الشيء الكثير وهنالك أثواب وكل ثوب يحمل قصة وهنالك الثوب الآخر الذي يحمل من

المعاني ما يؤكد التصاق هذا الشعب بأرضه ·

المرأة عاملة في الحقل وتصحو مع الفجر على زقزقة العصافير لتنطلق الى الحقل فماذا سجلت هذه المرأة على صدر ثوبها ·

سجلت عصفورا · ثم سجلت طفلا واقفا فلماذا اختارت هاتين الرسمتين يا ترى ؟ لابد من معنى لهاتين

سجلت العصفور انها تصحو على صوته في الصباح الباكر وسجلت الطفل الذي تركته في البيت وهي الحريصة عليه تركته لتهتم بالارض اذ أن حرصها على أرضها أكثر من حرصها على طفلها وهذا تعبير آخر عن مدى حرص الشعب على ارضه وافتدائها بالابناء ·

هذه نبذة عما يحمله الثوب الفلسطيني من معانن واثار فلسطينية وان المكان ليضيق عن سرد ما يحمله كل ثوب من هذه المعاني فاكتفيت بالبعض نيابة عن الكل لاقدم واجب الشكر لكل من زودني بالمعلومات عن زي أهلي وبلدي فقد خرجت من المعرض وأنا أحمل الشيء الكثير مما زودني به الزائر الكريم من معان لثوب أحمل عرضه بالطريقة الايجابية·

ولن يفوتني أن أذكر الانفعالات والتعبيرات التي تركها هذا الزي في نفوس الزائرين ، فالدموع قد انهمرت من أعين كثيرة الروح قد سرحت في افق الفلسطيني لتتنسم أخبار الاهل وتستمد العزم والثبات على النضال من أرواحهم ومن رفاتهم الذي تحلل ليعطي الارض خصبا على خصب وكم من امرأة ناجت الثوب وتحدثت معه حديثا صادقا وكم من امرأة عاتبت الثوب عتابا رقيقا وبثته آلامها وآمالها بالعودة للارض الطهور·

كم من شاب خرج مسرعا ليرى ثوب أمه الذي لم يعره التفاتا في السابق لعدم معرفته مضمون ذلك الثوب خرج ليبحث عن المعاني السامية التي يحملها ثوب أمه ·

سمعت شابه شابه تتحدث مع الثوب والله اني قد رأيتك ، قد رأيتك من زمان ، ومن زمان لم أرك ايها الثوب والله اني قد رأيتك وعرفتك في بلدي وكانت كأنها تصلي في محراب خاشعة أمام ثوب الاجداد ·

ان معظم الزوار قد طالبوا باتمام المشروع واقامة معرض دائم لهذهالازياء ولا بد لي ان اقول لجميع المطالبين باتمام المشروع انهم على حق وليس امامي الا أن اتم المشروع بعد أن رأيت من تشجيعهم ما يعينني على تكملة المشوار ·

الحاجة تودد عبد الهادي

أحمد رشدي صالح

رائد حركة الفولكلور في مصر

يعتبر احمد رشدي صالح رائد الحركة الفولكلورية في مصر ، فقد أرسى الرجل دعائم أولى المؤسسات الفولكلورية التي تزيح الستار عن وجه مصر الشعبي وتبرز الشخصية الوطنية المصرية من خلال ما فاض عنه وجدان شعبها من اغنية او قول مأثور او معتقد او فن تشكيلي شعبي!فهواللذي اسس المركز القومي للفنون الشعبية وعمل الكثير في مجال تاسيس الفرقة القومية للفنون الشعبية واتخاذ قرار بتدريس الادب الشعبي في الجامعات المصرية وايفاد المبعوثين للتخصص في المأثورات الشعبية في الخارج ... وهو الذي ما زال يعمل بداب في سبيل ترسيخ فكرة معهد اكاديمي للفولكلور ومركز للبحوث الفولكلورية على مستوى الوطن العربي .

وقد تخرج الرجل عام ١٩٤١ من قسم اللغة الانجليزية بكلية الاداب في القاهرة ليعمل مذيعا . ثم نال الدبلوم في المعهد العالي للترجمة والصحافة والتحرير ليخوض غمار حياة الصحفي محررا ومترجما وسكرتير تحرير ومدير تحرير لعديد من الصحف . وفي هذه المرحلة من حياته نشر المجموعة الاولى من أعماله المكتوبة عن : مشكلة قناة السويس ، مسألة السودان ، كرومر في مصر ودفاعا عن فلسطين .

وبعد ذلك انصرف للادب والمسرح والنقد . وفي سنة ١٩٥٠ أعلنت جامعة الاسكندرية عن مسابقة في الادب الشعبي رصد لها أحد أثرياء الجالية اليونانية مبلغا كبيرا . ونال أحمد رشدي صالح الجائزة عن دراسته عن « الادب الشعبي » . وكانت هذه بداية انطلاق جديد في حياة الرجل الثقافية ليتحول بجزء كبير من اهتماماته الى دراسة الحياة الشعبية في مصر والتخطيط لحركة الفولكلور في مصر . وبدأت تظهر كتبه في الفولكلور :

١ ــ الادب الشعبي . القاهرة ١٩٥٤ . أعيد طبعه ثلاث مرات .

٢ ــ فنون الادب الشعبي . القاهرة ١٩٥٥ . جزءان .

٣ ــ الفنون الشعبية . ١٩٥٨ . القاهرة .

٤ ـ الفنون الشعبية العربية ، ١٩٦٠ .

٥ ـ علم الفولكلور (مترجم) .

٦ ـ الفولكلور والعالم المعاصر : ١٩٧٠ .

المركز القومي للفنون الشعبية في القاهرة :

في عام ١٩٥٦ انشئت لجنة الفنون الشعبية داخل المجلس الاعلى للفنون ، وعين رشدي صالح سكرتيرا لها ، وبمجهوداته اتخذت اللجنة توصيتين هامتين :

١ ـ ادخال دراسة الادب الشعبي ضمن مناهج كلية الاداب .

٢ ـ انشاء المركز القومي للفنون الشعبية .

وأقيم المركز في أواخر عام ١٩٥٧ ، وعين رشدي صالح أول مدير لهذا المركز ليبدأ العمل ، بمكتبين فارغين وارفف خشبية ليس بها كتب ، ومعه رجلان هما :

ـ صفوت كمال

ـ حسني لطفي

وبدأت المهمة بشراء دورية الفولكلور البريطانية . ابتداء من الاعداد الاولى ، ومجموعة المجلات الفولكلورية الامريكية ومجموعة كتب عامة في الفولكلور بمبلغ ١٣٠٠ جنيه مصري . ثم بدأ المركز في اقتناء اجهزة التسجيل والاستعانة بمجلس ادارة ضم :

ـ د. حسين فوزي

ـ د. سهير القلماوي

ـ د. عبد العزيز الاهواني

ـ د. محمود الحفني

ـ مهندس صلاح عامر

ـ احمد رشدي صالح

ـ أحمد رامي .

وبعد ذلك بدا المركز برحلات الجمع الميدانية . وكانت الجولة الاولى في القاهرة وتم فيها تسجيل أغاني عمال البناء . ثم قام المركز بنقل نشاطه للقرى القريبة من القاهرة بهدف اختبار طريقة العمل . ثم وضعت خطة لتسجيل عينات من المناطق المعزولة نسبيا عن وادي النيل . واختيرت (سيوة) وأرسلت اليها بعثة تضم :

ـ صفوت كمال

ـ حسني لطفي

ـ مهندس من الهندسة الاذاعية

ـ مصور .

أما المادة التي كانت موضوع العمل الميداني فهي أغاني جمع البلح وفي سيوة يتحد موسم جمع البلح مع موسم الزواج . وقام أعضاء البعثة بكتابة تقارير وصفية عن أداء الاغاني والالات الموسيقية والعادات المصاحبة للاداء ، وتقارير وصفية عامة عن مظاهر الحياة الشعبية .

وفي رحلة البعثة التالية للمركز كانت النوبة ميدان العمل ، وقد اضيف لاعضاء البعثة التي ذهبت الى سيوة رسام ليتكون من المجموعة اعضاء البعثة الجديدة . وقد ساهم الرسام برسم زخارف البيوت وعمل رسم معماري للبيت النوبي .

ثم توالت البعثات لمناطق مختلفة من الصعيد ، على اعتبار ان تلك المنطقة تحوي مخزون مصر الفولكلوري وسجلت مظاهر الحياة الشعبية في الاقصر واخميم وقنا وجرجا وقرى شرق النيل . واخذ المركز يضم لاعضاء البعثة مصورا سينمائيا .

وبدات البعثات تجري دراساتها الميدانية في مرسى مطروح والسلوم وسيدي عبد الرحمن والدخيلة بجوار الاسكندرية . ثم ارسلت بعثة لسيناء .

ورافق العمل الميداني اصدار أول مجلة للفنون الشعبية في مصر . وصدرت عن المركز .

ثم عمل المركز على انتزاع أربع بعثات من وزارة التعليم العالي وقد أوفد في هذه البعثات :

- د. محمود الجوهري الى المانيا الغربية .
- د. حسن الشامي الى جامعة انديانا .
- الاستاذ فوزي العنتيل الى ايرلندا .
- الاستاذ صفوت كمال الى يوغوسلافيا .

الفرقة القومية للفنون الشعبية في القاهرة :

وبعد أن ترك احمد رشدي صالح مركز الفنون الشعبية أصبح عضوا في مجلس ادارة مؤسسة المسرح ، وقامت هذه المؤسسة وبمجهود شخصي منه بانشاء فرقة الفنون الشعبية ، التي ظلت تتدرب لمدة ثلاث سنوات على التوالي قبل أن تقدم عرضها الاول . وقد قام بتدريب الفرقة مدرب سوفييتي من البولستوي هو راماز مع مساعدين مصريين هما سامي يونس وحسن خليل .

وفي سنة ١٩٦٦ أشرف رشدي صالح على أول رحلة قامت بها الفرقة

للخارج حين اشتركت في مهرجانات اسبانيا وأحرزت نجاحا مدويا . ثم زار المغرب مع الفرقة ليحقق نجاحا اكبر .

وفي عام ١٩٦٩ حضر رشدي صالح مهرجان اثينا للاغنية الخفيفة والفنون الشعبية وكان احد اعضاء لجنة التحكيم .

وفي عام ١٩٧٠ حضر مهرجان الفنون الزنجية الذي اقيم في السنغال في داكار . ودعي في عام ١٩٧٣ لحضور مؤتمر دولي للفولكلور في جامعة انديانا قدم له بحثا بعنوان : « فولكلورالنيل وتاثير التوسع في الاستخدامات التكنولوجية في مصر » وفي نفس العام اشترك في الندوة الدولية التي أقامتها اليونسكو في بيروت حول وسائل الاتصال الحديثة والتقليدية والتنمية . وصدر في هذه الندوة قرار بأن يقوم رشدي صالح ممثلا لليونسكو واتحاد اذاعات الدول العربية بعمل دراسة ميدانية استطلاعية لاهم أنواع الفولكلور الموجودة في ثماني دول عربية هي : سوريا ، العراق ، الكويت ، الاردن ، المغرب ، تونس ، الجزائر والسودان وهو ياتي للأردن بهذه المناسبة .

وفي رحلة العمر أشرف رشدي صالح على اصدار طبعة من الف ليلة وليلة . ويعد الآن لوزارة الثقافة في مصر لاصدار الأعمال الكاملة لبيرم التونسي والتي ستنشر في اثنى عشر جزءا تشمل أزجاله ومسرحياته ومقاماته .

مشروع معهد الفنون الشعبية

بدأ التفكير في معهد الفنون الشعبية كشكل نهائي لمركز الفنون الشعبية . بحيث يتطور المركز الى معهد للابحاث المصرية والعربية في الفنون الشعبية .

وكان من المفروض أن ينشا المعهد في مدينة الفنون ، ومنحت الدولة المعهد ستين فدانا من الارض ووضع الحجر الاسي . لكن المشروع تحول الى مجرد ملف في وزارة الثقافة .

والمأمول الآن أن تتمخض جهود اليونسكو العالمية والعربية وخبرات أبرز الفولكلوريين العرب عن ولادة المعهد المذكور .

وهناك امل كبير بان تكون نتائج زيارات رشدي صالح للبلاد العربية الثمانية التي لديها أجهزة للبحث الفولكلوري خطوة في سبيل تحقيق معهد الفنون الشعبية .

ن . س

معرض التراث الشركسي

اقيم هذا المعرض في قاعة فندق الاردن في الفترة من ١٩٧٤/٩/١٤ ولغاية ١٩٧٤/٩/١٧ ، ان الغاية من اقامة هذا المعرض هي بلا شك ، اطلاع المواطن على تراثه الذي هو جزء لا يتجزأ من ضميره . وهي في نفس الوقت التفاته الى الوراء في محاولة تقويمية لمعرفة مدى تأثر الانسان بالمتغيرات الاجتماعية التي تتجدد دوما .

مما لا شك فيه ان الشراكسه ـ وباعتراف كل من ارخ لهم ـ شعب عريق ضاربة جذوره في اعماق التاريخ ، وهو ذو حضارة ومدنية يمكن ان يحكي هذا المعرض جزءا منها. ومن خلال المعروضات يمكن ان نتعرف على ملامح هذا الشعب التي تتجلى بفروسيته وحسه الفني وتقديسه للارض التي يحيا عليها . ففي المعرض مجموعة كبيرةمن الادوات والملابس والمجوهرات وكلها مصنوعة منذ ما ينوف على القرن ، فهناك ادوات الخيل بما فيها من ابهة وروعة جمالية كالسرج واللجام والسوط وحملها مصنوعة بدقة فائقة ويدخل في صناعتها معدن الفضة وباشكال زخرفية جميلة جدا وان دل ذلك على شيء فانما يدل على ماللحصان من اهمية في حياة الانسان الشركسي،





لذا فهو يوليه عناية خاصة لا تقل عن عنايته بأولاده ، ومن مستلزمات الفروسية ايضا مجموعات الاسلحة التي غص بها المعرض كالسيوف والقامات التي مر على صناعة بعضها اكثر من قرنين من الزمان ولا تزال بحالة جيدة وكلها مزخرفة بالذهب والفضة وهي غاية في الاناقة وسمو

الذوق وروعة التصميم ، كيف لا وهي الرفيق الامين الذي لا يمكن الاستغناء عنه ٠

اما الازياء التي عرضت فقد كانت اشبه بكرنفالات الربيع باشكالها والوانها المتعددة ، فالازياء النسائية ذات طابع محتشم جدا ومصنوعة بعناية فائقة ، منسجمة الالوان وهي مزخرفة بخيوط الفضة ، وكذلك ازياء الرجال فهي متعددة الاشكال فمنها ما هو للحرب ومنها ما هو للحقل والمرعى ومنها ما هو للحياة اليومية ومنها ما هو للمناسبات وقد روعي في تصميمها تناسبها مع طبيعة الارض والمناخ كما روعي فيها ان تكون مريحة جدا ٠ ولم يكن الشركسي بعيدا عن التطور في ذلك العهد وخصوصا في مجال السلاح حيث استعمل الاسلحة النارية بجانب السلاح الابيض فقد عرضت مجموعة من المسدسات الحربية القديمة والبنادق القديمة التي كانت تحشى بالبارود (الدك) ومن ثم اصبح يستعمل الاسلحة الاكثر تطورا كالمسدس الطاحون والبندقية ذات العتاد المعدني وقد عرض منها مجموعة جيدة ٠

والمرأة الشركسية فان تراثها استحوذ على قسم كبير من المعرض حيث عرضت الاحزمة النسائية المصنوعة من الفضة والذهب ومعظمها مطعم بالاحجار الكريمة بالاضافة الى اغطية الراس (الشالات) المطعمة برقائق الفضة وكذلك بعض الاشكال الزخرفية المطرزة بخيوط الفضة بتشكيلات رائعة وربما كانت الماكنة تعجز عن صناعتها ٠

والمخطوطات ايضا ومعظمها نادرة وكان قد خطت منذ قرنين او ثلاثة وبالخط العربي وكلها عرضت في خزائن خاصة وتشتمل على بعض الآيات القرآنية الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة والادعية وبعض الشعر . هذا بالاضافة الى زاوية الكتاب الشركسي حيث افرد جزء خاص من المعرض لهذه الكتب التي كتبت في اكثر من مجال كالادب والفن والملاحم الشعرية ودواوين الشعر ٠

اما البيت الشركسي المشهور ببساطته ونظافته فقد كان محل اهتمام اصحابه دائما ويظهر ذلك جليا في ادوات الاستعمال اليومي في المنزل كالقدور والاباريق وقوالب الخبز وهي من المعروضات وكلها مصنوعة اما من النحاس او الحديد او السكب وكذلك الملاعق والادوات الخشبية بالاضافة الى السماورات النحاسية التي عرف منها عدد لا بأس به حيث كانت تستعمل لتجهيز الشاي وبعضها مصنوع في القرن السابع عشر ولا زال قيد الاستعمال حتى

الان ، كما عرفت مجموعة من الموائد الشركسية ذات الثلاث الارجل . والحقل ايضا كان في المعرض ، حيث عرضت مجموعة من الادوات الزراعية الخشبية كالشاعوب والمشط والكدان والكريك والمذراة وغيرها وكذلك عرضت نماذج مصغرة لعربات نقل التبن والحبوب تلك العربات التي كانت تجرها الثيران مسن البيدر الى المستودع لتفرغ حمولتها وهذه العربات كانت من المناظر المالوفة في عمان قبل عقدين من الزمان ولا زالت حتى الان في بعض المناطق مثل ناعور ووادي السير . وكذلك فقد ربى الشراكسة النحل واعتنوا به وقد كان من ضمن المعروضات مناحل قديمة مصنوعة من البوص والطين .

فاروق نفوي



الفولكلوري الذي رحل

محمد غازي بن مبارك العزب

بالقدر الذي يشعر فيه المتفلكر والمهتم بالتراث الشعبي بالغبطة والراحة عندما ينضم الى هذه الاسرة باحث جديد وهاو جديد ، بالقدر الذي يشعر فيه بالاسى ويعتصر قلبه الالم عندما يترك واحد من هؤلاء الميدان ، فكيف ان غاب الى غير رجعة .

الباحث الذي فقدته حركة الفولكلور العربي هو الاستاذ عبد القادر عياش ، احد الرواد وكبار الباحثين في تراث وادي الفرات السوري الشعبي واغزرهم انتاجا واوسعهم سمعة ... وفي هذه العجالة لا يسعني الا ان اعرف وبشكل موجز بحياة المرحوم ، وان اشير الى نشاطه وكيف بدا تعلقه بهذا المجال ، تاركا موضوع فهرسة انتاجه الفولكلوري الى فرصة اخرى امل ان تكون قريبة .

- ولد عبد القادر عياش الحاج حسين في دير الزور بسورية عام ١٩١١(١) .

- تلقى علومه الابتدائية والثانوية في بيروت وحمص . ونال اجازة الحقوق من معهد الحقوق العربي بدمشق .

- اصدر مجلة صوت الفرات عام ١٩٤٥ .

- كان عضوا في لجنة الفنون الشعبية في المجلس الاعلى للفنون والاداب والعلوم الاجتماعية السورية .

- اصدر ١٢٠ كتابا مطبوعا(٣) .

- توفاه الله في ١٩٧٤/٦/٩ بالنوبة القلبية في مسقط رأسه بدير الزور .

يحدثنا المرحوم عن بداية تعلقه بالفولكلور قائلا :

« حفزتني هوايتي قراءة التاريخ على ان أهوى التاريخ . بدا عندي بمحاولات التاريخ لالعابنا . وتقاليدنا ولفنون آدابنا الشعبية في منطقة الفرات الاعلى .. كل ذلك هيأ مني فولكلوريا هراتيا متخصصا . من حيث لم اقصد ولم اتخرج من معهد فولكلوري » .

« ما لبثت ان احببت الفولكلور ، بصورة عامة . وحرصت على طلب مصادره ، اندفعت اقراها بنهم ومتعة ، زودتني بمناهج دراسة الفولكلور ، وطرق جمعه وتدوينه . وبصرتني بجدواه واهميتها الكبرى . التاريخ والتراث .. بدا لي عالما بهيجا ، ان ركن المؤلفات الفولكلورية في مكتبتي ، مبعث اعتزازي . اكثر من الاركان الاخرى ، مع ان عدد المؤلفات الفولكلورية هو ربع مؤلفات ركن التاريخ » .

« انشات مجلتي صوت الفرات عام ١٩٤٥ في دير الزور . شهرية لنشر محاولاتي في تاريخ وادي الفرات . وجغرافيته وفولكلوره ، واقتصاده . ما زالت تصدر حتى اليوم ... واسست جمعية العاديات

الهوامش :

(١) من هم في العالم العربي ج ١ ط ٢ ١٩٥٧ مكتب الدراسات السورية العربية ص ٤٥٤ .

(٢) عيسى الناعوري ، عبد القادر عياش . رجل وهب حياته لارضه وشعبه . جريدة الرأي عمان ١٩٧٤/٦/١٧ .

(٣) دور الهواة في التاريخ والاثار والتراث ، محاضرة للاستاذ عبد القادر عياش في المؤتمر الدولي للتاريخ بغداد ٢٥ - ٣٠ اذار ١٩٧٣ .

(٤) بطاقة وصلتني من المرحوم . دير الزور سورية ١٩٦٦/٧/٢٧ .

(٥) عبد القادر عياش ، الزواج في دور الزور نشر في مجلة المعارف البيروتية س ١ حزيران ١٩٦١ ع ٦ ص ٤٤ - ٤٧ .

في دير الزور عام ١٩٥٨ ما زالت قائمة وهي الثانية بعد جمعية العاديات في حلب ، لا سواهما في سورية » .

« وحويت جمع السلاح القديم ، مما استعمله ابناء منطقة الفرات وجمع الآنية وادوات تدخين التبغ ، وادوات صنع القهوة العربية وشربها . وادوات الالعاب الاهلية » .

« التقت هذه الهوايات لتشكل متحف دير الزور للتقاليد ، شغل فراغا كبيرا في حياة دير الزور ، فليس فيها ولا في كل وادي الفرات حتى اليوم غيره ، اسبلت زيارته في كل وقت لمن يرغب »(٣) .

وقد حاولت التعرف على استاذ المرحوم ولو على البعد ، وسرني التقاء وجهات النظر فيما بيننا : « سرني التعرف عليك وابهجني اهتمامك بالتراث الشعبي العربي واكبرت ايمانك بوحدة الفولكلور العربي ولنا على مثل ايمانك ولهذا اهتم بالفولكلور العربي ، واكلف به كلفا شديدا ، ولم اكتب فيه ا أقل مما يجب وثمة موضوعات اكثر بكثير مما كنت اتوق الى تناولها وانا بطريقي اليها ان مد الله في عمري وساعفت الظروف »(٤) .

هذه لمحات موجزة عن حياة استاذي عبد القادر عياش الذي احب وطنه ، وهذا كلام المرحوم عن نفسه بكل ما عرف عنه من تواضع ...

رحم الله عبد القادر عياش رحمة واسعة . وعوض الله المتفلكرين عنه عوضا كريما . والهمنا واهله كل صبر وسلوان .

صناعة السيوف والخناجر والشباري

السيوف والخناجر والشباري ، هذه الاسماء او الاشياء طالما تغنى بها فارسنا في كل بقعة من بقاع الارض العربية في البوادي والحضر والارياف منذ مئات السنين وحتى يومنا هذا وان يضيق التعبير .

وهنا في الاردن ما زال بعضنا ممن فيهم تلك الاصالة الصافية والتراث الجميل ، اقول ما زال هؤلاء يحافظون على تلك الاسلحة اليدوية ، متباهين بجمالها وروعة صياغتها التي تحمل اليهم عطر الماضي .

ولعل المرء لا يندهش لو يعلم بان صناعة الخناجر والشباري والسيوف تصنع في بلدنا من مئات السنين ، بل وان محترفيها الاوائل

استطاعوا بفضل مهارتهم لصنعها ان يسوقوها في بعض الاقطار العربية جاعلين منها مقناة للناس حتى انهم في بلدنا تعارفوا عليها بالقول أن هذه الشبرية ، حوشانية ، نسبة لصانعيها من عائلة محمود الحرشان في اربد ، وشبرية «محيسنية» نسبة لصانعيها من عائلة عطا أبو محيسن . أما في البلاد الاجنبية فان أكثر السياح الذين يفدون الى بلدنا فانهم يحرصون كل الحرص على ان يبتاعوا خنجرا أو شبرية عائدين بها الى بلادهم كتحفة فنية راقية أحضرت من الاراضي المقدسة . ويحدثنا الحاج عطا أبو محيسن عن هذه الصناعة البدوية بالقول : ان كل ما اعرفه عن هذه المهنة ان جده محيسن قد احترفها منذ أكثر من مئة وستين عاما في مدينة الخليل ، ثم ارتحل الى مدينة الكرك حيث استقر بها هو وأولاده أكثر من خمسة وخمسين عاما ثم هاجروا الى الطفيلة وبقية المدن الاردنية .

اما بالنسبة لعائلة حوشان فمن المعروف أن جدهم محمود الحوشان قد تعلم مهنة الحدادة في تركيا ثم عاد الى بلده اربد حيث احترف واولاده صناعة الخناجر والشباري . وقبل التحدث عن كيفية صناعة الاسلحة اليدوية ، فانه من المستحسن الاشارة الى طريقة استعمالها والمظهر الذي يتحلى به من يقتني تلك الاسلحة ، فقد اشتهر سكان الحجاز واليمن باستعمال الخنجر لغاية الدفاع عن النفس وذبح المواشي علما بأن الرجل اليمني عرف بحمل الخنجر على بطنه بشكل ملفت للنظر .

أما الشبرية فقد اشتهر سكان بلاد الشام قاطبة باقتنائها ، حيث اعتاد رجل البادية حملها على جانب جسده لكي يتمكن من استعمالها وفق ظروف وبيئة الصحراء المعروفة ، أما الفلاح فقد حملها على ظهره قريبا من الخصر وذلك حتى لا تعيقه في أعمال الفلاحة كالفرس والحصاد .

كيف تصنع الشبرية والخنجر :

تتكون الاسلحة اليدوية الثلاث السيف والشبرية والخنجر كل على انفراد من ثلاثة أجزاء :

١ ـ الجزء الاول وهو النصل الذي هو عبارة عن قطعة حادة من الحديد أو الفولاذ يقوم صاحب المهنة بعملها بنفسه أو استيرادها من أحد الحدادين المختصين بها بالشكل الذي يعد «الصانع وكثيرا ما يوضع النصل في درجة حرارة عالية جدا ثم ينتزع بسرعة فائقة ليوضع في الماء البارد او الزيت العادي بنفس المهارة كي يكتسب النصل صلابة قوية .

٢ ـ الجزء الثاني وهو **المقبض** الذي هو عبارة عن قطعة من الخشب العادي أو قرن **البلن** أي «ذكر الغزال»

وقد اقتصرت صناعة المقابض على الخشب في الوقت الحاضر بسبب انقراض الغزال الذي كان يتواجد في منطقة « الطبيق » في المناطق الشرقية من الاردن ومن المعروف أن حامل الشبرية المحترف يحبذ « طيب » النصل أي مضاءة من أحد جانبيه لغاية ذبح الاغنام وقساوته أو خشونته من الجانب الآخر لاستعمال في تقطيع الاشياء العملية مثل الحديد وقيد الفرس ·

٣ ــ الجزء الثالث البيت وهو عبارة عن قطعتين من الخشب الخفيف تلصق الواحدة بالاخرى بواسطة الغراء(١) ويلاحظ من الوصف السابقة لتركيب الشبرية أو الخنجر ان صانعها يجب أن تتوفر فيه مهارة اتقان ثلاث مهن يدوية وهي النجارة والحدادة والصياغة التي يشار اليها في الفقرة التالية عند وصف الطريقة التي يتبعها الصانع في عمله ·

١ ــ بعد ان يعد الصانع النصلات الحدية وفق المواصفات المطلوبة يقوم بعمل المقبض عن طريق شق قطعة الخشب الى قسمين متساويين ومتشابهين ثم يضع طرف مسمار صغير يقوم بضربه حتى تلتصق الخشبتان بشكل يصعب معه فصلهما أو تغييرها

٢ ــ في المرحلة الثانية يقوم بتفصيل قطعة أخرى من الخشب بحجم النصل تماما ، تقسيمها الى شقين متساويين بحيث تشكل بيتا للنصل يمكن ادخاله فيه واخراجه منها بسهولة وذلك بعد أن يقوم بالصاق قطعتي الخشب بواسطة الغراء الصمغي

٣ ــ في المرحلة الثالثة من صناعة ادوات السابقة يبدأ الصانع بتلبيس السيف أو الخنجر والشبرية بالمعدن الابيض عن طريق قص المعدن يدويا لتشكل ثوبا ملائما للاسلحة الثلاث السابقة . ويحرص الصانع على أن يثقب المعدن الذي يغطي بيت الشبرية مثلا بما لا يقل عن أربعة ثقوب ليتمكن معها من وضع الخرز وهو عبارة عن حبات بلورية صغيرة بحجم حبة العدس في وسط تلك الثقوب ثم يبدأ بعملية اللحام اليدوي ايضا لتثقيب وجهي الشبرية ومقبضها ويلاحظ أن الصانع يمكنه استعمال نوعين من المعدن وهما الابيض والاصفر المستورد من بعض الاقطار العربية أو الاجنبية ، أما الحبات البلورية فمن المعروف انها تستورد من المانيا وايطاليا « تسمى هذه الحبات الخرز » ·

٤ ــ في المرحلة الرابعة تبدأ عملية التزيين والصياغة حيث يقوم الصانع أولا بتنعيم الشبرية أو الخنجر بواسطة عمود فولاذي ناعم الملمس له رأس مدبب محمول على قطعة من الخشب تعد مقبضا له واسمه المستحد ·

بعد ذلك تبدأ عملية النقش بواسطة أداة حادة للحفر بشكل القلم وهي تسمى أيضا « القلم » وهو على شكلين منه ما هو مدبب الرأس حاد يستعمل للحفر في المعدن ومنه ما هو عريض الرأس وحاد أيضا يستعمل للهز أي للحركة السريعة في النقش ٠

والنقش عادة يقسم الى ثلاثة أشكال صياغية :

الشكل الاول يسمى « النتاق » عن طريق حفر المعدن برسوم مختلفة وأسطر عمودية وافقية ومتعرجة بشكل هندسي رتيب ٠

الشكل الثاني يسمى « الهزاز » وهو عملية حفر المعدن بشكل سريع عن طريق هز اليد بشكل مرتجف يتم بواسطته رسم اشكال مختلفة مثل الشجر والورد او اية اسطر منظمة وهندسية ٠

الشكل الثالث ـ وهو الطبع ، ويتم الطبع عادة باستعمال قالب معين يتضمن صورة لاي شكل من الاشكال حفر رسمه في القالب ، وطريقة استعمال القالب بقصد الطبع تتم في مرحلة قص قطعة المعدن قبل تثبيتها على قطعة الخشب حيث يقوم الصانع بوضع قطعة المعدن على القالب والضرب عليها بشدة بواسطة مطرقة حديدية صغيرة ، وبذلك يمكنه طبع الصورة التي يريدها ٠

ومن الملاحظ أن الصانع يلجأ قبل عملية النقش بلف خيوط معدنية على رأس الشبرية ووسطها ومقبضها وتسمى هذه الخيوط المعدنية بعرف الصالح **الشريط الابيض** وفي بعض الاحيان يقوم الصانع بتثبيت قطعة من الجلد الفاخر يلفها على رسط الشبرية والخنجر وهذه العملية بذاتها تغير من أشكال الزخرفة والتزيين ٠

٥ ـ اما في المرحلة الخامسة وهي اخيرة فنبدأ عملية التنظيف مما علق بالشبرية من غبار وأوساخ من جهة ومن تنظيف النصل وتلميعه من جهة أخرى ويتم عادة تنظيف النصل بواسطة ورق الزجاج المعروف أما تنظيف معدن الشبرية من الخارج فتم بواسطة مادة البراسو ٠

وهكذا تتم عملية صناعة السيوف والخناجر والشباري بنفس الطرائق والاشكال السابقة حيث تصبح جاهزة للاستعمال ٠

عبدالله رشيد

---

(١) ويحضر من مادة صمغية ٠

Usually the son follows his father's foot steps in this profession. The author refers to many famous persons who were well known for their ability to diagnose and cure different deseases.

Fai'z Al-Ghoul and the Palestinian Folk Tales

by Omar Sareesi

The late Fa'iz Al-Ghoul spent many years of his long life in collecting, arranging and analyzing folk tales. These efforts were all published lately in three papers. All tales were written in the colloquial dialect because. Mr. Al-Ghoul believed that was the only way to keep its original form.

Kufr Al-Ma' Village

by Mohammad Abu Hassan

This Village in the northern part of Jordan was the subject of an anthropolgical study by an American scholar who lived for a while in the village.

This village was once a Roman place and survived through the ages; the author gives historical glimpse of the village and the area of which this village is a part.

The World of Folklore :

— Folk literature scripts.

1 — Biader Al-Qamar by Havim Mobaideen.

1 — Biader Al-Qamar by Htzim Mobaideen.

— Discussions and News.

Proverb and Riddle
by Dr. Hani Al-Amad

The author defines a proverb as a short sentence intended to cover a wide and general meaning. Where as he refers to the riddle as being used to pass time and test intellignce; the riddle had many roles over the years - in some cultures the riddle had an important role in marriage where the groom had to resolve certain riddles before he can take his bride home.

Jordan riddles are rather different from those of other nations and they contrast sharply with proverbs in form, style and concept.

In many instances the riddle turns into a proverb although it is usually more accurate than the proverb and with more logic.

Most Jordanian riddles concentrate on universes and nature as their subject.

Bedouin Advice
by Ahmad U. Abbadi

Advice has a very important role in Bedouin life. It usually comes from an old man with vast experience, and relies mainly on the acts and words of past generations.

Advice may be given out of love, self - dignity, wisdom or concern for general welfare; advice also covers matters of day - life.

The Perfumery
by Mohammad Tahat

The perfumery was a very important institution in days. The perfumery used to be the only pharmacy available for all people - and the perfumer acted as a general practitioner by giving the diagosis and the proper medicine. The perfumer relied mainly on different herbs which he would mix in different ways. each herb would be a proper medicine for a certain kind of disease.

Folk Housing
by Nimir Serhan

Home is a Symbol of happiness and family unity.

There are many folk songs that have their themes in subjects pertaining to home: such as its beauty, its different parts, its happy atmospere, etc ...

Old folk houses were not very hygenic since they did not allow for private toilets and kitchens; the old housing system was mainly a cluster of several houses sharing the main facilities with a mud-and-sone wall surrounding them, the main feature of each house being the huge stones arches that hold it together.

Al - Hinna
by Azmi Khamis

Al - Hinna is a basic material in the make-up of village women; it is usually taken from Hinna tree and comes in two colors: red and black.

Hinna is used in several ways: heavily on the bride, with smaller amounts for young girls, to dye white hair and as a remedy for headaches and dry hand and dry feet.

Bread
by Tawfiq Canaan
Translated by : Younes Tamimi

The art of making bread in the villages is detailed in this article with special emphasis on the materials used in making fire the wood is collected by the women for making fire and they usally get it from places far from the village; the women have their special songs when they carry the wood home.

Many different materials - other than wood - are used in making fire but are less important than wood which remains them number one in this capacity.

ENGLISH SUMMARY

by : Faruk Jarrar

Folk Music
by Abdulhamid Hamam

Folk music is a source of inspration for many composers since it is the origin of music and is appreciated by a wide sector of any nation. It also has its historical and national roots.

The history of music in Jordan goes back to thousands of years and could be traced to the Nabatean days, musical in-struments were known to the people of Jordan who had close commercial ties with Egypt, the Arabian Peninsula and the Syrian lands ? such ties had their effect on Jordanian music.

The Ommayyad and Abbasid periods witnessed some progress in Arabic Music due to Arab contact with other nations around the world and many instruments came to be known.

A famous form of Arab singing is Almuashahat, and it is needless to say that Arab musicians had their impact on music around the world.

Generosity in Jordan
by Yousef Shuwaihat

Generosity is some thing that every Arab adores; it is most evident in what any one could offer to his guests - namely food, drink, and shelter.

Generosity has its rules and principles; it is the bedouins that are most famous for being generous and since the people of Jordan had over the years very close ties with bedouins and bedouin form life they are notable for being good neighbors,

Arab generosity has its roots in bedouin traditions and sociologists believe that Arab generosity is due to four factors prominent among them are the absence of public facilities in the deserts and the social pattern of the bedouin upbringing.

Al-Fonoon Al-Shaa'beyya

A Quarterly Journal for
Folklore Published by The
Department of Culture and Arts

Tel. 36391 - P. O. B. 6140
Amman - Jordan

Volume 1, No. 3, July 1974

ـ كتب الفنون الشعبية

صدر حديثا :

ـ بيادر القمر ـ

قصيدة زجلية للشاعر : **حازم مبيضين**

وهي تحكي قصة ارتباط الانسان العربي بأرضه وحبه لها ،مستعملة اللهجة الاردنية المحلية ·

تاتكبر الغلة

ديوان شعر باللهجة المحكية الاردنية

تأليف الاستاذ : احسان الفرحان

يضم مجموعة من القصائد التي تحكي تراث الاردن وعادات ابنائه

الناشر : دائرة الثقافة والفنون

ثمن النسخة : ٢٠٠ فلس

حلقة العناصر المشتركة

في المأثورات الشعبية في الوطن العربي

وضم الكتاب الأبحاث التي قدمها أعضاء الوفود المشتركة لمؤتمر « حلقة العناصر المشتركة في المأثورات الشعبية في الوطن العربي » والذي عقد بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التابعة لجامعة الدول العربية في الفترة بين ١٣ ـ ٢٠ اكتوبر ١٩٧١ ·

الناشر : جامعة الدول العربية

AL - FONOON AL - SHAA'BEYYA

Volume 1, No. 3, 1974



من معروضات مركز الفنون اليدوية في عمان